إذا كانت الحروب تتولد في
عقول البشر ففي عقولهم
يجب أن تبنى حصون
السلام

الموكب الثقافي

الثمن ٢٠٠ أوقية او مايعادلها

مجلة ثقافية تربوية علمية تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم. نواكشوط. موريتانيا

الاستراتيجية الوطنية الموريتانية للتنمية الثقافية ٢٠٠٤ - ٢٠١٠

المنظمات: كلمة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم السيد الأستاذ المنجي بوسنينه بمناسبة تسليم جوائز شنقيط ٢٠٠٣

المحور الثقافي

المجتمع الأهلي في موريتانيا:
نظرة تاريخية على الخصائص والمحددات

ooo

تطور المعارف على ضوء تطور الحضارة العصرية من التقاليد الموروثة إلى مجتمع المعلوماتية

ooo

دراسة حول طرق الطعن في قانون الإجراءات المدنية والتجارية والإدارية الموريتاني

المحور التربوي

التعليم والفقر

(التأثير والتأثر)

- أهداف ومضامين المدارس المنتسبة لليونسكو في المراحل التعليمية

محور العلوم والإعلام

ما هو الاتصال؟

المدير الناشر: اجيه ولد الشيخ سعد بوه

العددان: ٣٤/٣٥ السنة ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ فاكس ٢٢٢٥٨٥٤٨٠٣ ص.ب ٢١١٥ نواكشوط / موريتانيا.

لما كانت الحروب تتولد في
عقول البشر ففي عقولهم
يجب أن تبنى حصون السلام

المحور الثقافي

العددان
35-34
2004

الثمن: ٢٠٠ أوقية

مجلة ثقافية تربوية علمية تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم – نواكشوط – موريتانيا

الاستراتيجية الوطنية الموريتانية للتنمية الثقافية

2010 - 2004

المحور الثقافي

- المجتمع الأهلي في موريتانيا: نظرة تاريخية على الخصائص والمحددات
- تطور المعارف على ضوء تطور الحضارة العصرية من التقاليد الشفوية إلى مجتمع المعلوماتية
- دراسة حول طرق الطعن في قانون الإجراءات المدنية والتجارية والإدارية الموريتاني

المحور التربوي

- **التعليم والفقر (التأثير والتأثر)**
- أهداف ومضامين المدارس المنتسبة في المراحل التعليمية

محور العلم والإعلام

ما هو الاتصال؟*

المدير الناشر: اجيه ولد الشيخ سعد بوه

الموكب الثقافي

الموكب الثقافي

ص.ب: 5115 – هاتف: 03 48 25 (222)
فاكس: 5252802 (222)
المقر: حي "ف" 83 – انواكشوط

في العدد المقبل من مجلتنا ستقرؤون مقابلة مع الخطاط والفنان التشكيلي المغربي السيد محمد آمزيل

- الآراء المنشورة على صفحات المجلة لا تلزمها ولا تعبر عن رأيها بالضرورة؛
- تستقبل المجلة كل البحوث والمقالات التحليلية والإبداعات الجادة باللغتين العربية والفرنسية، ويشترط أن لا تكون قد نشرت سابقا في مجلات أو نشريات وطنية أو دولية، على أن تخضع البحوث والدراسات للشروط العلمية في التوثيق والمنهج؛
- تلتزم المجلة بنشر ما أجازته لجنة القراءة وتعويضه عند نشره؛
- لا تعاد أصول المواضيع لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر؛

ترقبوا العدد الممتاز من مجلة
الموكب الثقافي (العدد 36)

لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام

الموكب

العـــــدد: 34-35 – السنـــــة 2004

مجلة ثقافية تربوية علمية تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم – نواكشوط / موريتانيا

المدير الناشر/رئيس التحرير:
اجيه ولد الشيخ سعد بوه

المديـــر الفـــني:
محمد ولد محمدن بن احظانا
المدير المنتدب للقسم الفرنسي:
امبارك ولد بيـــروك
يســـاعده:
محمد ولد مكحل

سكرتيـــر التحـــريـــر:
أحمد جـــدو ولد محمـــد

مصلحة المتابعة والاشتراكات:
سليمان ولد محمد بونا
محمد ولد اعمـــر ابـــال
عبد الرحمن ولد محمد الحافظ

هيئة التحرير:
اجيه ولد الشيخ سعد بوه
محمد م. احظانا
أحمد جدو ولد محمد
محمد المختار ولد سيدينا
محمد المختار ولد المصطفى
محمد ولد مكحل
مريم بنت بكر
محمد حرمه ولد خداد

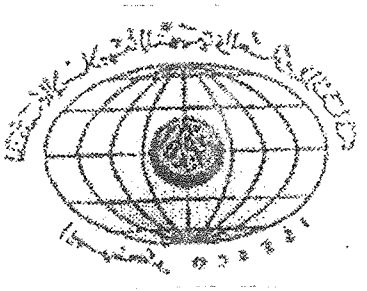

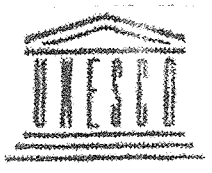

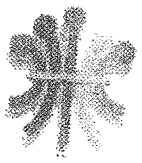

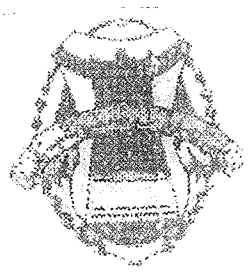

فهـــــرســـت المواضيع

الافتتاحية	3
الاستراتيجية الوطنية للتنمية الثقافية 2004 – 2010	4
اللجنة الوطنية الموريتانية والإيسسكو: الورشة الوطنية لعصرنة برامج التربية الفنية من منظور إسلامي	14
من نشاطات المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلم –الألكسو–	19
كلمة السيد المنجي بوسنينة، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمناسبة تسليم جوائز شنقيط لسنة 2003	21
المجتمع الأهلي في موريتانيا: نظرة تاريخية على الخصائص والمحددات	24
تطور المعارف على ضوء تطور الحضارة العصرية من التقاليد المروية إلى مجتمع المعلوماتية	32
الرحلات الشنقيطية، رباط للثقافة والوصال	44
الرواية الموريتانية وازدواجية الأصل: قراءة للثابت والمتحول من النص	54
شرح عبد الله بن الحاج حمى الله لفائية ابن رازكه	64
دراسة حول طرق الطعن في قانون الإجراءات المدنية والتجارية والإدارية الموريتانية	69
المحيط ودوره في تنشئة الطفل	74
التعليم والفقر (التأثير والتأثر)	85
أهداف ومضامين المدارس المنتسبة في المراحل التعليمية	95
ما هو الاتصال؟	100

الافتتاحيـــة

بتوجيهات سديدة ومستنيرة من رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيد أحمد الطايع، تعيش بلادنا بحمد الله مسيرة ثقافية متميزة جعلتـــها تستعيد ماضيها المشرق كمنارة علم وأرض سلم وسلام يصبح فيـــها القلم واللوح سلاح هذا المجتمع الأبي الذي فجرت فيه قيادته الفريـــدة رفضه لحالة هي أغرب ما يكون على مجتمع المليون شاعر، ألا وهي حالة الأمية بنتيجتها الحتمية: التخلف. وجعلته يدرك يقينا أن النهضة الحقيقيـــة والـــدور الإيجابي الذي تتطلع بلادنا إلى أن تلعبه في عالم يطبعه تلاحق الإنجازات وسرعة التطور لا يمكن تحقيقه إلا بالإنسان وأي إنسان؟

إنه الإنسان الفاعل المؤمن بوطنه والواثق من نفسه ولن يكون كذلك إلا إذا كـــان إنســـانا متعلما، نشطا، مدركا لما يجري من حوله، ثابتا على اختيارات وطنه لا تـــهزه عواصـــف الدهر ولا متقلبات الظرفية. ولن نتمكن من تجسيد هذه المعاني الكبرى إلا إذا تغلب كل واحد منا على سلبيات ذاتيته فتخلى عن الأنانية ومد يد العون إلى من يحتاج إليـــه مـــن أبنـــاء مجتمعه المتأثر تأثرا مباشرا بحالاته .. ومن أحوج إلى العون ممن لم (تكتمل) إنســـانيته؟ فالأمي عاجز عن توظيف ما يميز الجنس البشري عن باقي المخلوقات، فحالـــة الأميـــة لا تجلب الاحترام لمن يعيشها ولا لمن يتعايش معها. وهي خطيئة كبرى وذنب أعظم يتحمـــل وزره بالدرجة الأولى من وهبه الله نور العلم والمعرفة وبخل به على من هو فـــي أمـــس الحاجة إليه ممن يتقاسم معهم مواطنة بلد شهد له عبر العصور بعطائه الثقافي رغم شـــح الإمكانيات وقساوة الطبيعة.

واليوم وبعد أن من الله على هذه البلاد بما هي فيه من نعم متعددة وبقيادة راشدة متبصـــرة هيأت كل مستلزمات التقدم والانعتاق لم يعد مقبولا أن يظل بيننا من لا يزال حبيس الجـــهل والوطن يعج بالآلاف من المثقفين والمتعلمين الذين تحمل المجتمع بكامله أعبـــاء تعليمـــهم وتكوينهم، هؤلاء المثقفون الذين يجب عليهم أن يلعبوا دورا متميزا في معركة هم جنودهـــا ولم يعد أمامهم من اختيار سوى كسب الرهان والقضاء على هذه الحالة الشـــاذة والدخـــول بموريتانيا إلى موكب الأمم المتقدمة والفاعلة أو التراجع لا قدر الله إلـــى خـــارج الركـــب والمكوث قليلا، قبل الاختفاء، في عالم الضعفاء المبتذلين الذين يعيشـــون علـــى إنســـانية المتصدقين .

ورفضا منا لحالة التفرج والبلاد تشهد أهم معارك التنمية، فإن اللجنـــة الوطنيـــة للتربيـــة والعلوم والثقافة ومن خلال مجلة الموكب الثقافي تنوي تقديم مساهمة متميزة في هذا الجهد الوطني المحمود . والله ولي التوفيق .

اجيه ولد الشيخ سعد بوه
الأمين العام للجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم

الاستراتيجية الوطنية الموريتانية للتنمية الثقافية

2010 - 2004

I- مقدمة

أ- مدخل

كانت موريتانيا ولا تزال مهدا لتلاقي وتداخل الأعراف والأجناس البشرية وموطنا لانصهار وتلاقح التيارات الثقافية والفكرية، تعددت نعوتها وأسماؤها _بلاد شنقيط، أرض الرجال، بلاد المليون شاعر) فدل التعدد في الأسماء والصفات على ثراء جم وتنوع في الوحدة بين مكونات الثقافة الواحدة التي هي الثقافة الموريتانية.

وليس من باب المبالغة القول بأن المقوم الأساس للكيان الموريتاني هو الثقافة، منذ حركة المرابطين التي كانت في جوهرها مشروعا ثقافيا حصن البلاد وأعطاها تماسكها الأسطوري الذي حافظ على بقاء المجموعة الموريتانية وحضارتها وعطائها الدائم فكريا واقتصاديا رغم غياب الدولة المركزية، لفترة طويلة كما كان هذا التفرد الموريتاني الشعلة الحضارية التي حملها المرابطون ليؤسسوا دولة عظيمة حمت ثغور الإسلام وأعادت إلى المغرب العربي والغرب الإفريقي وحدتهما ردحا طويلا من الزمن وأبقت تماسكها الثقافي/ الحضاري قائما إلى اليوم.

وقد ساهم احترام مكونات ثقافتنا الواحدة لخصوصيات كل منها رغم التعدد اللغوي وأساليب العيش، وانصهارها تحت مظلة عقيدة واحدة ونظام تعليمي واحد هو المحاظر/الجامعات في بقاء هذا الوطن وشعبه وحضارته.

إن عبقرية هذا الشعب هي التي جعلته الشعب البدوي المتعلم الوحيد في العالم، ذلك أن البداوة وما يلازمها من ترحال وانتجاع نقيض للعلم الذي هو وليد استقرار ومدنية، ولكن شعبنا أبدع لنفسه من ظروفه: الجامعة المتنقلة والمكتبة المحمولة والفصل الراجل والكلية الراكبة على ظهور الجمال، والاكتفاء الذاتي من أدوات المنزل والفنون الحرفية وحتى الصناعات الدفاعية.

"إن هذه الحضارة حبيبة إلى قلوبنا، تغذينا وتشكل وجداننا، ولقد كان لها جمالها، ومثلها في الشرف وقوانينها الصارمة".

ولقد حان الوقت الذي يعاد فيه النظر في هذه التجربة الفريدة بعد ما ألحقها حكم الزمن بحالة الانكفاء التي تتبعها، بالضرورة، حتمية الاختفاء، ما لم تمتد إليها يد التطوير والحفظ.

ولقد ظل الوضع الثقافي خلال عهود طويلة رهينا لجيل معاصر منقسم على نفسه ثقافة ولغة وفلسفة، ينظر رغم اختلافه، إلى تجارب الآخر الفكرية على أنها الحل الوحيد لمشاكل موريتانيا.

ب- ثقافة التنمية

لقد بدأت البلاد عهد التنوير الثقافي والديمقراطي عندما طرح رئيس الجمهورية مشروع مجتمع العدالة والمساواة والنهوض الثقافي/العلمي في خطاب النعمة التاريخي 5 مارس 1986، وفقد رؤية حداثية تقوم على بناء الشخصية الموريتانية التي تحمي ذاتها الحضارية من الذوبان، وتنفتح على العالم مندمجة في موكب العولمة دون خوف ولا تردد، فكانت الطموحات بحجم انعتاق المرأة ومحو الأمية وإلزامية التعليم وحق الجميع في المعرفة، فلكل مواطن كتاب، وفي كل قرية مكتبة، وللإبداع عيده في جوائزه شنقيط.

وتأسيسا على هذه الرؤية لرئيس الجمهورية وانطلاقا منها ووفاء بتعهداته الانتخابية، يأتي إعلان استراتيجية التنمية الثقافية هذا، ليشغل الفضاء الثقافي الوطني باستراتيجية ثقافية تنموية متبصرة تقترح الحداثة والإنماء وتفتح آفاق الإبداع أمام أجيالنا الصاعدة وفقا لمنظورنا الوطني وطبقا لمصالح بلادنا في جو من قبول الآخر ومحاورته بالتي هي أحسن، في هذا المناخ العالمي الديمقراطي الحر المفتوح، تأثرا وتأثيرا، على آلاف النوات وشبكات المعلومات وملايين المطبوعات والمصطلحات التي تستجد مئات المرات في الدقيقة الواحدة، الذي أصبح فيه الإنسان الموريتاني كغيره، مستهدفا بنظريات وأساليب ومغريات وأنماط استهلاك صالحة وأخرى طالحة لا حصر لها ولا حاجز يقف أمامها: في هذا الكون الذي يتعولم شيئا فشيئا بقوة البث الصوتي والمرئي وتعميم المعرفة فإن كل المواطنات كل المواطنين يصبحون صناعا للمستقبل الوطني.

إن المجموعة الثقافية الدولية تجمع اليوم على ضرورة إدماج وإشراك الجمهور الواسع وخصوصا الفئات الأقل حظا في مسلسل التغيرات الثقافية الاجتماعية والاقتصادية من أجل الوصول إلى تنمية بشرية حقيقية.

ولقد أصبح من المسلم به في عالم اليوم أن الثقافة هي أساس التنمية، إذا انطلقنا من اعتبارها حالة اجتماعية متعددة الأبعاد والغايات تشمل طريقة التفكير، ومنظومة القيم والأصول، والمعايير الجمالية والمعتقدات الروحية

لمجتمع معين، ولا يمكن حصرها، فقط، في الإنتاج الأدبي، والعلوم الروحانية والمعارف العلمية، ولكنها تشمل إضافة إلى كل ذلك، تشكيلة واسعة من النشاطات الذهنية المختلفة التي تشكل العقد الناظم لمختلف تجليات ثقافة الأمة،وتقترح الاستراتيجية أن تولي كل هذه النشاطات من مكونات الثقافة الوطنية العناية اللازمة من طرف الدولة باعتبارها رافدا أساسيا من روافد خطط الإنماء الاقتصادي الوطني لما تخلقه من فرص شغل، وما توفره من مداخيل عن طريق الإبداع الفني الذي يبرز المواهب والقدرات الخلاقةلدى المواطن الموريتاني، ويسمح بخلق صناعات ثقافية تنموية في مجالات عديدة مثل:

الفنون العالمة: (شعر، قصة، رواية، تقنيات إعلام واتصال إلخ.)؛

الفنون الدرامية: (الأفلام الوثائقية والقصيرة والتسجيلية إلخ.)؛

الفنون التشكيلية: (الرسم، النحت، الحفر، التصوير إلخ)؛

الفنون الموسيقية (الفرق الوطنية، الأجواق، والمجاميع النغمية إلخ.)؛

الفنون الشعبية: (الغناء والرقص، والشعر الشعبي)؛

الألعاب التقليدية (السيك، خريبقة، ظامت، كرور إلخ.)؛

فنون الأزياء: (تطوير وإعادة تشكيل وحفظ الأزياء الوطنية، تشجيع الابتكار بتنظيم عروض الأزياء ومعارض الألبسة الجاهزة إلخ.)؛

فنون الطبخ: (تدوين وحفظ مكونات الوجبات الوطنية، وتطوير المطبخ الموريتاني لرفع القيمة الغذائية للوجبة وتحسين مردودها في مجالات الإطعام والندقة)؛

الصناعة التقليدية (من أدوات وتجهيزات، وترقيتها لتصبح جزء من متطلبات المدينة كما كانت جزء من متطلبات البادية، وجعلها محورية في السياحة الثقافية الوطنية).

II- تشخيص حالة قطاع الثقافة

رغم جهود التحديث والإعمار، بعد الإقلاع الذي شهدته البلاد، في مختلف المجالات الإنجازات في المجال المعرفي وإصلاح التعليم، وحملة المعرفة للجميع ومشروع الكتاب وجوائز شنقيط، فقد بقيت وزارة الثقافة، كقطاع، خارج مسار التطوير والتحديث، فباستثناء دار الثقافة التي هي ثمرة التعاون الموريتاني الصيني، فإن الوزارة لا تتوفر على أي منشأة ثقافية في البلاد، كما لا تتوفر على صرح استقبال للترويح أو التنشيط أو النشر؛ ويتخلص وجودها في إدارتين:

إدارة الثقافة وتشمل مصلحتين:

- مصلحة الثقافة والفنون ويقوم عليها شخص واحد؛

– مصلحة الملكيات الفكرية والتعاون الثقافي؛ ويقوم عليها شخص واحد

مصلحة المكتبات:

المصلحة الفنية

وتنعدم لدى الإدارتين الخبرة الفنية الضرورية في مجالهما وتقتصر نشاطاتها اليومية على الروتين الإداري وتسيير المكتبة الوطنية وافتتاحها أمام الرواد، وفي بعض الأحيان الاشتراك في معارض الكتاب بتونس وداكار والدار البيضاء.

وتفتقر الوزارة بمختلف دوائرها إلى وسائل التسيير والنقل والتجهيز وصيانة المعدات واللوازم الفنية.

أما المتحف فقد ضاعت أثمن مقتنياته في فترات سابقة، ولم يعد مظهره ولا محتواه يليقان ببلد عريق يشهد نهضة علمية كبلادنا.

وفي الأخير لا تتوفر الوزارة على إصدار ثقافي واحد، باستثناء تجربة إصدار مجلة الرباط الثقافي التي توقفت في العدد الثاني منها سنة 1998.

III– أهداف السياسة الثقافية

إن سياسة ثقافية متبصرة ومتماسكة تكفل استمرارية وفاعلية العملية الإنمائية وتجعل التحولات الاجتماعية والاقتصادية المصاحبة لها، أكثر هدوء وإنسانية، عليها أن تتوخى الأهداف التالية:

- ضمان المشاركة الحرة لكل مواطن في الحياة الثقافية لمجتمعه؛
- ضمان حرية التعبير عن الأفكار والهويات الثقافية؛
- السماح بممارسة الحقوق الفردية والجماعية؛
- تشجيع الإبداع والتنوع؛
- حماية وتثمين التراث الثقافي في تنوعه؛
- الإسهام في التنمية المستدامة؛
- تشجيع التكامل الثقافي.

وبكلمة واحدة، خلق أفضل الأسباب لإنجاز النمو المتناسق المتكامل الدائم للبلاد بغية الإسهام في إشعاعها الثقافي.

IV– محاور استراتيجية التنمية الثقافية

تهدف المحاور التالية إلى إطلاق مسار التنمية على الصعيد الثقافي ليواكب التقدم الذي تشهده البلاد في المجالات الأخرى عن طريق توفير بنى تحتية كبرى تسمح بإنشاء وتطوير الصناعات الثقافية المدرة للدخل، وفرص العمل فضلا عن ما لها من مردود عال في مجال صناعة الإنسان الصالح المنتمي لقيمه وعصره المؤمن بحقه وحق وطنه عليه والمشارك في بنائه وحمايته والدفاع عنه وعن مكتسباته في النمو والحرية

والديمقراطية. وستمنح عناية خاصة للتقنيات الجديدة من أجل تنمية ثقافة بلدنا.

المحور الأول: في النصوص القانونية

من أجل مواءمة النصوص المتعلقة بالثقافة مع مقتضيات السياسة التنموية الثقافية التي تهدف إليها هذه الاستراتيجية فإنه يجب القيام بما يلي:

مراجعة وتجديد المنظومة القانونية التشريعية المتعلقة بالتراث الثقافية المحسوس (مراجعة القانون رقم 160/72 الصادر بتاريخ 31 يوليو 1972 المتعلق بحماية وتثمين التراث الوطني لما قبل التاريخ والمدن القديمة والآثار)؛

النصوص المتعلقة بالتوقيع على المعاهدات الدولية الخاصة بحماية التراث الثقافي المحسوس؛

إنشاء مندوبيات جهوية للوزارة للإشراف على العمل الثقافي والشبابي في الداخل؛

إنشاء مكتب لحماية حقوق المؤلف وإصدار النصوص التشريعية المتعلقة بذلك.

أ- <u>المسرح</u>:

إنشاء مسرح وطني حديث متعدد الاختصاصات في نواكشوط. يكون فضاء ثقافيا مدمجا (يحتوي سينما، قاعات تسجيل مرئي ومسموع، ورشات تصنيع إلخ)؛

إيفاد متدربين موريتانيين في ميادين المسرح المختلفة الإخراج والديكور، كتابة النصوص الدرامية، التمثيل والإدارة الفنية؛

استقدام فنيين في مجالات المسرح لتدريب الفنيين الوطنيين؛

إيفاد طلبة موريتانيين في مختلف مجالات العمل المسرحي للتكوين المتوسط والعالي في الخارج لموابة فتتاح المسرح الوطني بكفاءات وطنية؛

المساهمة في تأطير وتنظيم وتكوين الجمعيات والروابط الأهلية المسرحية؛

تشجيع المؤلفين المسرحيين وكتاب السيناريو الوطنيين بالمنح والتدريبات والجوائلا؛

تنظيم مهرجان وطني لمسرح الهواة تمنح خلاله جوائز وميداليات تشجيعا للإبداع وإثراء للساحة الثقافية؛

تنظيم مسرح جوال في داخل الولايات للترفيه وخلق مناخ ثقافي يملأ الفراغ المعرفي للمواطنين ويرتقي بذوق العامة وينمي روح الانتماء الوطني وخصال المواطن الصالح، وذلك باختيار مواضيع هادفة يعالجها المسرح الجوال حسب المناطق وخصائصها؛

تنظيم مسرح مدرسي وجامعي وإقامة تصفيات سنوية لاختيار الفرق والنصوص، وتشجيع المواهب بالمنح والجوائز؛

تشييد مسارح في عواصم الولايات؛

تكوين فرقة مسرحية وطنية وأخرى للفنون الشعبية تمثل البلاد في المناسبات الرسمية.

ب- الموسيقى:

إنشاء كونسرفتوار وطني للموسيقى يعنى بجمع وحفظ التراث الموسيقي؛
تشكيل مجمع موسيقي يعنى بالبحوث والدراسات الموسيقية ويعهد إليه بإقامة متحف موسيقي متخصص لحفظ الآلات الموسيقية من الاندثار؛
تشجيع الروابط والفرق والمجموعات الموسيقية الأهلية على تصنيع وتسويق المنتج الموسيقي الموريتاني بالتعاون مع القطاع الخاص لخلق صناعة فنية موريتانية (استوديوهات للتسجيل ومؤسسات للتوزيع) تستقطب المجال الحيوي الثقافي الموريتاني في البلدان المجاورة؛
إقامة مهرجان وطني للفنون الشعبية للعناية بالموروث الفني الموريتاني المصاحب للموسيقى من شعر شعبي وغناء ورقص وفن محاكاة وحكايات وأساطير وتدوينها وحفظها؛
إقامة مهرجان كل سنتين للأغنية الموريتانية يهدف إلى تطوير الأغنية وتكريم المبدعين في مجالات: الكلمة واللحن والأداء، للارتقاء بها إلى مستوى الأغنية العالمية دون التفريط في الأصالة؛
تنظيم مهرجان للموسيقى الرحالة في نواكشوط

ج- الفنون التشكيلية:

إقامة معرض كل سنتين للفنون التشكيلية يتم خلاله إبراز إبداعات فنانينا التشكيليين وتشجيعهم وحفز ملكاتهم بالجوائز والمنح والمساعدات الأخرى؛
تشجيع قيام روابط وجمعيات التشكيليين، ودعم المبادرات الحرة في هذا المجال؛
تشجيع التشكيليين ودفعهم إلى المشاركة في المعارض العربية والإفريقية والدولية؛
إقامة مرسم عام في إحدى دور الثقافة مخصص للمبدعين في هذا المجال؛
دعم فنون الزخرفة والخط وتنظيم معرض وطني لها.

د- الكتاب والنشر:

مواكبة حملة الكتاب والمطالعة عن طريق:
سن يوم وطني للمطالعة تمارس فيه القراءة في المكتبات ومراكز العمل ويدعا (زمن المطالعة)؛
إقامة وحدة للطباعة والنشر تابعة لوزارة الثقافة تعنى بنشر التراث الثقافي وتركز على إبداعات الشباب؛
إنشاء صندوق لدعم الباحثين في المجالات الثقافية؛

تزويد المكتبة الوطنية بالكتب والوسائل الحديثة؛
إقامة معرض سنوي للكتاب بالتعاون مع ناشرين وطنيين وأجانب لإطلاع الجمهور والمختصين على آخر الإصدارات وتوفيرها بأسعار السوق؛
إصدار سلسلة سنوية بعنوان (المطالعة للجميع) تطبع مجموعة كتب ذات نفع عام بسعر رمزي.

المحور الثالث: في التراث الثقافي

أ- الآثار:
إعادة تشكيل وتنظيم الجهات المكلفة بقطاع التراث (مخطوطات وآثار مواقع تاريخية إلخ)؛
تسجيل المواقع الأثرية وفقا للنصوص القانونية المتعلقة بحمايةالتراث؛
البحث في مختلف المتاحف والمجموعات الأثرية في العالم عن الآثار والمخطوطات الموريتانية والحصول عليها أو على صور منها؛
وضع سجل للمقتنيات الأثرية والتحف وغيرها وإيداعه لدى المتحف الوطني.

ب- المخطوطات:
جمع المخطوطات وفقا للإحصاء الوطني للمخطوطات الجاري الآن؛
نشر عيون المخطوطات وفقا لبرنامج محدد؛
دعم المكتبات المخطوطة الخصوصية بالوسائل الحديثة؛
إنشاء مراكز لتجميع المخطوطات في أماكن كثافتها ودفع مالكيها بالحوافز إلى التنازل عن حفظها للأجهزة المختصة؛
تكوين خبراء في ترميم وحفظ المخوطوطات؛
إنشاء مخبر لترميم وحفظ المخطوطات.

ج- المتاحف:
وضع برنامج متكامل لإعادة تزويد المتحف الوطني بالقطع الأثرية واللوازم الحديثة؛
تكوين أثاريين ومحافظي متاحف ومرشدين في الخارج، وإقامة دورات تدريبية للطاقم الحالي لتحسين خبرته؛
إقامة متاحف متخصصة في كل عاصمة ولاية حسب خصائصها المهنية والمعرفية والبيئية (صيد، زراعة، معادن، قنص بري، موسيقى، مخطوطات).

المحور الرابع: في النشاط الثقافي
إنشاء دور للثقافة في جميع عواصم الولايات ومقاطعات نواكشوط التسع للترفيه والتنشيط الثقافي ويتم تزويدها بوسائل العمل الثقافي المرئي والمسموع وآلات وأدوات المسرح والموسيقى والمطالعة والنشاط الكشفي والألعاب الذهنية؛

تنظيم أسابيع ثقافية سنوية في إحدى الدول الشقيقة والصديقة للتعريف بنهضة البلاد وثقافتها وتراثها؛
تنظيم مهرجان للشعر يكون فرصة لاستقطاب المبدعين الوطنيين وعرض إنتاجهم على النقاد؛
مساعدة وتأطير الجمعيات الثقافية الأهلية بالدعم؛
طباعة ديوان أو كتاب من عيون التراث أو الإبداع الحديث الموريتاني كل سنة بالتعاون مع جهة وطنية (روابط الأدباء والعلماء والفنانين وغيرهم) أو خارجية (وزارات ثقافية شقيقة أو صديقة أو هيئات دولية).

المحور الخامس: إجراءات مكملة ومصاحبة

أ- التعاون الدولي:

يعتبر التعاون الدولي في مختلف مستوياته من منظمات دولية وإقليمية وقارية وتعاون ثنائي ومع المنظمات غير الحكومية، عصب هذه السياسة الثقافية، طالما لم تتوفر للدولة والقطاع الخاص الموريتاني الإمكانيات الكفيلة بتلبية متطلباتها في مجالي الاستثمار والخبرة اللازمين.
ولبلوغ الهدف من هذا التعاون الدولي فإنه ينبغي تكثيف الاتصال بالهيئات والدول والمنظمات المانحة للدعم عن طريق:

- الانتظام المشاركة في المناسبات الثقافية والفكرية التي تعقدها؛
- الانتظام في دفع اشتراكات بلادنا في موازنات المنظمات الدولية والإقليمية؛
- عقد الاتفاقيات والبرامج المشتركة للحصول على المساعدات التقنية، والتجهيزات والمعونات المادية التي تحتاجها اللاد.

ب- التكوين:

كما يلاحظ في كل فقرة سابقة من محاور هذه السياسة فإننا نؤكد على التكوين وصناعة الخبراء. ذلك أن التكوين هو مفتاح نجاح واستمرار العملية التنموية، ولاسيما في المجال الثقافي؛ وبمقتضاه سيتم ما يلي:
تحديد حاجيات القطاع في مجال التكوين على مديين قريب ومتوسط؛ يعنى الأول بتحسين الخبرة بالتدريبات والدورات التكوينية، ويعنى الثاني بالتكوين المتوسط والإيفاد إلى الخارج لاستكمال التخصص؛
إقامة المعاهد والمراكز المتخصصة حسب الإمكان، ووفقا للحاجة.

ج- الاتصال والتعبئة:

إن تعميم هذه السياسة والتحسيس بها يتطلب حملة إعلامية واسعة النطاق لإشراك وتعبئة كل القطاعات

والأوساط والفاعلين والمستفيدين منها، للحصول على دعمهم وانخراطهم الكامل ومشاركتهم الفاعلة فيها؛ وذلك لأن الثقافة، التي تعتبر عند الجميع حقا وملكية عامة، تماما كالتعليم والصحة والأمن، هي فوق ذلك وبعده ناظم التنمية الأساس ومنطلق فعلها الرئيسي.

د- المتابعة

سيعهد إلى خلية مركزية بمتابعة تنفيذ مقتضيات هذه السياسة وتسجيل النواقص والإيجابيات في مختلف مراحل التطبيق واستخلاص الدروس والتجارب اللازمة للاستفادة منها مستقبلا.

V- إطار التنفيذ

أ- طاقم القيادة:

إن تنفيذ السياسة الوطنية في مجال الثقافة مسؤولية وزارة الثقافة والشباب والرياضة، حيث يوجد مرتزها المؤسسي.

غير أن التنمية الثقافية تتطلب على المستوى الحكومي تعاون مختلف القطاعات الوزارية. وتضاف إلى تلك الدوائر الحكومية، بطبيعة الحال، الحركة الثقافية الوطنية، والثير من الهيئات التي تشجع مشارة أعضائها في الأنشطة الثقافية والترفيهية. بل إن مثل تلك الهيئات أصبحت تشكل أكثر فأكثر الإطار الأمثل لتنسيق السياسات الوطنية.

وهذا ما يجعل من اللازم إدراج آليات تنسيق ومتابعة تنفيذ الاستراتيجية الوطنية للتنمية الثقافية، في خطة شاملة تتصل بمختلف القطاعات.

وعلى هذا الأساس تم اقتراح إطار يشمل:

جهازا لاتخاذ القرار: مجلس وطني للثقافة، يوضع تحت رئاسة الوزير المكلف بالثقافة؛ ويضم ممثلين عن كافة الفاعلين المعنيين بالشأن الثقافي (القطاعات الوزارية، المنظمات الثقافية، التجمعات المحلية والخاصة، المثقفين)؛

جهازا فنيا للتنسيق: لجنة لقيادة السياسة الوطنية في مجال الثقافة، يرأسها منسق من الموظفين السامين يعينه الوزير المكلف بالثقافة. وتضم هذه اللجنة ممثلين عن الوزارات المعنية، والحركة الثقافية الوطنية، وهيئات المجتمع المدني المشاركة في تأطير العمل الثقافي، والممولين المتدخلين في تمويل أنشطة تنفيذ إستراتيجية التنمية الثقافية.

هيئات للتنفيذ: لجان جهوية للمتابعة، تكون تحت سلطة الوالي. وهي تتشكل من ممثلين عن المصالح المعنية، والمنظمات غير الحكومية المحلية، والمنتخبين المحليين، والرابطات الثقافية.

ب- مخطط التمويل:

يتطلب تنفيذ استراتيجية التنمية الثقافية تجنيد موارد معتبرة من قبل الدولة، والتجمعات اللامركزية، والشركاء في مجال التنمية، والقطاع الخاص.

وعلى هذا الأساس، ستقوم الدولة - علاوة على التعزيز المؤسسي للوزارة المكلفة بالثقافة- باتخاذ الإجراءات التالية:

الاعتراف للقطاع بوضعية مجال استراتيجي أفقي لمكافحة الفقر، مع مراعاة ذلك في الإطار الاستراتيجي لمكافحة الفقر، وفي إعداد إطار النفقات في المدى المتوسط للقطاع طبقا لتوجهات استراتيجية التنمية الثقافية؛

تزويد الوزارة المكلفة بالثقافة بموارد من ميزانية الاستثمار والدعم، خلال الفترة 2004-2010؛

إدراج قرض التعويض للبرامج والمشاريع الممولة من خلال العون العمومي في مجال التنمية؛

إدراج مخصصات سنوية بميزانية القطاع الملف بالثقافة تخصص من جهة لنفقات مشاركة فرقنا في التظاهرات الدولية؛ ومن جهة أخرى لنفقات تنظيم تظاهرات وطنية.

وستكون التجمعات اللامركزية محفزة لبرمجة بعض الموارد ضمن ميزانياتها لتمويل أنشطة على المستوى الجهوي والمحلي.

وسيتم الاتصال بالشركاء، في الإطار الثنائي أو المتعدد الأطراف، بغية تحديد مراكز اهتمامهم، وضبط التزاماتهم.

ج- شروط النجاح المثلى:

سيكون تنفيذ استراتيجيةالتنمية الثقافية مجالا للتحاور الدائم بين الفاعلين المتدخلين في المجال الثقافي للوصول إلى التناسب اللازم بين الترجمة الفعلية للأولويات في بنود الميزانية والممارسات المؤسسية.

اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم
بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

الورشة الوطنية لعصرنة برامج التربية الفنية من منظور إسلامي

نظمت اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ورشة وطنية فنية في نواكشوط ما بين 4 و8 إبريل 2004 تحت عنوان: (من أجل عصرنة برامج التربية الفنية من منظور إسلامي).

افتتحت الورشة من طرف الكاتب العام لوزارة الثقافة والشباب والرياضة السيد عبد الله ولد بنحميده، وبحضور كل من الكاتب العام لوزارة التهذيب الوطني، والأمين العام للوزارة المكلفة بمحو الأمية والتوجيه الإسلامي والتعليم الأصلي.

حفل الافتتاح كان مناسبة لتبادل الخطب بين الأمين العام للجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم وممثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

1- كلمة الأمين العام لوزارة الثقافة والشباب والرياضة

تحدث السيد الأمين العام قائلا:

... لا يخفى عليكم ما للتربية الفنية، بصفة خاصة، والجمالية بصفة عامة، من أهمية على الأصعدة التربوية والعلمية حيث صقل المواهب وقيادتها إلى الابتكار، التي هي أهداف سامية تسعى الأمم الراقية إلى امتلاكها كأداة لا غنى عنها للتقدم الاقتصادي والاجتماعي. وهي طموحات شكلت الأبعاد الإنمائية لفلسفة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيد أحمد الطايع، الذي ما فتئ يدعو إلى التسلح بالعلم والمعرفة. والتي جسدتها حكومة معالي الوزير الأول الأستاذ الصغير ولد امبارك في برامجها الإنمائية...

وأضاف الأمين العام في كلمته ثناء على مختلف الأطراف والشركاء الذين عملوا على حسن إعداد الدورة قائلا:

... أشكر كذلك السيد الأمين العام للجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم ومعاونيه على حسن أدائهم في تنظيم هذه الورشة.

كما أشكر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة على حسن تعاونها مع موريتانيا عموما وإسهامها خاصة في هذه الورشة...
وختم السيد الأمين العام حديثه قائلا:
... في الأخير أعلن على بركة الله افتتاح الورشة الوطنية حول "تحديث برامج التربية الفنية من منظور إسلامي".

2-كلمة السيد الأمين العام للجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم السيد اجبه ولد الشيخ سعد بوه:

السادة الأمناء العامين،
السيد ممثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة،
أيها المشاركون الأفاضل،

إن التربية الفنية والجمالية التي تسعى إلى تحقيق جملة أهداف نبيلة من شأنها غرس الحس الجمالي والذوق الفني، وصقل المواهب ورعايتها، وتنمية المهارات اليدوية والدفع إلى الابتكار والإبداع والتخيل، تمكن من اكتساب حس التنظيم في العمل التسلسلي، والتنسيق بين التفكير والحركة والتعبير عن الذات بمختلف الوسائل.

كما تمثل فرصة للتواصل مع موروثنا الثقافي العربي الإسلامي الذي بوأ الحس الجمالي منزلة لا تضاهى، خاصة من خلال مجالات تشهد لأمتنا بالإبداع والريادة والتميز، كالفن المعماري الإسلامي الذي لا يزال متميزا شرقا وغربا في عالم العمران والتشييد، والخط العربي الذي تحول إلى لوحات فنية تتعانق فيها مقاييس وضوابط العلم مع إشراقات وإلهام الإبداع والفن هذا الخط الذي مثل في حد ذاته أحد الفنون التشكيلية المتميزة وساهم عبر العصور في نقل حضارة الأمة وانفرد بالتشرف في كتابة القرءان الكريم.
وفي هذا الشأن، ستبقى ذاكرة التاريخ شاهدة على إسهامات الشناقطة الجليلة في مجال الخط العربي ونسخ الدواوين والمصنفات خدمة للكتاب والمعرفة، ونشرا للعلوم والمعارف، ضمن مشروع ثقافي رائد جعل بلاد شنقيط تربط بين الثقافة والبداوة بشكل غير مسبوق، ففيها نشأت المؤسسات التربوية المتنقلة، والمكتبات المحمولة على ظهور المطايا، والجامعات التي لا توصد أبوابها.
أيها السادة والسيادات،
تتذكرون دونما شك أن السلطات العمومية، في سعيها إلى الرفع من أداء منظومتنا التربوية، قامت خلال السنوات الأخيرة وبتوجيه سام من رئيس الجمهورية، السيد

معاوية ولد سيد أحمد الطايع، بسلسلة من الإجراءات الهامة من بينها إصلاح النظام التربوي، وإقرار إجبارية التعليم القاعدي، ووضع خطة طموحة لتنمية قطاعات المعرفة.
وضمن هذا المشروع الحضاري المتكامل الذي حدد معالمه فخامة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيدي أحمدالطائع وهو المشروع الذي يشكل نشر العلم ومحاربة الأمية وترقية الكتاب والمطالعة ومكافحة الفقر، ركائزه الأساسية، وتقوم حكومة الوزير الأول الأستاذ الصغير ولد امبارك بتنفيذه من خلال استراتيجية تربوية وتكوينية محكمة.

إخوتي، أخواتي،

إنكم وخلال هذه الدورة ستتلقون عروضا هامة في المواضيع التالية:

أ- الأبعاد الحضارية والثقافية والاجتماعية للخط العربي؛

ب- الخط العربي بمختلف أنواعه وتأثيره على الفن المعماري الإسلامي.

إضافة إلى حلقات تكوينية متنوعة في مجال التخصص ذاته.
ونظرا إلى أهمية هذه المواضيع، فإنني أدعوكم إلى الاستفادة من العروض النظرية والورشات التطبيقية، حتى تخرج دورتكم المباركة بتصور واضح ومتكامل حول آليات تعزيز حضور التربية الفنية والجمالية في مدارسنا، وتطوير الخط العربي في مؤسساتنا التربوية بما يلائم عصر التطورات التقنية المتلاحقة.
وقبل الختام، لا يسعني إلا أن أشكر منظمتنا الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -الإيسيسكو- وعلى رأسها مديرها العام الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري على دعمهما المتواصل لبلادنا ودورها في إنجاز هذه الورشة.
والسلام عليكم.

3- كلمة السيد ممثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) الأستاذ عبد العزيز بوفلجة:

استهل السيد ممثل المنظمة خطابه قائلا:
اسمحوا لي في البداية أن أعرب لكم باسم معالي الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - عن اعتزازنا وسعادتنا لحضوركم معنا حفل افتتاح ورشة العمل الوطنية حول تطوير برامج التربية الفنية من منظور إسلامي التي تعقدها المنظمة الإسلامية بالتعاون مع اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والثقافة والعلوم.
إن حضوركم معنا اليوم يؤكد مدى الاهتمام الذي توليه الجمهورية الإسلامية الموريتانية لموضوع التربية

بوجه عام، والتربية الفنية على وجه الخصوص، وحرصكم على تطوير هذا المجال.

ولا بد في هذا المقام من الإشادة بالدعم الذي تتلقاه المنظمة الإسلامية من بلدكم الكريم للنهوض برسالتها على الوجه الأكمل خدمة للحضارة الإسلامية.

وبهذه المناسبة أتمنى كل النجاح والتوفيق للسيد اجيه ولد الشيخ سعد بوه، بعد تعيينه أمينا عاما للجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل معاونيه على ما بذلوه من جهود مشكورة من أجل التحضير والإعداد الجيد لعقد هذه الورشة في أحسن الظروف.

وللعلم فإن هذه الورشة سيتم تأطيرها من قبل خبيرين اثنين. خبير من المملكة المغربية وهو السيد محمد امزيل، الخبير في الخط العربي والمعروف بكفاءته وجديته والذي أهنئه بالمناسبة على اختياره وأتمنى له كل التوفيق. كما يساعده في الإشراف على الورشة السيد محمد المختار ولد سيدينا وهو خبير من الجمهورية الإسلامية الموريتانية.

حضرات المشاركين الأفاضل، لقد جاء اختياركم من قبل بلدكم بغية الاستفادة من خبراتكم ولإغناء تجربتكم من خلال هذه الورشة لذا فإن التكوين الذي ستتلقونه أمانة في أعناقكم ويتعين عليكم نقل هذه الخبرة وهذه التجربة إلى طلابكم. إنها مسؤولية كبرى ينبغي أن تضطلعوا بها في ظل التحديات الجديدة التي تواجه الناشئة في مطلع الألفية الثالثة.

إن اختياركم تم بناء على استحقاقكم وأرجو أن تكونوا في مستوى ما ينتظره منكم بلدكم وفي مستوى ثقة المنظمة الإسلامية التي تدرك الدور الذي يضطلع به مدرس التربية الإسلامية في تنمية القدرات المعرفية للطفل.

أيها الحضور الكريم،

إن المنظمة الإسلامية إذ تعمل على تطوير التربية الإسلامية واللغة العربية، فهي تسعى إلى تمكين هذا التعليم من الاضطلاع بدوره التاريخي في المحافظة على الخصوصيات الحضارية والثقافية للشعوب الإسلامية. كما تطمح المنظمة الإسلامية إلى جعل هذا التعليم يواكب عملية التنمية المستدامة ويستفيد من كل ما تتيحه من إمكانات. ومن هذا المنطلق، ينبغي إصلاح منظومة هذا التعليم والارتقاء بمحتواه وملاءمته مع أهداف العملية التربوية ومتطلباتها. لذا، فإن المؤسسة التعليمية للقرن الحادي والعشرين مدعوة إلى تلبية الاحتياجات المستقبلية من خلال تعزيز تدريس القيم والمواد الفنية لتنمية ملكة الخلق والإبداع التي تميز بني البشر عن سائر الكائنات الأخرى.

ويستهدف مفهوم التربية الفنية، أي دور الفن في المنظومة التربوية، إثارة المشاعر لدى الطفل والمراهق وإبراز

شخصيتهما عبر تطوير الأنشطة التربوية التي تقدمها المؤسسة التعليمية على نحو متوازن. وتشمل التربية الفنية مختلف وسائل التعبير التي تمنحها البيئة المحيطة بالطفل. وبذلك يسخر هذا الأخير أنشطته الترفيهية والطبيعية في عملية إعادة اكتشاف الذات ومحيطها الاجتماعي والثقافي.

إن تدريس الفنون ليس ذا طابع فكوي محض، بل يخاطب العقل والجسد على حد سواء وينمي ملكة الإبداع عند الفرد. وتزداد الحاجة إلى هذا النوع من التعليم إن على المستوى النظامي أو غير النظامي، في وقت يشهد فيه العالم توجها نحو تقدير روح الإبداع من جهة وانفتاح التخصصات على بعضها البعض من جهة أخرى، لا سيما بين العلوم والفنون. ويكتسي هذا المنظور متعدد التخصصات أهمية قصوى لتمكين الناشئة من فهم العالم في بعده الشمولي. لقد آن الأوان إذن لتمكين أطفالنا من الاستفادة من هذا التعليم.

من هذا المنطلق، فإن الورشة ستهدف ما يلي:

التوعية بأهمية تعزيز التربية الفنية من منظور إسلامي في مختلف مستويات المنظومة التربوية على نحو يمكن من تغيير المواقف والسلوكات تجاه التربية الإسلامية

تطوير برامج التربية الإسلامية؛

تكوين المدرسين في مجال الخط العربي الإسلامي.

وستواصل المنظمة الإسلامية جهودها لدعم الدول الأعضاء تعزيزا لقدرات الأمة وتمتينا لأواصر التضامن بين المسلمين.

وفي الأخير شكر ممثل المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، الأستاذ عبد العزيز بوفلجة، الحضور.

من نشاطات المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم -الألكسو-

يقوم الدكتور المنجي بوسنينة منذ تعيينه على رأس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الألكسو - بالمشاركة في كافة المؤتمرات والمنتديات التي من شأنها الرفع من مستوى العمل داخل المنظمة نذكر من بين هذه الأنشطة:

- شارك خلال شهر أغسطس 2003 في المنتدى الإقليمي حول الحوار بين الحضارات الذي عقد بمدينة أوربد/ جمهورية مقدونيا الذي أشرفت على تنظيمه منظمة اليونسكو. ويهدف إلى الإسهام في إقرار السلام والاستقرار في منطقة جنوب شرق كوريا (المنطقة المستفيدة). حضر المنتدى المدير العام لمنظمة اليونسكو ووزراء كل من (ألبانيا - البوسنة والهرسك - بلغاريا - كرواتيا - المجر - سلوفينيا - صربيا - الجبل الأسود - مقدونيا) وممثلون عن عدة منظمات دولية وإقليمية وممثلون عن المجتمع المدني. هذا وقد ألقى الدكتور المنجي بوسنينة كلمة في افتتاح المنتدى عرض فيها الموقف العربي من مسألة الحوار بين الحضارات والتنوع الثقافي وإنجازات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبرامجها المستقبلية في مجال الحوار بين الثقافات والتنوع الثقافي.
- شارك خلال شهر سبتمبر 2003 في أعمال الدورة المائة والعشرين لمجلس جامعة الدول العربية التي انعقدت بالقاهرة والتي وكان من أهم بنود أعمالها المشاركة العربية في معرض فرانكفورت للكتاب 2004 الذي يتولى الدكتور المنجي بوسنينة مهمة المنسق العام له، وقد ترأس جلسة العمل الخاص باللجنة الاستشارية لإعداد المشاركة العربية في هذا المعرض وتمت خلالها بلورة إجراءات المشاركة العربية واختيار الشعار الخاص بمشاركة الدول

العربية كما بحثت برامج المشاركة وجدولتها الزمنية والتزامات الدول، علما بأن مجلس الجامعة العربية أوصى الدول الأعضاء بالإيفاء بالتزاماتها المادية طبقا للميزانية المرسومة للمعرض.

كما تدارس الدكتور المنجي بوسنينة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مع السيد عمر موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية مختلف الخطوات التي قطعت استعدادا للمشاركة العربية في معرض فرانكورت للكتاب 2004.

ومعلوم أن الكتاب الموريتاني يمثل في معرض افرانكفورت هذه السنة بترجمة إلى الألمانية لرواية القبر المجهول، أو الأصول للشاعر والروائي الموريتاني الكبير أحمد ولد عبد القادر، الحاصل على جائزة الدولة التقديرية للآداب والفنون (جائزة شنقيط).

كما شارك في الحفل الكبير الذي أقيم في موريتانيا لمنح جوائز شنقيط التقديرية للإبداع. وألقى بالمناسبة الكلمة التالية:

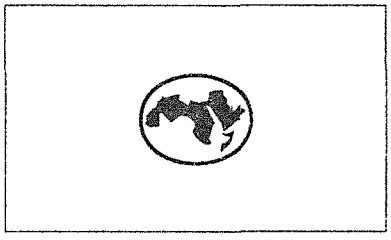

كلمة السيد الأستاذ المنجي بواسنينة

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

بمناسبة تسليم جوائز شنقيط في نواكشوط لسنة 2003

فخامة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيدي أحمد الطايع، أصحاب المعالي الوزراء، أصحاب السعادة السفراء، أيها الحضور الكريم، من الباعث على الغبطة الغامرة حضور هذا الحفل الثقافي المهيب الذي تكرمون فيه سيادة الرئيس أعلام الفكر والبحث الذين فازوا بجوائز شنقيط هذه السنة، في مجالات الدراسات الإسلامية والآداب والعلوم والتقنيات، جريا على التقليد الحميد الذي استننتموه منذ تأسيس هذه الجوائز لأول مرة في موريتانيا قبل ثلاث سنوا، وليس هذا الإنجاز الثقافي بالأمر الغريب أو الاستثنائي، فقد تابعنا عن كثب وبإعجاب الخطوات الرائدة التي اجتازتها موريتانيا في الأعوام الأخيرة بقيادتكم الحكيمة وتوجيهكم الرشيد، في المجالات الثقافية والعلمية، منوها على الأخص منها ببرنامجكم الطموح لمحاربة الأمية الذي أتى أكله، وسعيكم الناجح لتعميم التمدرس، ومبادراتكم المتكررة لتشجيع البحث العلمي واستنبات التقنيات الحديثة، وقراركم الشجاع بنشر الكتاب وإيصاله إلى مختلف مدن وقرى وأرياف الوطن. وإنكم بهذه الإنجازات تهيؤون بلادكم العزيزة لمواصلة دورها الحضاري المرموق، مركزا علميا ودينيا عتيدا، وقنطرة تواصل وثيق بين غرب الوطن العربي ومجاله الحيوي في غرب إفريقيا.

وإنني إذ أستحضر في هذه المناسبة الكريمة دور العلماء والأدباء الشناقطة في مسار الحضارة العربية الإسلامية، أذكر باعتزاز ما قدموه من خدمات جليلة لتراثنا ومخزوننا الثقافي حفظا وتحقيقا وتدوينا ودراسة وتدريسا.

فلم يكن شظف العيش وانقطاع السبل وقساوة المحيط ليحول دون انبثاق مراكز علمية رفيعة في مختلف أنجاع ومدن الصحراء الشناقيطية، لا تقل شأنا ولا عطاء عن حواضر الثقافة العربية الكبرى في مشرق الوطن العربي ومغربه.

ولا تزال كنوز المخطوطات النادرة

في مدن ولاتة وتيشيت وشنقيط ووادان، شاهدة على هذا التاريخ العبق، ولا تزال الجامعات الأهلية (المحاضر) تقدم نموذجا فريدا لنظام تربوي مبتكر خرج الأفواج متكررة من كبار العلماء والأدباء والشعراء- فاستحقت موريتانيا بجدارة لقب (بلاد المليون شاعر) الذي عرفت به.

وحق لشاعر موريتانيا المختار ولد بونا أن ينشد مفتخرا ببني قومه قبل قرنين:

ونحن ركب من الأشراف منتظم
أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا
قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة
بها نبين دين الله تبيانا

ولست بحاجة إلى التذكير بأن دولة المرابطين العظيمة قد انطلقت قريبا من شواطئ هذه المدينة الشامخة التي نلتقي فيها اليوم، ومن رباطها الذي يذكره ابن خلدون والبكري وغيرهما، انطلق أبوبكر بن عمر وعبد الله بن ياسين ويوسف بن تاشفين، والإمام الحضرمي، في ملحمة عظيمة سمحت بتوحيد أجزاء واسعة من الغرب الإسلامي، من شاطئ نهر السنغال (نهر صنهاجة) إلى جبال البرنيه في أوربا، كما مكنت من حماية ثغور الأندلس والذود عنها في مواجهة حروب استرداد الصليبية.

وأدى العلماء الشناقطة الدور ذاته في غرب ووسط إفريقيا فنشروا الدين الحنيف والثقافة العربية الناصعة والخلق القويم، وصدق التعامل دون عنف ولا حرب، فكانوا سفراء الحضارة العربية المرموقين في هذه الأصقاع البعيدة، وقدموا الدليل الساطع على قدرة الثقافة العربية الإسلامية دون إكراه أو ضغط.

ودور العلماء الشناقطة في حركة النهضة الأدبية والفكرية العربية في العصور الحديثة معروف مقدر، من أمثال ابن التلاميد وأحمد بن الأمين، ومحمد الأمين الشنيطي.. وغيرهم من الأعلام الذين أسهموا في تحقيق عيون التراث العربي الإسلامي ومارسوا البحث والتدريس في كبريات الجامعات المشرقية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن المنصرم.

سيادة الرئيس

إن هذه المفاخر والمآثر التي أدركها الغربيون بقدرما أقر بها إخوانكم العرب فسموا موريتانيا (بلد الرجال) حسب عبارة الروائي الفرنسي المشهور (سانت أكسبري) الذي افتتن بسحر الصحراء الشنقيطية، تشكل رصيدا ثمينا لهذه البلد الذي يسير بخطى متسارعة تحت خطاكم الرشيدة في طريق التحديث الثقافي والاجتماعي في وقت تتوطد مؤسساته الديمقراطية والدستورية، ويحقق اقتصاده نموا ملموسا، وتتدعم بنيته التحتية بالإنجازات الهامة، ويحرص على تأدية دوره ا لحضاري القومي باعتزاز ومسؤولية.

إننا في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم نثمن هذه المكاسب ونقدرها قدرها الحقيقي، معولين دوما على الدور الموريتاني المتميز في العمل الثقافي العربي الذي كان من آخر تجلياته انعقاد المؤتمر السابع عشر للآثار قبل أيام قليلة في نواكشوط باستضافة كريمة من الحكومة الموريتانية.

سيادة الرئيس،

إن منظمتكم العربية التي تشاطركم توجهاتهم الثقافية الكبرى وتنوه بمبادرتكم الرائدة، تسعى بكامل جهدها إلى اطلاع الثقافة العربية بدورها الإنساني والتاريخي في عالم انمحت حدوده وكثرت تحدياته، فتوجب على العرب إبداع الآليات والسبل الكفيلة بتقديم الوجه الناصع لتراث الأمة ومنظومتها القيمية، وبالدفاع عن صورتها لمواجهة حملات التشويه والدس التي تضافرت منذ أحداث 11سبتمبر . ولذا كانت المبادرات المتكررة التي رعتها المنظمة لتفعيل حوار حضاري ندي ومثمر مع الفضاءات الثقافية الأخرى في أوربا وأمريكا الجنوبية وروسيا وأفريقيا.. توصلا لثوابت ومرجعيات جامعة، ولضوابط وأخلاقيات تعايش سلمي وتعاون ناجع.

وفي السياق ذاته تبذل المنظمة جهودا متلاحقة لتقديم الكتاب العربي وتعميمه من خلال مشروع القراءة للجميع الذي أصدر بعض عيون الإبداع العربي، كان من بينها رواية القبر المجهول للروائي والشاعر الموريتاني الكبير أحمد ولد عبد القادر، الذي فاز السنة المنصرمة بجائزة شنقيط في الآداب السنة المنصرمة.

وسيكون الكتاب العربي في السنة القادمة ضيف شرف معرض افرانكفورت الذي هو أكبر معرض عالمي للكتاب، بتنسيق وإشراف من المنظمة مما يشكل دون شك مكسبا نوعيا غير مسبوق للثقافة العربية، وتحديا هائلا يستدعي تضافر وتعاون الجميع في حقل الثقافة والنشر.

وقد أردنا للمشاركة العربية فرصة سانحة طال انتظارها لتقديم العرب في إبداعهم الثقافي والفني للعالم بالوجه المشرق الذي لم يألفه من خلال العديد من النشاطات والتظاهرات المتعددة الأغراض والمظاهر.

السيد الرئيس،

لا يفوتني في خاتمة هذه الكلمة أن أجدد لكم التهنئة على فوزكم الكاسح في الانتخابات الرئاسية الأخيرة متقدما إليكم بالشكر والامتنان على دعمكم الموصول للمنظمة، ورعايتكم الكريمة لها، وتشجيعكم الدائم للمبدعين وأعلام الفكر والثقافة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

المجتمع الأهلي في موريتانيا:

نظرة تاريخية على الخصائص والمحددات

د.حماه الله ولد السالم

أستاذ التاريخ بجامعة نواكشوط

يجري درس المجتمع الأهلي، هنا، ضمن نطاق "موريتانيا التاريخية"([1]) وهو نطاق يتجاوز الحدود السياسية للجمهورية الإسلامية الموريتانية الحالية، ليشمل الرقعة المسماة "اتراب البيضان"([2])[= أرض الناطقين باللهجة العربية الحسانية] وهي المجال الذي كان مسرحا لعمليات الحركة المرابطية، والذي عرف أيضا حلول اللغة العربية فيه محل اللهجات البربرية منذ القرن الهجري الثامن (القرن الميلادي الرابع عشر) ([3])، كما يعتبر هذا المجال وحدة تاريخية لأنه عرف مؤثرات تاريخية واحدة ، وهو أيضا يعتبر وحدة بشرية لأن سكانه يتكلمون لغة عربية تسمى " الحسانية " وهي

[1] الإسم الروماني اللاتيني للمغربين الأوسط والأقصى، قبل الفتح الإسلامي، ويرجع أقدم استخدام فرنسي لتسمية موريتانيا للدلالة على " تراب البيضان" إلى الضابط جان افرانسوا كاي (Jean François) في تقاريره عن النطاق الجنوبي الغربي من البلاد خلال سنة 1843.

وتبعه في ذلك المستكشف والإداري الفرنسي رفانيل Raffanel في تقريره إلى والي السينغال في ١٦ مارس 1844.

واستقرت التسمية بشكل نهائي للدلالة على موريتانيا (شاملة كل تراب البيضان) مع المنظر الاستعماري كزافي كبولاني (X.Capolani) الذي أوعز بإصدار قرار وزاري بهذا الشأن في 27 دجمبر 1899 وستعود الإدارة الاستعمارية الفرنسية بعد ذلك إلى تقليص حدود موريتانيا إلى ما هي عليه الآن.

راجع: محمدو (بن محمد) بصدد تسمية موريتانيا، ص: 54 – 55.

[2]) راجع مثلا: مصطفى ناعمي، اتراب البيضان، معلمة المغرب، الطبعة الجديدة .

[3]) راجع ولد السالم (حماه الله) ، المجال والهوية في موريتانيا، المستقبل العربي، العدد 1997/2 ص: من 84 – 93 ص 90

من أقرب اللهجات إلى اللغة العربية الفصحى [4].
ولذلك فإن المجال المدروس يشمل بالإضافة إلى موريتانيا مناطق أخرى مجاورة، تربطها بها وحدة اللغة، والعادات والتقاليد، والنسب والتاريخ، وهذه المناطق هي من الشمال (منطقة الصحراء الغربية ومنطقة تيندوف في جنوب غربي الجزائر) ومن الشرق (غرب وشمال مالي، حيث مضارب قبائل كنتة وتجكانت والبرابيش والعناصر العربية الأخرى.[5]
وقد عرف هذا النطاق بتسميات مختلفة أشهرها: بلاد التكرور [6] وبلاد شنقيط [7]، وكان ذيوعها وثيق الصلة بتطور ركاب الحاج عند سكان المدن الصحراوية [8].
وقد أدى الانحسار المبكر للحركة المرابطية في نهاية القرن الخامس الهجري (11 م) إلى أن أصبحت البلاد ضاحية من ظل السلطان الجامع الذي كان يحكمها، ولكن التقليد الديني والثقافي المرابطي قد أبقى على عناصر مختلفة ساهمت في نشأة المجتمع الأهلي بين صنهاجة الصحراء، بالتفاعل مع مجموعة من العوامل الاقتصادية والدينية والثقافية. ويمكن التأكيد على ثلاثة عوامل أساسية في هذا الشأن :

1)- انتشار فقه المعاملات وازدياد دور الفقهاء في الحركة التجارية في المحطات القافلية والمدن العتيقة منذ ق 8 هـ على الأقل. وقد أدى ذلك إلى "الطفرة التي نشأت عن الانتقال من مستوى الاقتصاد الشفاهي إلى طور الاقتصاد الكتابي. فعن طريق انتشار الثقافة الكتابية أصبح بالإمكان التوسع في الصفقات التجارية، ولم تعد هذه الصفقات رهينة في استمرارها بقوة ذاكرة الشهود ودرجة نزاهتهم وطول أعمارهم إلى غير ذلك من العوامل الذاتية، بل أصبحت هناك شروط موضوعية للتعامل إطارها الوثيقة المكتوبة طبقا للشروط المأمور بها

---

[4]) راجع: ابن حامدن (المختار) ، حياة موريتانيا: الجغرافيا (بيروت ، دار الغرب الإسلامي والرباط: معهد الدراسات الإفريقية، 1993) ص: 88

[5]) م.ص

[6] اصطلاح إداري أطلقه المشارقة على بلاد السودان وما يصاحبها من الصحراء: راجع: ولد السالم، المجال م.س

[7] نسبة إلى مدينة شنقيط التي كان منطلق ركاب الحاج وقد أطلق المشارقة اسم هذه المدينة على البلاد وسكانها، راجع: ولد السالم، المجال ... م.س.

[8] راجع: ولد السالم (حماه الله) ، موريتانيا في الذاكرة العربية (قيد النشر)

شرعا([9]). ونظرا لأنه " كان المعول على الفقهاء في السهر على سلامة كل هذه العمليات وحل كل الإشكالات([10]) فقد رسخ ذلك من دور هذه الفئة وعزز من مركزها في المدن الكبرى.

2 - تنامي الدور النشط لقبائل مسوفة على طرق المحور الأوسط الرابط بين النطاق السوداني - الصحراوي جنوبا، وواحات أتوات فالمتوسط شمالا([11]) لاسيما بين القرنين السابع والتاسع [13-15م]. فقد نشط دور هذه القبيلة في دلالة القوافل وحمايتها، كما شكل بعض تجارها بطانة أمراء مملكة مالي لا سيما في المدن الساحلية (تنبكتو، ولاتة) بل ويعتقد أيضا أنهم مؤسسوا معظم الحواضر الصحراوية ، حسب ما يذكر الشيخ موسى كمرا نقلا عن المؤرخ الشهير محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري الولاتي(ت 1271 هـ)([12]) .

3 - مساهمة الفائض الاقتصادي الذي وفرته التجارة عبر الصحراء، في ازدهار العواصم الثقافية - التجارية في الساحلين الصحراوي والسوداني، وهو ما كان له دوره في خلق قاعدة ثقافية أنتجت نخبا علمية متمرسة بالدرس والتأليف مثل : آل الحاج، آل أقيت، آل اندغ - محمد وغيرها من الأسر العربية- الصنهاجية والسودانية المتعربة، في مدن **ولاتة، تنبكتو، جني، أروان ، تكبة**.. وغيرها من الحواضر التي ازدهرت بعد ذلك مثل: **وادان، أوجفت، شنقيط، أطار، تجكجة، تيشيت، النعمة** ..

---

[9] ولد عبد الله (ددود) ، الثقافة والفكر ببلاد شنقيط. ضمن كتاب تاريخ موريتانيا (نشر مخبر التاريخ، جامعة انواكشوط 1999) ص 79.

[10] م.ص

[11] راجع: ابن بطوطة، الرحلة. (الفصل الخاص بالسودان).

[12] صالح بن عبد الوهاب الناصري (ت1271هـ) فقيه ونوازلي متبحر، ومؤرخ ونسابة خبير، كما أنه شاعر مجيد . درس على سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم (ت 1233 هـ) وغالي بن المختار فال البصادي (ت 1241 هـ) والحاج عبد الله بن محمد الرقيق العلوشي الولاتي وغيرهم، له عشرات المؤلفات وكم كبير من الفتاوى والمراسلات وله ديوان مجموع.

راجع: أحمد بن محفوظ، صالح بن عبد الوهاب: حياته وآثاره (رسالة تخرج من المدرسة العليا للتعليم ،83-1984).

وكان في كل مدينة من هذه المدن مؤسسات أهلية راسخة ذات طابع ديني-ثقافي" الخطط الدينية : الإمامة، القضاء، الفتيا، الكراسي العلمية، ركب الحاج." وذات طابع اقتصادي-اجتماعي : القوافل التجارية، الحسبة،

وكل هذه الهيئات مقود من قبل جماعة الحل والعقد التي يرأسها القاضي أو رئيس المدينة أو الإمام [غير إمام الصلاة] كما هو الحال في أوجفت وأطار .

وقد كانت كل هذه النظم الأهلية ممولة من سكان المدن ولاسيما من كبار التجار والأعيان ومن خلال الأوقاف الأهلية ولم تكن هناك سلطة عليها من قبل الإمارات الحسانية الكبرى في المنطقة: **إمارة أولاد امبارك، إمارة مشظوف، إمارة إدوعيش.** ولا من الرئاسات مثل رئاسة **أولاد الناصر** ، رئاسة **أولاد داوود**. لكنها ظلت تقتضي منها الإتاوات بمختلف أنواعها ملاطفة أو عنوة، بالرغم من ان كل هذه القوى كانت تحيط المجتمع الديني- الثقافي[الزاوي = قبائل الزوايا] بالإجلال والاحترام ، قبل ان يتفكك سلك تلك التشكيلات المحاربة مما انجر سلبا على سكان المدن .

غير أن حظ البلاد الصحراوية "الموريتانية" من جذور المجتمع الأهلي هذه، فمؤسساته ونظمه، لم يكن متساويا بل تفاوت حظ جهات البلاد منه بشكل بين لأسباب تاريخية جوهرية، لعل أهمها أن البلاد قد توزعت إلى منطقتين متمايزتين هما :

آ) **بوادي الأطلسي** : وتشمل منطقة **تيرس** (الشمال الغربي) ومنطقة **القبلة** (= **الترارزة**) في الجنوب الغربي. وقد كان حظ هذه البوادي ضئيلا من "الإجماع" ومقتضياته بفعل عدة عوامل منها:

1-كون منطقتي "القبلة" و"تيرس" تقعان ضمن النطاق الذي كانت تعمره قبيلة كدالة الصنهاجية والتي عارضت الدعوة المرابطية وحاربتها، ولذلك فقد أضحت تلك المجالات واقعة في نطاق طرفي بالنسبة لمراكز الحركة المرابطية في شرق البلاد (أرتنني) وشمالها (أزوكي). وهو ما عبر عنه البكري ، ضمن حديثه عن مجالات صنهاجة الصحراء أوائل عهد المرابطين، حين وصف كدالة " بأنهم آخر الإسلام خطة,,,"[13] . وذلك بالرغم من أن مملكة تكرور الإسلامية تقع عنهم جنوبا قرب مصب النهر.

ثم لم تفتأ منطقة "**القبلة**"[=**الترارزة**] أن أصبحت نطاقا طرفيا في عرف أقطاب الخطط الدينية في المدن التي

---

13 المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (ط. دوسلان، الجزائر، 1985) ص:

صارت تمثل إسلام المركز، يتضح ذلك من خلال حديث الفقيه الولاتي محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي (ت1098 هـ) ضمن فتواه الشهيرة عن قائد زوايا منطقة القبلة في "حرب شربيه" الإمام أوبك بن أبهم الملقب (ناصر الدين)، حيث وصف المعني قائلا : " ظهر في الرابع وألف رجل من **طلبة البادية** قريب من منتهى الإسلام بالمغرب الأقصى ..."[14]. بل ان الفتاوى الفقهية المدينية في القرن الحادي عشر"17م" ظلت تنظر بنظرة قدحية إلى سكان البوادي لا سيما في منطقة القبلة [= الترارزة].

– وجود بوادي الأطلسي (تيرس، القبلة) ضمن النطاق الغربي لصنهاجة اللثام، والذي كان منذ القرن الرابع الهجري نطاقا هامشيا بالنسبة للتجارة عبر الصحراء ومحاورها. وقد استمر هذا الوضع إلى أيام تمركز الأوروبيين على السواحل الأطلسية [15].

ينضاف إلى ذلك عامل آخر لم يفتأ يتعزز ويتطور، وهو انخراط قبائل الزوايا في منطقتي القبلة وتيرس ضمن هياكل مبادلة الصمغ مع الأوربيين على السواحل فالنهر، في وقت تراجعت فيه أهمية التجارة بعيدة المدى لدى هذه القبائل، وهو ما عناه الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي [16] (ت 1241 هـ) بقوله : " إن زوايا المغرب الأقصى [القبلة وتيرس] لا عناية لهم بالسفر ولا بالمكيلة ..." [17].

II – **منطقة الساحل الصحراوي :** وتضم **الشرق الموريتاني** (= بلاد الحوض، أزواد، تكانت، البراكنة، لعصابة) و**الشمال** (= آدرار) وفيها ازدهرت مؤسسات ونظم المجتمع الأهلي، بفعل تطور المدن الكبرى ذات الوظيفة الثقافية والتجارية وترسخ "

14 نص الفتوى (نسخة د/ عبد الودود ولد الشيخ)

15 هناك إشارات إلى طريق ساحلية، حيث أشار إليها البكري، المغرب: وذلك في ق١١ م دون أن ينسب إليها أهمية حقيقية على حد تعبير ج. دوفيس: التجارة وطرق التجارة في غرب إفريقيا، ضمن تاريخ إفريقيا العام (ط. اليونسكو 1994) ج 3، ص: 408

16 – سيدي محمد الخليفة الكنتي (ت 1241 هـ/ 1825 م) : عالم ضليع ، وصوفي جليل، خلف أباه الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، في مقامه الفكري والسياسي، ودعم من دور الزاوية القادرية المختارية في أزواد والشرق الموريتاني وبلاد السودان، يعتبر من كبار الناثرين في غرب الصحراء إن لم يكن أكبرهم بالإطلاق، دبج مئات الرسائل وصنف عشرات المؤلفات.

راجع عنه: ولد السالم (حماه الله)، تحقيق ودراسة الرسالة الغلاوية للشيخ سيدي محمد الكنتي (قيد النشر).

17 – الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم. "قيد النشر": الفصل الخاص بالفتاوي .

الإجماع" بين قبائل الزوايا والطرق الصوفية في أحواز المدن.

آ) **الإجماع** : ([18]) نقصد بهذا المصطلح دلالته في الاجتماع السياسي، والتي تعني وجود حالة من التوافقات الثقافية - الاجتماعية، التي يعبر المجتمع من خلالها عن هويته المشتركة ومرجعيته المؤسسية والتي على أساس منها يقيس حدود الاختلاف ومستويات الترابط.

وقد ظل هناك حضور متفاوت من هذا "الإجماع" بين مختلف القبائل الزاوية بحكم الدور الذي تضطلع به، عادة، **جماعة الحل والعقد** ضمن القبائل الصحراوية "المسالمة"، مما ساهم في الحد من غلواء "فراغ السلطة" Vacance du Pouvoir وتوابعه. **غير أن "الإجماع" كان متمركزا في شرقي موريتانيا وشمالها، حيث توجد الحواضر العتيقة التي أشعت بفقهائها على المنطقة، وفيها ترسخت الأطر المؤسسية للخطط الدينية وهيئات العلماء وكبار القضاة ممن كانوا سادة الحواضر الصحراوية، وقادة جماعة الحل والعقد، التي ظلت قيمة على تسيير الخطط الدينية وتنظيم قوافل التجارة والحج، كما ظلت تقف بالمرصاد للفساد الأهلي، وتواجه بحزم ضغوط المجموعات الريفية من القوى الحسانية** ([19]).

ب) **استقلال قبائل الزوايا**: ومن تجليات "الإجماع" في أحواز المدن والبوادي في الشرق الموريتاني وبعض جهات الشمال، وجود قبائل زاوية مستقلة سياسيا واقتصاديا بفعل سيطرتها على التجارة بعيدة المدى وعدم إطراحها السلاح كليا، أو جزئيا، رغم وظيفتها الدينية. فعلى سبيل المثال كانت قبيلة **دوبسات [=البصاديون]**[19]، بالرغم من غلبة طابع "السلم" و"الحياد" عليها، قبيلا شديد الاستقلالية عن القوى المحاربة المحيطة به ، ورافضا دوما لدفع الإتاوات التي تدفعها بعض القبائل الزاوية الأخرى والتي تحمل السلاح أحيانا.

---

[18] راجع: ولد السالم (حماه الله) ، الإصلاحية والاستعمار في موريتانيا، بحث لندوة 100 سنة من تاريخ موريتانيا ، قيد النشر ، ص :2-4

[19] راجع مثلا حديث البرتلي: فتح الشكور: عن دور الحاج ألين الغلاوي (الملقب التواتي) في تنظيم الخطط الدينية والضرب على أيدي أهل الفساد .

[19] – البصاديون : من أمهات قبائل الزوايا في البلاد الموريتانية . تنحدر قبيلة البصاديين من خزرج الأندلس . وكان لتنظيماتها الطرقية دور سياسي وديني واقتصادي حاسم لم يتفكك إلا في عهد الدولة الوطنية. راجع : ابن حامد : الموسوعة "البصاديون" ، وانظر : ابن الهادي: موريتانيا عبر العصور.

وهي الخصيصة التي تفطن لها الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي بقوله:(20) بأن قبائل " الزوايا هم على أنحاء: منهم الذين **لا يحملون السلاح ولا يتخذون الأتباع ولا يواسون لصا، وهم زوايا الكبلة** [القبلة = جنوب غرب البلاد (بلاد الترارزة). **ومنهم الذين يحملون السلاح** وتأوي إليهم الأتباع ، ويواسون اللصوص، وهم مع ذلك متسيرون بسيرة الزوايا، متدينون يتعلمون العلم ويعلمونه، وفيهم العلماء والأولياء، ثم من تعدى إليهم من مدفوع المواساة من لص أو محارب، دفعوه عن أنفسهم وأموالهم وحرمهم بما بأيديهم، جالبا عليهم ذلك ما هو جالبه، وهؤلاء هم زوايا تكانت والحوض (شرق البلاد) ومن خلفهم من الزوايا إلى منتهى المعمور...".

جـ) **الطرق الصوفية** : هي الجماعات الدينية التي ينتظم فيها المريدون والأتباع حول حضرات صوفية تحتضنها تشكيلات اجتماعية مكينة.

وقد كان حظ الشرق الموريتاني (من عموم منطقة الساحل الصحراوي) من هذه الطرق، كبيرا، وكان ذلك بعد أن تبلورت الزوايا الصوفية على يد الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير (ت 1226 هـ/ 1811 م) بعد أن كان التصوف التأملي "النظري" سائدا في الأوساط المتعلمة في المدن الكبرى، (21). فظهرت الطرق الصوفية الكبرى : **القادرية الكنتية ، الشاذلية الغظفية "البصادية"، القادرية الفاضلية، التيجانية** ..

أما منطقة القبلة[الترارزة] فلم تعرف زاوية صوفية طرقية إلا مع الشيخ سيديا الكبير (ت 1280 هـ) بعد أن تخرج على يد أقطاب التصوف في أزواد [أقصى الشرق الموريتاني] حيث مقر زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي وأبنائه (22).

د)- **ركب الحاج** : كان الحج من أكثر العبادات أهمية لدى سكان شرقي البلاد وشماليها (23)

و يرجع ذلك، من بين جملة أسباب أخرى، إلى تطور تقاليد التجارة بعيدة المدى، وتصاقب تلك المدن مع المجالات التي حكمتها الممالك الإسلامية السودانية (مالي، السونغاي)

---

20 الرسالة الغلاوية م. س

21 راجع: ولد عبد الله (ددود) ، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط ، أطروحة دكتوراه مرحلة ثالثة، كلية الآداب بالرباط . (1991 – 1992) ص:

22 راجع:

23 عن الحج من الصحراء والسودان، راجع:
- **ولد السالم (حماه الله) ، المجال والهوية ... م . س.**
- **موريتانيا في الذاكرة العربية " قيد النشر" .**

والتي نسجت منذ قرون علاقات دينية وتجارية وثقافية وطيدة مع الأمصار المشرقية.

وبعد انهيار مدن الساحل، بسقوط مملكة السونغاي، استقلت مدن الساحل الصحراوي بركابها عن أصولها السودانية وأصلت تقاليدها الحجية وفق نظمها الثقافية والأهلية ومحيطها البيئي الصحراوي. وقد استطاعت جماعة الحل والعقد في كل مدينة أن تنظم ركبها الحجي الخاص: الركب الولاتي، الركب التيشيتي، الركب الوادانـي، الركب الشنجيطي، قبل أن تصبح مدينة كالركب الفلالي "السجلماسي" أو غيره.

وإجمالا فقد عرفت هذه المنطقة القصية من أطراف الوطن العربي نظما أهلية مدينية منسجمة احتضنتها تشكيلات اجتماعية راسخة حافظت على "إجماعها" قرونا قبل التغلغل البضاعي الأوربي الذي ضرب التجارة عبر الصحراء وفكك أسس التكامل بين المجتمعات "الساحلية"-الصحراوية، قبل التحكم الاستعماري المباشر الذي ضرب المجتمع الأهلي في مقتل بتحويله شنقيط منطلقا لركاب الحاج الصحراوية كلها، فأضحت تسمية الركاب كلها تعود إلى الركب الشنقيطي الكبير.

أما غرب البلاد [الترارزة + تيرس] فلم تكن لأعيان الزوايا فيه عناية بالحج ولا بالرحلة كما لم ينتظم، على الإطلاق، ركب حجي قادم من تلك الناحية، بل كان حجاج تلك النواحي، وأسماؤهم معدودة في الزمان والمكان، يلتحقون بالركاب الحجية المدينية في شرق البلاد وشمالها، أو ينتظمون في الركاب الحجية المغربية "الجهوية" مراكز سبل الحياة إلى البحر فالنهر، مما أنهى الدور التاريخي للمدن في نشر الثقافة العربية-الإسلامية جنوبا، ومكن لملحقي الإدارة الاستعمارية في إدارة الدولة الوطنية التي عمقت نفس المسار في تقويض المجتمع الأهلي عبر عنفها المؤسسي والقانوني المستمر..

ولعل السبيل الأقرب لبناء مجتمع مدني موريتاني معاصر هو ترميم ذماء الإجماع الأهلي ومقتضياته إنقاذا لما بقي من هوية الأهليين ومصالحهم.

تطور المعارف على ضوء تطور الحضارة العصرية من التقاليد المروية إلى مجتمع المعلوماتية

الأستاذ: محمد المختار ولد امباله رئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقا

إن الله سبحانه وتعالى خلق النفوس الإنسانية خالية من العلوم والمعارف، صالحة لاكتساب كل العلوم والمعارف، وزودها بالوسائل التي تمكنها من ذلك، قال تعالى: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون"[1].

فالإنسان "جاهل بالذات عالم بالكسب" كما يقول ابن خلدون[2]: فهو من جنس الحيوانات ولكن الله سبحانه وتعالى ميزه عنها وشرفه عليها بالفكر الذي يوقع به أفعاله على انتظام، ويحصل به العلوم والمعارف، وشرفه الله سبحانه وتعالى على جميع الكائنات بمزية العلم، وذكره بنعمة تعليمه العلم. قال تعالى: "علم الإنسان ما لم يعلم"[3]. وقال تعالى: "خلق الإنسان علمه البيان"[4].

ولما أعطى الله سبحانه وتعالى الفكر للإنسان وميزه به جعل له حاجات تدعوه إلى استعمال ذلك الفكر وتوظيف تلك الطاقات المساعدة في تحصيل المعارف فجعله محتاجا إلى المعاش، والاجتماع مع أبناء جنسه والتعاون معهم، واتباع ما تصلح به دنياه وأخراه، فهو مفكر في ذلك دائما، ومن هذا الفكر تنشأ العلوم والمعارف والصنائع.

وإذا كان الأمر هكذا فمن الطبيعي أن تبدأ العلوم والمعارف بالتدرج سالكة سبيلها نحو التطور والارتقاء، وهكذا بدأت فعلا، فقد بدأت العلوم والمعارف في جانبها البشري ضعيفة وخافتة، فانطلقت من التقاليد المروية والمعارف

[1] النحل 78.

[2] عبد الرحمن بن خلدون – المقدمة: ص335.

[3] العلق: 5.

[4] الرحمن 2.

البسيطة المنقولة شفهيا، ولـم تـزل تتطور وترتقي حسب تطور العقـل البشري وتطـور التجـارب حتـى وصلت إلى ما وصلـت إليـه فـي عصرنا الحاضر من ثـورة علميـة بهرت الناس وحيرت الأنظـار.

أما العلوم والمعارف المنقولـة عـن طريق الوحي فإنها تبدأ فـي غايـة التمام والكمـال لأنـها تـأتي مـن الحكيـم الخبـير عـن طريـق المعصوم، وهذا مـا يميـز شـرعنا الإسلامي وقوانينا الإسـلامية.

ومما لاشك فيه أن العلـوم البشـرية لن تقـف عنـد هـذا الحـد الـذي وصلـت إليـه، فسـيظل الفكـر البشري يواصـل سـيرته العلميـة وبحثـه الـدؤوب عـن علـوم ومعارف لـم تكـن متوفـرة لديـه فينجح فـي ذلـك أحيانـا ويفشـل أحيانا أخرى وينشط تـارة ويكسـل تارات أخرى وتتبعا، لذلـك تزدهـر العلوم والمعارف أحيانا وتضمحـل وتتراجع أحيانا أخـرى. وهـذا مـا يجعلنا على يقيـن مـن أن أي أمـة من الأمم يمكن أن تصـل إلـى مـا تصبو إليـه مـن درجـات التقـدم العلمي إذا هي أخذت بأسباب ذلـك فسـلكت طريـق التعلـم والبحـث الجاد، ونبذت الكسل وتطلعـت إلـى التقدم في العلـوم، فليسـت العلـوم والمعارف حكـرا علـى أمـة دون أخرى، ولا على جنس دون آخـر، وليست هنالك عقـول قـادرة علـى التقدم والرقي وأخرى عـاجزة عـن ذلك.

يقول الإمـام الغزالـي رحمـه الله تعـالى: إن العلـوم مركـوزة فـي جميـع النفـوس البشـرية، وكلـها قابلة لجميع العلـوم، وإنمـا يفـوت نفسها حظها منه بسبب طـارئ.

وإذا كـانت العلـوم هكـذا ولـدت وهكذا تطورت فلا شـك أننـا فـي حالة كـهذه لا نسـتطيع أن نتتبـع تطـور العلـوم والمعـارف عـبر سيرتها التاريخية الطويلـة المليئـة بالغرائب والمجـاهيل، بـل نكتفـي بتنـاول بعـض الجوانـب المهمـة البارزة، وقد اقتصرنا علـى ثلاثـة جوانب هـي:

أولا: الجـانب المعرفـي فـي المنظار العـالمي:

وهـو جـانب ثـري ومتنـوع ومتشـعب، فقـد أسـهمت أمـم متعددة، وحضـارات مختلفـة فـي تطويـر العلـوم والمعـارف حتـى شكل تراثها العام كمـا هـائلا مـن التراكمات العلمية كـان لـه الأثـر الكبير في ما وصلت إليـه البشـرية اليوم من التقدم العلمي، ولئـن كـان بعض هذا الـتراث مجـهولا فـإن تاثيره لا شـك بـاق، إذ المعـارف

الإنسانية كلها وثيقة الصلة شديدة الترابط، فكل جيل بشري يبدأ من حيث انتهى من قبله، مع أن الآثار التاريخية شاهدة بعظمة العلوم والمعارف في قرون مضت لا نعلم عنها إلا القليل، والأخبار التاريخية تفيد أن هناك أمما مضت وحضارات بادت لم تصل إلينا علومها ومعارفها.

يقول ابن خلدون: فالعلوم كثيرة، والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون، وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما قد وصل فأين علوم الفرس؟ وأين علوم الكلدانيين والسريانيين وأهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها؟ وأين علوم القبط ومن قبلهم؟ وإنما وصل إلينا علوم أمة واحدة وهم اليونان خاصة لكلف المامون بإخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الأموال فيها، ولم نقف على شيء من علوم غيرهم. (المقدمة ص29).

وعندما تحدث ابن خلدون عن العلوم الطبيعية قال: وأعلم أن أكثر من عنى بها في الأجيال الذين عرفنا أخبارهم الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الإسلام وهما: فارس والروم، فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغتا لما كان العمران موفور! فيهم والدولة والسلطان قبل الإسلام وعصره لهم، فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وأمصارهم، وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عناية بالسحر والنجامة وما يتبعها من الطلاسيم، وأخذ ذلك عنهم الأمم من فارس ويونان فاختصر بها القبط، وطمى بحرها فيهم...

وأما الفرس فكان شأن هذه العلوم عندهم عظيما ونطاقها متسعا لما كانت عليه دولتهم من الضخامة واتصال الملك ويقال إن هذه العلوم إنما وصلت إلى يونان منهم حين قتل الإسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستولى على كتبهم وعلومهم...

وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان أولا، وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب، وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه يقراط الدن، ثم إلى تلميذه افلاطون، ثم إلى تلميذه أرسطو، ثم إلى تلميذ الاسكندر الافرودسي وتامسطيون

وغيرهم، وكان أرسطو أرسخهم في هذه العلوم وأبعدهم صيتا، وكان يسمى المعلم الأول، فصار له في العالم ذكرا ولما انقرض أمر اليونان وصار الأمر إلى القياصرة وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم.. وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزانتهم فملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم، (المقدمة ص353 - 354).

وقد تحدث الباحث سيدي وقار أحمد حسني عن الإنجازات العلمية والحضارية الإغريقية والرومانية والاسكندرانية والسريانية والساسانية (الفارسية) والهندية البوذية والصينية، فتحدث عن أكاديمية (كند يشابور) كأعظم مركز فكري في ذلك الوقت أيام حكم كسرى (انو شروان) العادل (531 - 979م) أعظم الملوك الساسانيين، وقد اتخذها اتباع المذهب النسطوري المسيحي مركزا لأفكارهم فجلبوا إليها ترجمانهم السريانية للطب الإفريقي عندما اغلق معهدهم الطبي من طرف الكنيسة الارتودكسية ومن طرف الإمبراطور البيزنطي، ورحل إليها علماء وفلاسفة الأفلاطونية عندما أغلقت أكاديمية أثينا ثم تحدث عن الجامعات البوذية مثل جامعتي (لانادا) و(فلابي) وذكر أنهما تأسستا لمدة قرون قبل الإسلام وقال إن هذه الجامعات ظلت مراكز عالمية للفكر العالمي، وظلت الهندية البوذية رائدة للمعرفة لعلوم الطب والكيمياء والرياضيات والفلك والهندسة والتكنولوجيا، وذلك بفضل الأعمال الإبداعية الخلاقة لرجال مثل: (أدريا باتا) الأول المولود سنة 476م و(لاتا ديفا) و(فراهيميرا) المتوفى سنة 587م.

وتعتبر رسالة هذا الأخير في الرياضيات وعلم الفلك واحدة من أعظم الأعمال العلمية التي كتبت في ذلك الزمان، وقد ترجم البيروني بدقة متناهية بحثين من أبحاث (فراهيمرات) إلى اللغة العربية في القرن الخامس الهجري وبينما كانت الرياضيات تتطور في الصين كانت علوم الفلك والرياضيات الهندية تنتشر في الصين بفضل الصحوة البوذية[5].

ولم يقتصر الباحث حسيني على هذه المراكز بل ذكر مراكز أخرى، وتعرض لشخصيات

[5] سيد وقار أحمد حسيني: السياسات الثقافية والعلوم الإسلامية – ص:20 إلخ.

علمية ودراسات في مجال العلوم صدرت في تلك العصور المختلفة، تدل في مجملها على الجهود الكبيرة التي بذلها المجتمع البشري منذ قرون عديدة في سبيل تحصيل العلوم والمعارف مما يعطي صورة واضحة عن الإنجازات العلمية المتنوعة التي توصلت إليها الأمم المختلفة، ويدل على أن الموروث العلمي والحضاري موروث عالمي لا يقتصر على أمة من الأمم ولا جنس من الأجناس البشرية دون غيره، فهو ملك الجميع ونتيجة أفكار وتجارب الجميع. ويجب أن يستفيد منه الجميع، ولاشك أن هذه النماذج تشير إشارة واضحة إلى هذه العالمية وذلك الانتقال فقد انتقلت العلوم من الدول الرومانية إلى الفرس، ومن الهند إلى الصين وهذه سنة كونية ستظل قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومن لم يستفد من علوم الأمم وتجارب الشعوب على اختلاف أنواعها وثقافاتها فسيظل مترديا في درك الجهل والتخلف.

ولما جاء الإسلام كان دين علم وحرية وانفتاح فأقبل رجاله على علوم ومعارف الحضارات السابقة ينهلون منها حتى استطاعوا أن يلعبوا دورا متميزا وأن يسهموا إسهاما كبيرا في تطوير هذه العلوم وإثرائها كما سنرى في المحور التالي.

ثانيا الجانب المعرفي من المنظار الإسلامي:

لقد جاء الإسلام لتحقيق الحق وإبطال الباطل وتصحيح العقائد والأخلاق وتحرير الأفكار، وتفجير الطاقات، فنقل البشرية من طور إلى طور وبنى حضارة عالمية قائمة على أساس العدل والعلم والفضلية فاستوعبت جميع العلوم والمعارف واحتوت جميع الملل والنحل، وضمت كل الشعوب والأمم فصاغت الجميع صياغة جديدة قائمة على قواعد الإسلام الراسخة ومبادئه السامية، فازدهرت في ظل الإسلام الوارف العلوم والمعارف ازدهارا لم تعرفه من قبل، فابتدع علوما، وطور علوما، وأبرز معارف كانت مكنونة لولا فتوحاته.

وبما أن المقام لا يتسع لتفصيل هذا الموضوع الشيق الثري فإنني سأحاول تلخيص الكلام فيه في محورين:

أ – محور العلوم النقلية:

وقد برزت فيه الحضارة الإسلامية وعلماء الإسلام فأبدعوا فيه إبداعات مذهلة، وأحدثوا فنونا عديدة ووضعوا قوانين دقيقة تنبئ عن فكر في غاية الرقي وعقل في غاية الرجاحة. وقد اعتمدوا في هذا الجانب على نفوسهم فلم تكن لهم استعانة بمن سبقهم وإنما أعانتهم نصوص الوحي وملكاتهم العربية وقرائحهم المتقدة بنور الإيمان، فأبدعوا علوم التفسير وعلوم الحديث، وعلوم الفقه والأصول والقواعد، وعلوم اللغة والأدب، فأثروا المكتبة العالمية بمؤلفات في غاية الدقة والحسن فاقت الحصر وأربت على العد، فدبجوا بها التراث الإنساني وبرهنوا بها على رقي الفكر الإسلامي.

ب - محور العلوم العقلية:

أو الطبيعية كما يسميها ابن خلدون ويقول إنها هي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وبراهينها ووجوه تعليمها من حيث هو إنسان ذو فكر (المقدمة 309). وهذا النوع من العلوم هو الذي تحدثنا عنه في الجانب الأول ويرى البعض - نظرا لوضعية المسلمين اليوم - أن الحضارة الإسلامية لم تهتم به ولم يكن لها منه حظ، وهي نظرية خاطئة لأن الحضارة الإسلامية حضارة واعية تبني ولا تهدم، تصحح ولا تلغي تأخذ النافع وتترك الضار، وقد وجدت أمامها حضارات وعلوما وتقنيات فاستفادت منها في جانبها التقني، فبدأت تبني عليها وتطورها إذ لا يمكن أن تنطلق أي حضارة من فراغ، فالبناء الحضاري متكامل، كل حضارة تعتبر لبنة من لبناته، وكل حضارة تعتبر نتاج حضارة أخرى وقد ساعد المسلمين في الاستفادة من علوم الأمم الأخرى ومعارفها الفتوحات الإسلامية والترجمات واعتناق بعض أهل هذه العلوم الإسلام ودخول بعضهم في ذمة الإسلام يقول ابن خلدون: لقد جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه من الأمم، وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى إذا تبحبحوا من السلطان والدولة وأخذوا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم، وتفننوا في الصنائع والعلوم وتشوقوا إلى الإطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما

سـمعوا مـن الأسـاقفة والأقسـة المعاهدين من ذكر بعضـها، فبعـث أبو جعفـر المنصـور إلـى ملـك الروم أن يبعث إليه بكتـب التعـاليم مترجمـة فبعـث إليـه بكتـاب أو اقليدس وبعـض كتـب الطبيعيـات وقرأها المسـلمون وأطلعـوا علـى ما فيـها، وازدادوا حرصـا علـى الظفـر بمـا بقـي منـها، وجـاء المأمون بعد ذلك فأوفد الرسل إلـى ملوك الروم فـي اسـتخراج علـوم اليونـانيين واستنسـاخها بـالخط العربي وبعـث المـترجمين لذلـك فأوعى منـه واسـتوعب، وعكـف عليها النظـار مـن أهـل الإسـلام وحقوا فـي فنونـها وانتـهت إلـى الغاية أنظارهم فيها وخـالفوا كثـيرا من آراء المعلـم الأول، واختصـوه بـالرد والقبـول لوقـوف الشـهرة عنده، ودونوا فـي ذلـك الدواويـن وأربوا على من تقدمـهم فـي هـذه العلوم، وكـان مـن أكـابرهم فـي الملة أبـو نصـر الفـارابي، وأبـو علي ابن سينا بالمشرق، والقـاضي أبو الوليـد ابـن رشـد والوزيـر أبوبكر بن الصائغ بـالأندلس إلـى آخرين بلغوا الغاية في هـذه العلـوم (المقدمـة 354).

فهذا النص يبين اسـتفادة المسـلمين ممن تقدمهم من أهل هـذه العلـوم، وكيـف اسـتفادوا منـه، والمكانـة التي وصلوا إليـها حيـث تفوقـوا على من تقدمهم ودونـوا الدواويـن ونقـدوا الآراء.

ويحاول بعض البـاحثين أن يرسـم خريطة لمسيرة المسـلمين العلميـة عبر التاريخ فيقول إنـهم اسـتفادوا مـن ترجمـات العلـوم الإغريقيـة والسريانية والبهلوية إلـى العربيـة، ويقول إن هـذه الترجمـات كـانت في غاية الانتقائيـة، وأنـها كـانت مرتكـزة علـى معـايير شـرعية واضحة المعـالم، وأنـها اسـتمرت بشكل رئيس قرابة مائـة وخمسـين سنة من منتصـف القـرن الثـاني الـهجري وحتـى نهايـة الثـالث وكانت هذه المرحلة معلمـا بـارزا لفـترة التكييـف الإبداعـي للعلـوم والحضـارة الإسـلامية ومقدمـة لمرحلة الإبداع الذاتي التـي جـاءت بعد ذلك واسـتمرت حتـى نهايـة القرن السابع الهجري وقـد شـهدت نهايـة القـرن الخـامس الـهجري منعطفا هاما للمسلمين فـي العلـوم الإبداعية والسـيادة الفكريـة علـى العالم خـلال العصـور الإسـلامية الوسطى، لكن العلـوم والمعـارف الإسلامية تتقهقر مع نهايـة القـرن السـادس الـهجري لتبلـغ أدنـى مستوى لها في نهاية القرن التاسـع الهجري، وبالرغم من ذلك لـم يبـدأ تأثير العلـوم الإسـلامية بطريقـة

منهجية على العلـوم الغربيـة إلـى حين انتـهى تفوقـها الفكـري فـي أواخر القرن الخامس الـهجري.

وقـد تبعـت تلـك الفـترة حقبـة انحطاط وهـدم للعلـوم الإسـلامية والحـروب الصليبيـة والموجـات المتتابعـة مـن الغـزو المغولـي (التتـار) فـي القرنيـن السـادس والسـابع الـهجري وفـي هذيـن القرنين بالذات نشط العـالم الغربـي بصفـة مكثفـة جـدا فـي تقليـد واسـتيعاب العلـوم والمعـارف الإسـلامية وذلـك مـن خـلال الترجمـة المنظمـة لأعمـال المسـلمين، ومـن خـلال إنشـاء جامعات في الغـرب كـان الـهدف منها استيعاب هذا التيـار الجـارف مـن المعـارف الإسـلامية التـي عمرت البلاد الغربية، وقـد بلغـت هيمنة العلوم والمعـارف الإسـلامية ذروتها في نهايـة القـرن السـابع الهجري برغم كـون هـذه الفـترة واحدة من أكثر الفـترات انحطاطـا في تاريخ المسـلمين[6].

فهذا النص رغم ما يؤخذ عليه فـي عدم الدقـة فـي التواريـخ يضـع أفكارا عامـة وخطوطـا عريضـة تعطي تطـورا لمسـيرة المعرفيـة العلمية للمسلمين وما مرت به مـن تطورات ومـا اعتراهـا مـن مـد وجزر، ويمكننا أن نسـتخلص منـه ومن نص ابن خلـدون الـذي قبلـه الأفكار التاليـة:

1- أن المسـلمين العـرب لـم يعرفوا هذه العلوم ولم يسـمعوا عنها إلا عندما احتكوا بغـيرهم مـن الأمـم ذات الحضـارات، وقد احتكوا بـها عـن طريـق الفتوح الإسلامية، ودخول أهـل الذمـة فـي نطـاق الدولـة الإسـلامية.

2- أن المسـلمين اهتمـوا بـهذه العلوم فـور إطلاعـهم عليـها وسـماعهم عنـها فبـدأوا يـترجمون وينقلـون ويقـرأون ويمحصـون.

3- أن المسـلمين نتيجـة لدراسـتهم العميقـة ومطالبتـهم الجـادة وأبحاثـهم الدقيقـة وحضارتـهم الفتيـة ودولتـهم ذات السـلطان الواسـع استطاعوا أن يتفوقوا على مـن تقدمهم.

4- أن الحضارة الإسـلامية فـي هـذا الجـانب مـرت بثـلاث مراحـل: مرحلـة الاقتبـاس والتعلم من الغير، ثـم مرحلـة التقدم والتفـوق والإبـداع، ثـم مرحلـة الضعـف والانحطـاط

[6] سيد وقار أحمد حسيني: السياسات الثقافية والعلوم الإسلامية ص: 24-25.

وهذه سنة مـــن سـنن الله فـي الكون يمر بها كل كـــائن قـابل للنمو وللتطـور.

5- أن الغـرب تعلـــم مـــن المسلمين وقلدهـم ونقـل عنـهم علومهم ومعارفهم عـن طريـق الترجمة كمـا فعـل المسـلمون مع من قبلهم، فكان ذلـك بدايـة وأساسا لنهضتـه الحديثـة، وإذا بالتـاريخ يـدور مـرة أخـرى ليتعلم المسـلمون مـن غـيرهم ويـأخذوا عنـه حضارتـه وعلومه، وسيظل الأمـر هكـذا، حضـارة ترتقـي وتزدهـر فيقتبـس منـها ويؤخـذ مـن علومها ثم تأخذ فـي الضعـف والإنحطـاط فتظـهر أخـرى كانت ضعيفة ومتخلفة، ولكنـها كانت علـى الـدرب الصحيـح تسير في طريق النمـو والتقـدم فتحتل الصدارة، وتصبح مثـالا يحتذى به، ثم تـأخذ بعـد ذلـك في الضعـف والانحطـاط ثـم تظهر أخرى، وهكـذا دواليـك (وتلـك الأيـام نداولـها بيـن النـلس).

6- ونتيجة لضعـف المسـلمين اليـوم وتخلفـهم فـي مجـال التقنيات أصبـح الحديـث عـن قوتهم وتقدمـهم سـابقا حديثـا يقولـه اللسـان ولا يصدقـه العقل، ولكن تصدقـه الشـواهد التاريخية وشهادات الأشـخاص المحايدين من أمثـال:

1, والويـس يونـق: إذ يقـول فـي كتابـه (العـرب وأوروبـا) قصـة التفـاعل بيـن حضـارتي العـرب وأوروبا شائكة وطويلة وهـي تبـدو قصة فتوحـات وإعـادة فتوحـات فإنها تأخذ أحيانا أشـكال مبـادلات ثقافية متناوبة أخذا وعطـاء.

ونحن عندما نسـلم اليـوم أن آسـيا وإفريقيا تتمثلان أوروبا قـدوة لـهما يجب أن لا تنسـى الوجـه الآخـر للصحوة فـي العصـور الوسـطى عندما عكفت أوروبـا علـى علـوم العرب من فلسفة وطـب وطبيعـة، واستمر ذلك لفترة طويلـة حتـى إذا كان القرن الثـامن عشـر قبسـت منهم نار الرومانطيقيـة.

2, جوزيف رينـو: إذ يقـول فـي كتابه (الفتوحـات الإسـلامية) فـي الفترة التي كان ملك اليـون يطلـب العلاج عند خليفـة المسـلمين فـي قرطبة كان الأوروبيـون يرحلـون إلى اسبانيا لطلب العلـم، وتعلمـوا فيها العلوم الطبيعية والرياضيـات، وربمـا رجـع أحدهـم بتجـارب فيزيائية وكيميائيـة مذهلـة فيعتـبر سـلحرا.

ويقول أيضا: لقد ظـل النـاس فـي فرنسـا والبلـدان المجـاورة لـها

أجيالا طويلة لا يفكرون إلا في عظمة الفكر الإسلامي وبقوة المسلمين واتساع آفاق فتوحاتهم، وكذلك كان الرأي العام يعزو إلى العرب كلما هو عظيم وضخم من المنجزات العمرانية.

3. أما المؤرخ الامريكي درابي: فإنه يقول في كتابه (النمو الثقافي في أوروبا) ما إن رسخت أقدام العرب في اسبانيا حتى شرعوا في عملهم الفريد الوضاء، وأصبح خلفاء قرطبة أكبر حماة للعلوم، وأقاموا الدليل على سمو دون تناقض بصورة صارخة مع بداية الأمراء الأوروبيين، وتحت إدارة هؤلاء الخلفاء بلغت قرطبة أوج ازدهارها، فبعد غروب الشمس يمكن للمرء أن يقطع فيها عشرة أميال في شوارع مستقيمة مضاءة بالفوانيس، وبعد سبعة قرون من ذلك لم تكن لندن عرفت بعد الإضاءة العمومية، وكانت شوارع قرطبة مضاءة بطريقة جيدة، وبعد أربعة قرون من ذلك لم يكن الباريسي يستطيع أن يخطو عتبة بيته دون أن يغوص في الوحل إلى كعبته.

إن العرب لم يحملوا معهم إلى اسبانيا الأحقاد الطائفية أو الدينية، ولا محاكم التفتيش وإنما حملوا أنفس شيء في العالم (السماحة والفلاحة).

4. الأمير تشارلز أمير ويلز ولي عهد بريطانيا: قال في خطاب له ألقاه في مسرح شيلدونيان (أكسفورد) بمناسبة زيارته لمركز اكستفورد للدراسات الإسلامية بتاريخ 27 اكتوبر 1993م:

إن هناك قدرا من الجهل بالفضل الذي تدين به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامي، فالعالم الإسلامي في العصور الوسطى من آسيا الصغرى إلى شواطئ الأطلسي كان عالما ازدهر فيه الباحثون ورجال العلم، ولكن بالنظر إلى أننا نميل إلى اعتبار الإسلام عدوا للغرب فقد جنحنا إلى تجاهله ومحو أهميته بالنسبة لتاريخنا، فقد قللنا مثلا من أهمية ثمان مائة عام من الثقافة الإسلامية في اسبانيا بين القرنين الثامن والخامس عشر.

لقد تم الاعتراف منذ عهد طويل بمساهمة اسبانيا في ظل الحكم الإسلامي للمحافظة على العلوم والمعارف الكلاسيكية خلال عصور الظلام، وفي وضع اللبنات الأولوية الأولى للنهضة الأوروبية، ولكن اسبانيا في عهد المسلمين كانت أكثر من مجرد مخزن حيث احتفظت بالمعارف

والعلـوم الإغريقيـة التـي اسـتفاد منـها فيمـا بعـد العـالم الغربـي العصري الذي أخذ فـي الظـهور، فإسبانيا في عهد المسلمين لـم تقـم فقـط بجمـع المحتـوى الفكـري للحضـارة اليونانيـة والرومانيـة وحفظه، بل فسرت تلـك الحضـارة وتوسعت فيـها، وقدمـت مسـاهمة مهمة من جانبـها فـي كثـير مـن مجـالات البحـث الإنسـاني فـي العلـوم والفلـك والرياضيـات والجـبر (الكلمـة نفسـها عربيـة) والقانون والتـاريخ والطـب وعلـم العقـاقير والبصريـات والزراعـة والهندسة المعماريـة وعلـم الديـن والموسيقى، وقد سـاهم ابـن رشـد وابن زهر على غـرار نظيريـهما ابن سينا والرازي في الشـرق فـي دراسة الطـب وممارسـته بطريـق استفادت منها أوروبا لقـرون عـدة بعد ذلـك.

لقد شجع الإسلام البحـث والتنقيـب وحافظ عليها، وثمـة قـول مـأثور جاء فيه: (إن حـبر العـالم أقـدس من دم الشهيد). لقد كـانت قرطبـة في القرن العاشر أكثر المـدن فـي أوروبا تحضرا فنحن نعـرف عـن وجـود مكتبـات عموميـة فـي اسـبانيا، ويقـال إن مكتبـة حـاكم قرطبة كانت تضم أربعمائـة ألـف مجلد أي ما يزيد على عـدد الكتـب فـي جميـع المكتبـات فـي بقيـة أوروبا جميعـا. وقـد كـان ذلـك ممكنا لأن العالم الإسلامي اكتسـب من الصين مـهارة صنـع الـورق قبل حصول أوروبا غـير المسـلمة على تلك المهارة بأربعمائـة عـام، كما أن كثـيرا مـن المزايـا التـي تفخر بها أوروبـا العصريـة جـاء أصلا مـن اسـبانيا أثنـاء الحكـم الإسلامي، فالدبلوماسـية، وحريـة التجـارة، والحـدود المفتوحـة، وأساليب البحث الأكـاديمي وعلـم الانتروبولوجيـا وآداب السـلوك، والموضـة والطـب البديـل، والمستشفيات بمقدار ملفـت للنظـر من التسـامح بالنسـبة إلـى تلـك الحقبـة، فقـد منـح اليـهود والمسيحيين الحق فـي ممارسـات معتقداتهم الموروثـة، وكـان بذلـك قدوة لـم تحتـذ بـها للأسـف دول كثيرة في الغـرب.

والمدهش أيها السـادة والسـيدات، هو مدى تشكيل الإسلام جـزء مـن أوروبا لفـترة زمنيـة طويلـة: أولا في اسـبانيا ثـم البلقـان، ومـدى مساهمته في الحضارة بكاملـها.

إن الإسـلام جـزء مـن ماضينـا وحاضرنـا فـي جميـع مجـالات البحث الإنساني، وقـد سـاهم فـي إنشاء أوروبا العصرية، أنـه جـزء

من تراثنا وليس شيئا منفصلا عنه

لقد اخترت أن أنقل هذا النص حرفيا رغم طوله لقرب تاريخه، ومكانة صاحبه في العالم الغربي، وأهمية النص نفسه لما انصف به من الإنصاف وما تضمن من الإقرار بالحقائق التي يتجاهلها الكثير من أبناء جنس المتكلم وإن كان لا يجهلها، وهي حقائق مهمة في هذه الحقبة التاريخية بالذات التي تزايد فيها الاهتمام بالتواصل الحضاري والبحث عن جسور العبور إليها.

ولا شك أن هذه النصوص مجتمعة تدلنا على أهمية التفاعل الحضاري، وأهمية الاستفادة من عقول الأمم البشرية وعلومها وتجاربها على اختلاف أنواعها وأجناسها.

ويتضح لنا أيضا أن ما وصلت إليه الحضارة اليوم من تطور وتقدم، وما حققته من ثورة علمية في مجالات الحياة المختلفة ليس إلا نتيجة لتراكمات من التجارب والعلوم والمعارف شارك في صياغتها وتطويرها واحتضانها والارتقاء بها إلى هذا المستوى، كثير من الشعوب والأمم الغابرة وكانت الأمة الإسلامية وحضارتها العالمية خير من ساهم في ذلك، وكانت الحلقة الأخيرة التي استمدت منها وبنت عليها الحضارة الغربية الحديثة.

(موضوع يتواصل)

في النقطة الثانية: الجانب المعرفي من المنظار الموريتاني

الـرحـــلات الشـنـقيـــطيـــة، ربـــاط للثقـــافة والـوصال

(قراءة في الوصل الثقافي بين المشرق العربي وبين موريتانيا)

(الجزء الأخيـــر)

محمدن بن أحمد بن المحبوب

المفتشية العامة للتعليم الثانوي الفني / قسم اللغة العربية / نواكشوط - موريتانيا

في الجزء الأول من هذا البحث تناولنا مظاهر من الاتصال بين الثقافة المشرقية والثقافة الموريتانية من خلال نماذج وانتهينا إلى الحديث عن أحمد بن الأمين الشنقيطي وأثره في التعريف بالبلاد. ونواصل الحديث عنه في هذا العدد.

ولا ننسى أن صورة المشرق قد بدت متميزة عند هذا الرجل الذي أثنى على صديقه أحمد تيمور منوها بعلو همته وسعيه الجاد إلى تنقيح التراث وجمع المخطوطات، فقد صادف بحوزته نصا شعريا عزيز المنال، تطلبه في مشارق الأرض ومغاربها ولم يظفر به إلا في رفوف مكتبة هذا المصري، يقول: "وهذه ميمية حميد بن ثور التي عارض محمد بن الطلبه المترجم له وقد تطلبتها سنين عديدة في رحلتي إلى الحجاز والشام والقسطنطينية فما وقفت لها على إثر ولا عثر حتى سألت عنها صاحب الهمة السامية الدائب على إحياء التراث سعادة أحمد بك تيمور أحد الأعيان بمصر"[1].

وأكثر من ذلك نوه ابن الأمين بسعي أحمد أمين الخانجي مشيرا إلى أنه هو الذي ندبه إلى تأليف كتاب يعرف ضمنه بأبناء قومه ويتناول أدبهم فألف كتاب "الوسيط في تراجم أدباء شنقيط" استجابة لهذا المصري. وردا على أولئك الذين يقصرون الإبداع على أهل المشرق وهم عن أدب الشناقطة

[1] أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الطبعة الثانية مؤسسة الخانجي بمصر 1958، ص128.

معرضون يقول: "وبعد فلما كان تدوين الآثار يفيد اعتبار أولي الأبصار ندبني من لا تسع مخالفته ولا يحسن إلا ملاطفته صديقي السيد أمين الخانجي أن اجمع له ما تسنى لي من شعر أهل بلدي مما استقر في خلدي لاستحسانه ما سمع مني معزوا إليهم فأجبته إلى ذلك الطلب راجيا من الله حسن المنقلب وأخبرت بذلك بعض نبهاء المصريين فاستغرب ذلك ظنا منه أن الآداب العربية لا يتصف بها غير الأقطار المشرقية ولم يقل ذلك عن سوء نية ولا خبث في المطوية فحدتني الحمية العصبية إلى نشر هذا البز الدفين لينشر في المغربين والمشرقين"[2].

وبذلك تعلم أن الرجل سهر لتنقيح العلوم بمصر عاكفا على الدرس والتأليف لا يلهيه بيع ولا تجارة ولا يشغل باله زوج ولا ولد.

ومن الوجوه الشنقيطية بالمشرق كذلك محمد فال بن بابه العلوي (ت.1349هـ) الذي تلبث بالمدينة المنورة فلقي بساحتها عبد الجليل بوادة وأحمد زروق بن العربي التونسي والسيد محمد بن خليفه فحاورهم أفادهم واستفاد منهم[3]. وفي طريق عودته من المدينة يمر على قرية الينبع لتتوطد صلته بمسؤول سام في الإدارة السعودية اسمه محمد الارنوطي وهو الذي ساعده كثيرا وتحمل عنه نفقات الإقامة طيلة شهر كامل هنالك وقد دعاه صاحبنا ببيتين ضمنها توريه رائعة تكشف عن كرم الارنوطي الذي أحيا سنة الكرم الندى بعد ما أميتت بعد أمير "ينبع" المسمى إبراهيم يقول[4] (الطويل):

أيا قاصد الينبع إن كنت سائلا
وليس لإبراهيم ثمة مرصد
فإن ينابيع الندى بعد لم تغر
فملة إبراهيم أحيا محمد

أما في مصر فإن هذا العلوي يزور الجامع الأزهر ليحدثنا عن مقرراته المدرسية ورواج الحركة العلمية مشيرا إلى تعدد المذاهب الفقهية بساحته يقول: "ثم سرنا للجامع فوجدنا فيه المدرسين يقرئون "خليلا" و"العزية" مع أن فيه الشافعيين الحنفيين"[5].

أكثر من ذلك اتصل بالذيب المصري أحمد حمزة الذي يبدو فخورا بالشناقطة غيورا على معارفهم، فقد أكد لضيفه أنهم معادن اللغة وجواهر الأدب. وقد نقل إلينا ابن باب هذا اللقاء الأدبي بكثير من التواضع المعرفي يقول: "فلما أتينا عبد الفتاح، أرسلنا لشيخ من علماء البلد اسمه أحمد حمزة، وقد كان أوصاه أنه إذا لقي بعضا من علماء شنقيط أنه

---

[2] المرجع السابق: ص3

[3] محمد فال بن باب العلمي: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام. مخطوط بحوزتنا.

[4] المرجع السابق.

[5] المرجع السابق

بدله عليه. فظن أننا ممن يضرب له في ذلك، ربما يستمن ذو ورم. وسرنا إلى أن وجدنا الشيخ بشاطئ البحر فرحب بنا ومكثنا معه ساعة في فضاء متسع ثم صنع لنا مائدة وقال لنا -وكنا ننشده بعض الأشعار- ما معناه: أنتما اللذين تعرفان علم الأدب أما أهل المغرب فإنما يعرفون أحكام الاستنجاء"[6].

وقد جرت مشاعرة طريفة بين ذلك الأديب المصري وبين صاحبنا وافتتحها الأول بأبيات تعيق بأريج الشوق إلى مؤالفة الشناقطة ومعاشرتهم يقول (الكامل)[7]:

تركوا المقام بمنزلي وجواري
فلأجل ذا حمر الدموع جوار
قالوا نخاف البرد قلت جوانحي
فيها لهيب فاق حر النار
إن غبتم عن منزلي ما غبتم
عن خاطري كلا ولا أفكاري

فأجابه صاحبنا بقوله[8] (الكامل):

يا حلية الأعصار والأنصار
عقل القلوب وناظر الأبصار
إن نهجرنكم لاقلي لكما
فيض الندى منكم دواما جار
فنحيد عن فيض الندى إذ نختشي
غرقا بطافي لجة التيار

ويبلغ الخطاب الشنقيطي بالمشرق أعلى مستوياته مع العلامة محمد حبيب الله بن مايابى الجكني (ت. 1383هـ) الذي ألقى بالحرمين عصا التسيار ونفع الله بعلمه تلك البقاع فمكث هنالك متعبدا ومؤلفا حينا ومحاورا العلماء أهل الفضل أحيانا أخرى وذلك ما أوضحه أحد طلبته بمن كتب حياته وترجم له يقول: "وقد حج بعد حجة الفرض سبع مرات واعتمر مرارا واعتكف في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام جاور بالمدينة المنورة سنين وأزيد منها بالمسجد الحرام ولقي كثيرا من أعيان العلماء والأولياء الكبار فصحبهم في غربته بالحرمين الشريفين[9].

أما في مصر فإنه تصدر للتدريس بالأزهر الشريف فترة أبان خلالها تميز الثقافة الشنقيطية وقدرتها على منافسة مثيلاتها في المشرق، لذلك تسابق علماء الأزهر إلى تقدير هذا الجكني وتقريظ كتابه "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم"، فقد نوه مصطفى المراغي شيخ الأزهر بهذا الشنقيطي مؤكدا أنه "منح سعة الإطلاع وحب البحث"[10]. هذا في الوقت الذي مال الشيخ عبد المجيد بن اللبان عميد كلية

---

[6] المرجع السابق

[7] المرجع السابق

[8] المرجع السابق.

[9] محمد حبيب الله ولد مايابى: زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ. ج5ز ص553.

[10] المرجع السابق: ج5، ص554، 555

أصول الدين إلى أن هذا الجكني "مـــن أكبر المحدثين فهو حجة ثقة ومرجـــع ومنار يستهدى به"[11].

أما محمد إبراهيم السمالوطي محـــدث الديار المصريـــة فقـــد نـــوه بالكـــاتب والكتاب مؤكدا أن زاد المسلم مؤلـــف عظيم وكتاب كريم يهدي إلـــى الحـــق وإلى طريق مستقيم ولا غرو فمؤلفـــه محدث عصره وزينة العلمـــاء ويتيمـــة دهره"[12].

الشناقطة بالحجاز، قنوات للتأثر والتأثير

لابد من التنبيه إلى أننا لن نقصر حديثنا في هذا المقام على الجامعة الإســـلامية فقط، ذلك لأن تأثير الشناقطة بالحجـــاز كان من العمق والترابط بحيث لا يمكن فصل بعضه عن بعض ثـــم إن القـــوم (الشناقطة) قـــد انتظمـــت لـــهم أدوار بجوامع المدينة ومعاهدها قبيل تأســـيس الجامعة الإسلامية، ولا يحسن بنا إهمال هذه الأدوار لذلك ارتأينا تكميلا للفـــائدة أن نعرض -ولـــو قليـــلا- للحضـــور الشنقيطي بالحجاز قبل تأسيس الجامعـــة الإسلامية الفتية نسبيا (تأسســـت ســـنة 1961م/1381هـــ) فقبل هـــذه المؤسســـة الجامعية كان المرتحل الشنقيطي ينشـــر العلم بتلك الربوع الحجازية إما بالمسجد الحرام، وإما بأكناف طيبة. وهذا النشـــر وإن لم يكـــن تحـــت ظـــل الجامعـــة الإسلامية فإنـــه كـــان إرهاصـــا لـــها وتحسيسا بها. ومن هنا نخلـــص إلـــى القول إن ارتبـــاط الشـــناقطة بالمدينـــة المنورة قديم، فالطالب المختـــار ولـــد الأعمش العلوي (ت.1107هـــ) قـــد زار المدينة وحـــاور علماءهـــا حيـــث أجازه عالمها أبو إسحاق إبراهيم بـــن الحسن الشهابي الكردي في رواية موطأ مالك وصحيحي البخاري ومسلم، ثم إن المحدث صـــالح الفلانـــي الشـــنقيطي (ت.1221هـــ) أقام بالمدينة يعلم النـــاس ويجيزهم في الحديـــث مقدمـــا إليـــهم الأسانيد العالية، وقد أجاز كمال الديـــن المجيدري ونوه بمعارفه حافظته مؤكـــدا أنه أكبر حـــافظين اثنيـــن وردا إلـــى الحجاز في تلك الفترة[13].

لا ننسى أن نشير في هذا السياق إلـــى رحلة الشاعر العلـــوي محمـــدو بـــن محمـــدي (ت. 1272هـــ) الـــذي أدى المناسك حقها وتوفي بأرض الحجـــاز وقد كان على صلة بإبراهيم صـــاحب "ينبع" المشهور يومئذ وقد خاطبه ببيتين يقول فيهما (البسيط)[14]:

يا قاصدا بطحاء مكة يرتجي

---

[11] المرجع السابق: ج5، ص555

[12] المرجع السابق: ج5، ص557

[13] احماه الله ولد السالم: مجلة الموكب الثقافي الصادرة عن اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم بانواكشوط، العدد 9-10 يناير / ابريل 1997، مقال بعنوان: الشناقطة في المشرق العربي. ص33.

[14] أحمد بن الأمين: الوسيط، مرجع سابق، ص:55.

نيل الطواف بيتها المرفوع
لا تخش من ينبوع حاجك غورة
ما دام إبراهيم في الينبوع

ولا يفوتنا أن نسجل هنـــا دور العـــالم أحمـــد ســـالم بـــن الحســـن الديمـــاني (ت.1325هـــ)، الذي كان يدرس العلـــم بربوع يثرب، وقد أخـــذ عنـــه هنـــالك الشيخ محمد أمين الشـــنقيطي الحســـني ونوه بمعارفه ترجم له في رحلته[15].

ونصل إلى محمد الأمين ولد فال الخير الحسني (ت:1351هـــــ) الـــذي لبـــث بالمدينة دارسا ومدرسا، فقد تردد علـــى دروس عبد الجليل برادة وســـمع منـــه التفسير والحديث لينتهي إلى مجـــــالس الشيخ أبى شعيب الذي خلفه على حلقته بالمدينة وأحسن الخلافة، يقول: "وفـــي سنة 1326هـــ سافر الشيخ أبو شـــعيب وكان يقرأ عليه طلبـــة مـــن مقامـــات الحريري فأمرني بإتمامها لهم ففعلـــت وطلبوا مني أن أقرئهم ألفية العراقي في مصطلح الحديث فأقرأتهم جملـــة مـــن أولها"[16].

وتجدر الإشارة إلـــى أن هـــذا الشـــيخ الشنقيطي قد اتصل بالسلطات السعودية فامتدح ملك الحجاز يومئـــذ الشـــريف الحسين بن علي بقصيـــدة مطلعـــها[17] (الطويل):

سلام أريج المسك من دون نشره
وينسى نديم الخمر صهباء خمره
وينسى من المحبوب وردة خده
وأجفانه المرضى ودقة خصره

ولا تنسى أن هذا الحسني كـــان أحـــد شيوخ العلامة عبد الرحمـــن الســـعدي الذي "قرأ عليـــه التفســـير والحديـــث ومصطلح الحديث أثناء وجوده بمدينـــة عنيزة وأخذ عنه سندا بالرواية"[18]. ومن مظاهر التأثير الشنقيطي بالحرم المدني جهود العالم محمد محمود التندغي الذي كان مفتي المالكية في بداية هذا القـــرن بالمدينة المنورة قد اشتهر بحفظ الحديث استظهار تراجم رجال السند وتصحيـــح المتن. وقد توفي بالأردن. وبعـــد هـــذا التندغي يتعزز الحضـــور الشـــنقيطي بيثرب مع محمد الخضر بـــن مايـــابى الجكني (ت.1354هـــ) مفتـــي المالكيـــة بالمدينة المنورة ومعلم الناس هنـــالك. نضيف لهذا جهود أحمد بـــن المنجـــي الاجيجبي ولد (1301هـــ) والمعـــروف في المشرق بأحمد المغربي. وقد توثقت صلته بالملك سعود وأقـــام معـــه فـــي الرياض سبع سنوات نشر خلالها العلـــم وكان إمام مسجد ابن عقيل في الطـــائف

---

[15] عبد اللطيف الدابشي الخالدي: من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة: الشيخ محمد أمين الشنقيطي / الجمهورية العراقية. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية سلسلة الكتب الحديثة، الكتاب العشرون / ط1 – 1981، ص:278-279.

[16] المرجع السابق: ص87.

[17] المرجع السابق: ص87.

[18] أحمد القرعاوي: حياة الشيخ عبد الرحمن السعدي، مطبعة سفير، الرياض، ط2 هـــ، ص:38

كما كان مفتيا أيضا[19]. ومن الشـــناقطة الذين كان لهم حضور هنالك محمد عبد الله بن محمد بن آدو الجكني الذي تولى خطة القضاء في ينبع جيزان وكـــان لا يحكم إلا بالعدل وكان مقبول الأحكام[20]. ويبلغ الحضـــور الشـــنقيطي بالحجـــاز ذروته مع الشيخ محمد الأمين بن محمد المختـــار الجكنـــي (ت. 1363هـــــ) المعروف بآب ولد اخطور. والذي تنوع نشاطه المعرفي بـــالحرمين إذ شـــمل التأليف والتدريس والمحاضرة، فلبـــث هنالك ســـنين يكـــون الرجـــال ويعلـــم الأجيال، ونال بذلك الحظوة والتقديـــر عند أولى الأمر، وإلى جانب ذلك كـــان له دور فـــاعل فـــي تدعيـــم الجامعـــة الإسلامية حيث شـــارك فـــي وضـــع مناهجها وبرامجها ساعيا فـــي الوقـــت نفسه إلى تأسيس رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع قوم آخرين. وقد أثنى عليه العلماء السعوديون فخاطبه الشيخ عبـــد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ قائلا:

"وجزى الله عنا الشيخ محمـــد الأميـــن خيرا على بيانه. فالجاهل عرف العقيدة. والعالم عرف الطريقة والأسلوب"[21].

الشناقطة ببلاد النيل: جسور للتواصل والتوصيل

ونشير هنا إلى أننا سنسعى فـــي هـــذا المقام إلى إبراز جوانب من التواصـــل الثقافي الذي تم بين مصر وبين بـــلاد شنقيط ولاشك أن تأثير الجامع الأزهـــر وحضوره يأتي في فاتحة هذا التواصـــل الذي تعزز بتـــأثير مختصـــر خليـــل وحضوره في الثقافة الشنقيطية حيـــث قابل القوم هذا الكتاب بكثير من الحماس المعرفي فـــاعتبروه العمـــود الفقـــري لمقرراتهم المدرسية بـــل إنـــهم رددوا كثيرا قولة شهاب الدين اللقاني "إننا قوم خليليون إن ضل ضللنا" لذلك تـــدوول هذا المختصر الفقـــهي بيـــن أظـــهرهم وتنـــول بالدراســـة والشـــرح والنظـــم والاستدراك والتعليق والتصويب؛ بـــل تسربت كلماته إلى الخطـــاب اليومـــي اللغة الدارجة لتتخذ لنفسها موقعا فـــي اللهجة الحسانية[22]. وزيادة على تـــأثير

[19] سيد أحمد بن احمد سالم: مجلة العرب العدد 29/ يناير – فبراير 1994، مقال بعنوان: "العلاقات الثقافية الموريتانية السعودية" ص99-100.

[20] المرجع السابق، ص100-101.

[21] سيد احمد بن احمد سالم: مجلة العرب العدد 29 يناير – فبراير 1994 مقال بعنوان العلاقات الثقافية الموريتانية السعودية: ص:99-100.

[22] هنالك عدة فقرات وجمل من "مختصر خليل" أصبحت جارية على ألسنة الناس إذ تسللت إلى خطاباتهم اليومية

المختصر أحصى أحد الباحثين اثنين ومنهم وعالما مصريا وصلت مؤلفاتهم إلى الساحة الشنقيطية كانت حاضرة في الدرس المحظري هنالك[23].

وبالمقابل سنعمل على تلمس جوانب من الحضور الشنقيطي بالصعيد المصري عموما مركزين بشكل خاص على المؤسسة الأزهرية، مشيرين إلى أن هذا الحضور يرجع حسب المتوفر الآن إلى أواخر القرن التاسع الهجري حيث التقى أحمد ولد محمد أقيت الصنهاجي التيمبكتي بالإمام السيوطي وخالد الأزهري أثناء رحلته إلى الحج سنة (890هـ)، وتندرج في هذا السياق رحلة سيد اعمر الشيخ بن سيد احمد البكاي الكنتي (ت.945هـ) الذي رحل إلى المشرق في طلب العلم والحج وصحب الإمام المغيلي والسيوطي فترة[24]. وقد تعزز هذان اللقاءان المعرفيان بفعل المراسلات العلمية ففي شوال من سنة (898هـ) كتب محمد بن محمد بن عالي اللمتوني رسالة مطولة إلى الإمام السيوطي يستفتي ضمنها عن جملة من الأحكام الفقهية. وهذه الرسالة تكشف عن مستوى معرفي رفيع إذ تعرض لفقه النوازل وبعض غامض الفروع. قد أورد الخليل النحوي هذه الرسالة بنصها كاملة في كتابه "بلاد شنقيط"[25].

ويتواصل الحضور الشنقيطي بمصر مع الفقيه القاضي عبد الله العلوي (ت.1103هـ) الذي مكث فترة ببلاد النيل فحاور خلالها الفقيه عليا الأجهوري وتلميذه عبد الباقي والخرشي في مسائل العلم، بل يقال إنه نبه هذين الأخيرين إلى فرع فقهي ساقط من نسخة "شرح الحطاب" التي بين أيديهما، فبحثوا عن ذاك فلقوه على نحو ما ذكر فعجبوا لسعة علم هذا الشنقيطي[26].

وثمة شنقيطي آخر يذهب البعض إلى انه لقي عليا الأجهوري وحاوره في مسائل العلم وأفاده واستفاد منه وهو زين العابدين بن الفغ الأمين الذي وصفه أحد الباحثين قائلا: "كان عالما في الرياضيات بالإضافة إلى الفقه وقد حج في نهاية القرن الحادي عشر ولقي عليا الأجهوري"[27].

وتتوطد صلات الشناقطة في الربوع المصرية عبر مدرسة المحدث محمد مرتضى الزبيدي (ت. 1212هـ) التي

ولغتهم الدارجية ومن ذلك قولهم: "حب قضاء فائتة مطلقا"، و"ولو من سمك"، و"فلا إشكال".

[23] الخليل النحوي: "بلاد شنقيط" تونس 1987 ص187-190.

[24] الصوفي ولد محمد الأمين: المحاظر الموريتانية وقيمتها التربوية. رسالة الماجستير، جامعة الملك سعود – الرياض. 1986. ص:475.

[25] الخليل النحوي: مرجع سابق. ص113-119.

[26] المرجع السابق. ص111.

[27] الصوفي ولد محمد الأمين: مرجع سابق. ص:475.

انصرف إليها نفر من القوم يستمعون الحديث ويلقون السمع مجيزين ومستجيزين فأمدهم بإجازات عالية واستقبل منهم أخر. ويتجلى ذلك في أن الزبيدي أجاز أحمد لحبيب بن المختار العلوي الذي ورد عليه سنة (1193هـ) كما استقبل بحفاوة عبد الرشيد الشنقيطي الذي مر به سنة (1178هـ) مصطحبا معه فتوى بشأن وقف الشناقطة المجاورين بالمدينة وكتب له ما يدعم الحق الشنقيطي وأجازه. من هنا نخلص إلى القول إن الشناقطة إذا كانوا استجازوا الزبيدي فإنهم أيضا أجازوه، إذ يذهب بعض الباحثين إلى أن عمر بن المختار الشنقيطي قد مر بمصر سنة (1174هـ) فأجاز الزبيدي نفسه، وانتظمت حوله حضرة صوفية وفائية (شاذلية) حيث كان يشرح لأتباع الطريقة الوفائية دالية شيخهم المشهورة مؤكدا أنها منتشرة آنذاك في المدارس الشنقيطية[28]. ومن الذين حلوا بمصر في وقت مبكر وكان لهم تأثير علمي يذكر الشيخ محمد بن يعقوب ابن الفاضل الشمشوي الذي اجتمع في مصر بمتصوف يسمى الحسين بن النور علي بن عبد الشكور الحنفي الحريري، وقد مر على البلاد المصرية سنة (1147هـ) فاختلف الناس في شأن أشعاره الرمزية وشطحه الصوفي فألفه هذا الشمشوي فترة ثم اعرض عنه ونأى، وقد استأنس عبد الرحمن الجبرتي في كتابه "عجائب الآثار المصرية" بموقف هذا الشنقيطي من ذلك المتصوف مما يدل على تأثير صاحبنا وحضوره في الساحة المصرية[29].

ونصل إلى سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت.1233هـ) الذي مر على مصر في رحلة حجه وحاور علماءها في مختلف مسائل الفقه، فبث علوما كثيرة وفقها واستفاد أخرى، وذلك ما أوضحه صاحب الوسيط في حديثه عن الرجل يقولك "فحج ولقي من يشار إليه من علماء مصر وذاكرهم وأفادهم واستفاد منهم. وبلغ خبره أمير مصر ولعله محمد علي باشا فأكرمه وأتحفه بفرس من عتاق خيل مصر المعروفات بالكحيلات فسئل عنها فقال جعلتها "حطابا"[30].

---

[28] احماه الله ولد السالم: مجلة الموكب الثقافي العددان 13 و14، (1997) مقال بعنوان: "صلة الحاج الشنقيطي بعلماء مصر. ص15 إلى 29.

[29] المرجع السابق ص:33

[30] احمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: مرجع سابق: ص38، وقوله "حطابا" إشارة إلى أنه قد اشترى بهذا الفرس كتاب "مواهب الليل لشرح مختصر خليل" لأبي عبد الله محمد عبد الرحمن المعروف بالحطاب وهو كتاب في الفقه المالكي نفيس، نشرته دار الفكر ببيروت، 1978 في خمس مجلدات.

وبالجملة فقد تكاثر الحضور الشنقيطي بالساحة المصرية حيث سطر الخليل النحوي في كتابه "بلاد شنقيط" عشرة من حملة الثقافة الشنقيطية وسفرائها حلوا بالأزهر وأقاموا بجنابه معالجين الثقافة المصرية ومحاورينها درسا وتدريسا وشرحا تعليقا وإضافة واستدراكا، ولعل ذلك ما جعل عبد اللطيف الدريني ينفي عن نفسه المبالغة إذا ما نوه بالمعارف الشنقيطية ودعا إلى إدراجها ضمن البرامج التدريسية بالمؤسسات التعليمية في العالم العربي: يقول "إن الشناقطة علماء قد لا نغالي إذا قلنا عنهم إنهم لا يقلون أهمية عن جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والألوسي وأضرابهم.. وعلى البلاد العربية أن تدخل في برامج مدارسها دراسات وافية ضافية عن علماء وشعراء وأدباء شنقيط"[31].

ولا نختم هذا المحور قبل ان نشير ولو يسيرا إلى جانب من التواصل الثقافي الذي تم بين موريتانيا وبين بلاد الكويت عبر جهود العالم محمد أمين بن فال الخير الحسني المتقدم الذكر، والذي أقام بالحجاز فترة ليتركها إلى الكويت حيث تسابق الطلبة إلى دروسه ساعين إلى الاقتباس من معارفه، وقد وصل بهم الأمر إلى الجلوس تحت أشعة الشمس طلبا للفائدة وحرصا على الاستماع، وبذلك مالت إليه القلوب واشرأبت نحوه الأعناق فطفق يواجه البدع ويحارب المنكر مؤسسا جمعية "النجاة" التي تهدف إلى توعية المسلمين وتبصيرهم بأمور دينهم. ولما تم تأسيس هذه الجمعية أقيم حفل كبير لتكريم الرجل نظمت خلاله القصائد والتهبت المشاعر، فنظم عبد اللطيف بن إبراهيم آل نصف قطعة يقول فيها[32] (الكامل):

اليوم هللت الكويت وكبرت
لما أتاها العالم النحرير
واستبشرت فرحا بنابغةالهدى
حتى حسبنا أنها ستمور
إيه بني قومي وسادة معشري
أوموا إليه كلكم وأشيرو
خلوا النواظر شاخصات نحوه
ودعوا القلوب تسير حيث يسير
أمعطر الإسلام من نفحاته
ومعيد روض الدين وهو نضير
بشرى لهذا النفر لما زرته
فلكم تمنت أن تراك ثغور

الخاتمة

وفي الأخير نشير إلى أنه إذا كان المغاربة عموما والشناقطة بالخصوص مدينين فيما مضى لإخوانهم في الطرف

[31] الخليل النحوي، مرجع سابق. ص269.

[32] محمذن بن أحمد بن المحبوب: أدب الرحلة في بلاد شنقيط، دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب - 1995، ص92 و93.

الآخر من الوطن العربـــي (المشـــرق الغربي) بالتلمذة فإنهم قد أصبحوا منـــذ نهايـــة القـــرن (19م – 13هـــ) لـــهم اكتفاؤهم الذاتي على الصعيد المعرفـــي فانشئوا أولا لأنفسهم مقررات مدرســـية خاصة ليبدأوا بعد ذلـــك فـــي إســـعاف نظرائهم بالمشرق مقدمين إليهم بعـــض المعارف والعلوم خاصة أثناء رحـــلات الحج التي كانت فرصة التحاور واللقـــاء ومنتدى التثاقف والجدال.

وصفوة القول إن الشناقطة قد ردوا إلى المشرق بضاعته المعرفية بعد أن نسيها وابتعد عنها فترة فكـــانوا بذلـــك أطـــر التدريس بأرضه ورسل الحضارة إليـــه، فقد بهرت ثقافتهم منه العيـــون فطفـــق أبنـــاؤه إليـــها يركنـــون مستمســـكين بعروتها لما آنسوا في حملتها من قـــوة في الذاكرة وسعة المحفوظ فكان القـــوم إذن مصابيح الجهالة والدجى وينـــابيع الحكمة والهدي ليصبحوا مع ذلك أوعية العلم وأئمة القضاء والفتوى. بل عناوين الفذاذة والإتقان ونوابغ الفكر والإبـــداع ونوادر الحفظ والاستظهار وأكثر مـــن ذلك بلغوا دروة التبصر والاجتهاد نالوا أوسمة الشرف والتقدير فـــهم بـــأرض النيل بارزون مبرزون وبأكتاف طيبـــة عالمون معلمـــون فـــازدهر منتوجـــهم المعرفي بـــالأزهر واحـــترم بـــالحرم. وهكذا أصبح المرتحل الشنقيطي عنوانا للثقافة والعلوم ورمـــزا للتوســـع فـــي مختلف المعارف والفنون. فنـــال مـــن مخزونه أهل "النيل" واستنجد بمحفوظـــه أهل الحجاز ونجد. وقـــد أحيـــا بـــهذا الصنيع دروس العلم بالشـــرق وهـــي رميم. فأرشد إلى المعرفة والحق مـــن أبنائه جيلا كثيرا.

الروايـــة الموريتانيـــة وازدواجيـــة الأصل:
قـــراءة للثـــابت والمتحـول من النـــص

د. محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم
كلية الآداب - جامعة انواكشوط

(الجزء الثالث)

القضايا التي يطرحها النص:

لاحظنـــا ونحـــن نصـــف الثـــابت والمتحـــول مـــن روايـــة الحـــب المستحيل أنها تتعالق فـــي مادتـــها الحكائية وفي خطابها الروائي مـــع نص L'amour impossible المكتـــوب بالفرنسية لنفس الكاتب؛ وقد مكنتـــه هذه الطريقة في الكتابة والإبداع من كتابة نص روائي غير متطابق مـــع النص الفرنسي السابق عليـــه، لـــه ملامحه الفنية والخطابيـــة المباينـــة للنص الفرنسي المتعالق معه؛ مـــن جهة، والمختلفة أيضا عن ملامـــح النص الروائي العربي المتعالق مـــع نصوص التراث من جهة أخـــرى. ذلـــك أن إعـــادة كتابـــة الروائـــي الموريتاني لنصه الفرنسي بالعربيـــة تفتح مجالا جديـــدا مـــن مجـــالات الكتابة الإبداعية للنـــص الروائـــي العربي؛ وتمده بمصدر جديد للكتابة والتخيل السردي لا يقوم هـــذه المـــرة على التعالق مع نصوص من الـــتراث. وإنما مع نصوص لنفس الكاتب كتبـــها بلغة أجنبية علـــى الكتابـــة والإبـــداع العربيين. يعيد كتابتها وفقـــا لشـــروط الكتابة والإبداع العربيين؛ ومـــن هنـــا كانت إعادة الكتابة، طريقة في الكتابـــة الروائية العربية، وإمكانية فنية جديـــدة من إمكانيات تشكل النـــص الروائـــي العربي، وهي في ذات الوقت إســـهام في انفتاح الكتابة العربية على القـــارئ من موقع يختلف عن موقع المـــترجم ويرتبط بموقع الكاتب. لذلـــك يمكـــن اعتبار إعادة كتابة النص الأجنبي عـــن طريق صاحبه بالعربية مصدرا جديـــدا من مصادر إبداع الكتابـــة الروائيـــة العربية المتراسلة مع نـــص روائـــي مكتوب وفق شـــروط كتابـــة أجنبيـــة مختلفة، مما يغنـــي النـــص الروائـــي

العربي بطرائق جديدة في الكتابة ويمده بخبرة جمالية جديدة.

تمثل ظاهرة كتابة النص الروائي الموريتاني مرتين (ازدواجية الأصل)؛ مرة بالفرنسية ومرة أخرى لاحقة عليها بالعربية، ملمحا فنيا من ملامح الكتابة الروائية الموريتانية المعبرة عن خصوصيتها المحلية. وهي تختلف عن ظاهرة "رواية تمثل الواقع" وعن "رواية التناص مع التراث" كما في تناص رواية الزبني بركات لجمال الغبطاني مع بدائع الزهور لابن إياس.

تطرح روايتا "مدينة الرياح" و"الحب المستحيل" لموسى ولد أبنو على النص العربي وطرائق كتابته، قضايا نقدية وإبداعية جديدة على الحقلين النقدي والإبداعي العربيين، تتصل بملمح جديد من ملامح جمالية الرواية العربية التي أنتجها مقام سردي خاص ينقل كتابة الرواية العربية إلى موقع إبداعي ثالث يختلف عن الموقع الأول الذي ينتج نصه مع مضامين اجتماعية أو متخيلة (الرواية الواقعية). كما يختلف عن الموقع الثاني الذي ينتج نصه بالتعالق مع نصوص تراثية سابقة (تجربة استلهام الكتابة التراثية). في الموقع الثالث يُنتج نص بالتعالق مع نص سبق أن كتبه صاحبه بلغة أجنبية مختلفة، وبذلك يفتح الكاتب أفق كتابة تستثمر الازدواجية؛ ذلك أن إعادة كتابة الكاتب لروايته بالعربية تطرح على الحقلين العربيين: الإبداعي والنقدي بعض القضايا والأسئلة منها ما يتعلق من جهة، بمصادر الكتابة الروائية، وما يمكن أن يمد به هذا المصدر الإبداع الروائي العربي من إمكانات للكتابة السردية تسهم في تنوع مصادر الإبداع الروائي العربي وإثرائها، ومنها ما يتعلق من جهة ثانية بصيغ تشكل هذه الكتابة وطرائق كتابة هذا النوع من النصوص وما يثيره تعلق النص الروائي العربي بالنص الروائي المكتوب بالفرنسية، السابق عليه في الكتابة، من أسئلة نقدية تختلف عن التي يثيرها تعلق هذا النص مع نصوص تراثية سابقة عليه، تناولها بالدراسة والتحليل سعيد يقطين في كتابه **الرواية والتراث السردي: من أجل وعي جديد بالتراث** عند دراسته لمجموعة من النصوص الروائية العربية المتعالقة مع نصوص تراثية معينة من منظور سردي يشتغل بما أسماه بالتعالق النصي باعتباره "يتميز عن غيره من أنواع التفاعل النصي، بسبب العلاقة التي تقوم بين نصين متكاملين، أولهما سابق والثاني لاحق،

وأن النص اللاحق "يكتب" النص السابق "بطريقة جديدة"[1].

ويتفق نص الرواية التي يعيد صياغتها الأديب باللغة العربية بعد أن كتبها باللغة الفرنسية مع نص الرواية التي تحيل باستمرار إلى عمل تراثي، بانطلاق الكاتب في كل من النصين من نص سابق له يتم التعالق معه في نطاق التفاعل النصي المولد للنص. لكن الفارق في صيغة التشكل حيث تأخذ في كل من النصين أبعادا فنية مختلفة بحكم طبيعة النص المُعلَق عليه أو النص السابق. وقد لاحظنا أن النص العربي المكتوب لاحقا على النص الفرنسي، يكتبه الروائي بطريقة تختلف عن النص الأول؛ وهي طريقة تأخذ بنظر الاعتبار السابق الجديد، سواء تعلق هذا بشرط النثرية العربية وطبيعة أنساقها اللسانية المختلفة، أو بالموروث السردي العربي وطرائق "تخطيب" حكيه، فنحن نلمس تشرب نثرية النص وخطابه الروائي لخصوصية هذا الموروث السردي؛ ومن أمثلة مظاهر هذا التشرب النثرية التي كتب بها النص، حيث وازى الكاتب في النصين بين نثريتين عربيتين سرد من خلالهما المتخيل السردي للنص الفرنسي. هاتان النثريتان هما: النثرية العربية الحديثة المتشبعة بالنسق اللساني العلمي - وقد وفق موسى ولد أبنو إلى حد كبير في جعل النص الروائي العربي يستوعب المتخيل العلمي بأسلوب عربي فصيح يحضر فيه المصطلح العلمي حضورا قويا - والنثرية العربية التراثية، المتشبعة بالنسق اللساني العذري، كما خبرته التجربة العذرية العربية من خلال الموروث الشعري العربي والتصوفي. وقد وفق ولد أبنو -في نظرنا- إلى حد كبير أيضا في جعل النص الروائي العربي بتناص مع هذه التجربة بمعجمها اللساني الخاص، ومع الروافد الثقافية المختلفة التي غذت هذه التجربة لاحقا.

ولئن لم يأخذ هذا التناص في الرواية أبعادا أسلوبية ونصية واضحة تتمثل في حضور صيغ مأثورة من القول النثري أو الشعري، فإن مظاهر هذا التناص تتخذ في النص أشكالا متعددة ذات أبعاد مضمونية ولغوية تتجلى في توظيف الروائي لهذه المضامين ومعجمها العذري، وهو يتخذ من الحب (العلاقة ما بين الرجل والمرأة) موضوعا للحكي. فمن الأبعاد المضمونية لهذا التناص مثلا توظيفه لمفهوم "التغزل" في معالجته للتغيرات

[1] سعيد يقطين الرواية والتراث من أجل وعي جديد بالتراث، الدار البيضاء / بيروت، 1992، ص5.

التي طرأت عليه في زمن انفصال الجنسين واستحالة الحب:

"في كل من المجتمعين أصبح التغزل بالجنس الآخر محظورا، أعيد النظر في الشبق والخلاعة: لم يعد تبرج الرجال مثيرا إلا لغلمة الرجال. كما لم يعد جسد المرأة يثير إلا غلمة النساء". (ص16).

بل إن صيغة المتغزل ذاتها قد تغيرت كما جاء على لسان الراوي، وهو يصف سخرية آدم من تغزل أهل زمنه بالمرأة.

"لقد طالع في صفحات ملف الاستدعاء بعض الغزليات المعلبة ما بين رقيقة ومتوقدة ورومانسية. لكنه يراها كلها سخيفة مثيرة للضحك. في الوقت الذي أسر في نفسه جسدا للنساء اللواتي لا يطلب منهن إلا الجواب بالصمت أو بنظرة موافقة. كل النماذج كانت مصوغة بأسلوب المجاز، تصف النساء في صور مأخوذة من الطبيعة، كما لو أن تلك الصور هي وحدها التي تناسب التغزل بالنساء. (ص ص19-20).

بالإضافة إلى توظيف الكاتب لمفهوم المتغزل وصيغه اللغوية في زمن الحب المستحيل يحضر في النص ملمحا آخر من ملامح التجربة العذرية، يتمثل في الخطابات المتعددة التي يبلور كل منها تصورا ما للحب وللعلاقة ما بين الرجل والمرأة، وهي خطابات تعبر عن الأطوار والمقامات التي مر بها كل من آدم ومانكي أثناء تجربتهما للحب المستحيل، ومن هذه الخطابات خطاب الحب العذري الذي اقترحه خناثة على مانكي في أول أطوار تجربتها في مركز إعادة التأهيل.

قال لها مرة:

- أظنك ستجتازين المأساة. المهم في هذه الفترة الثانية من إعادة التأهيل، أن تجدي أنت وآدم حيلة للسمو بحبكما، حتى تفصلاه عن جسديكما لتجتازا اختبار التسريح.
- كيف نسموا بحبنا؟
- تحولانه إلى حب عذري
- كيف؟

لم يقبل إضافة شيئ في ذلك اليوم. فكرت طويلا بعد مغادرتي ماذا يبقى من الحب إذا انتزعت منه رغبة الأجساد؟ لاحظت مرات عديدة. أنها يعتريها نسيان آدم، وعندما تسترجع ذكراه، تجده في نفس المكان من ذارتها مختبئا في شرنقته العاطفية. قد يكون حبه هو استمرار وجوده في هذا المكان نفسه من الذاكرة. إذا صح هذا فإنه يمكن المحافظة على الحب دون المحبوب (ص ص 51-53).

لا يمثل هذا الخطاب إذن، إلا واحدا من بين خطابات أخرى فلسفية وثقافية مختلفة وأسطورية وعلمية تتناول كلها

علاقة الرجل بالمرأة وإشكال الحب والعاطفة تستحضرها شخصيات النص، تعبر عن مواقفها وتكشف عن أطوار الحب ومقاماته، التي مر بها بطلا النص أثناء تجربة الحب المستحيل وهي تحيل القارئ العربي إلى تراث شعري متعارف عليه مما يرسخ الرواية عبر هذه الإيماءة وهذا التضمين إلى تاريخ أدبي عربي، على الرغم من غرابة مضمون العمل بخياله العلمي.

تطرح رواية الحب المستحيل قضية علاقة الرجل بالمرأة موضوعا للحكي، وهي قضية نجد لها حضورها القوي في نصوص الرواية العربية وإن بمستويات من الحضور متفاوتة. وتحت عناوين مختلفة، تثير كلها هذه العلاقة في أبعادها المختلفة. وإذا كانت أغلبية هذه النصوص اتخذت من الحب (العلاقة ما بين الجنسين) موضوعا للحكي، بأن تناولت الظواهر الاجتماعية الثقافية[2] أو الحضارية[3] التي تقف في وجه نجاح العلاقة ما بين الاثنين فإننا نادرا ما نجد في هذه النصوص النص الذي يتخذ من الحب وإشكال العاطفة ما بين الاثنين موضوعا للحكي، بأن يتناول إشكال العلاقة ما بين الجنسين، بما هي قضية وجودية وفكرية متصلة بأبعاد ذهنية وميتافيزيقية، ما زال الإنسان يتساءل عن السر من ورائها ويسعى لاكتشافها، في نطاق بحثه الدؤوب عن إيجاد مساحة من التفاهم والتقارب والانسجام ما بين الجنسين في ظل ما يطرحه اختلافهما في التكوين البيولوجي والنفسي والثقافي من قضايا تكرس في كل مرة خصوصية هذا الجنس عن الآخر، وتعمل على خلخلة هذا التقارب والتفاهم والانسجام.

ضمن هذا النوع من نصوص الرواية العربية، نجد نص موسى ولد أبنو متخذا من إشكال العاطفة ما بين الجنسين موضوعا للحكي، وأحسب أن الكاتب بإعادته لطرح هذه العلاقة من منظور روائي جديد يجمع في أدوات تعبيره الفنية واللغوية بين الموروث التراثي العربي بأبعاده المضمونية

[2] الإشارة هنا إلى النصوص الروائية التي تناولت العلاقة ما بين الرجل والمرأة إطارا لطرح قضايا اجتماعية وثقافية تتصل بالمجتمع العربي وهي كثيرة.

[3] الإشارة هنا إلى النصوص الروائية التي تناولت العلاقة ما بين الرجل والمرأة إطارا فنيا لطرح قضايا حضارية تتصل مثلا بالعلاقة ما بين الشرق والغرب، مثل ثلاثية سهيل ادريس وعصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، أو تتصل بالعلاقة ما بين الشمال والجنوب مثل موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح. ففي جميع هذا النصوص كانت العلاقة ما بين الرجل والمرأة إطارا فنيا للسرد ولم تكن، وهذا هو المهم موضوعا للحكي أو السرف كما هو الشأن في رواية الحب المستحيل لموسى ولد أبنو.

(التجربة العذرية والتصوفية) والفنية (السرد الشفوي) وبين الخيال العلمي بأبعاده المضمونية (الانطلاق من فرضيات علمية) والفنية (استثمار الخيال العلمي والأسطوري العجائبي أداة للتعبير عن المتخيل النصي). أحسب أن الكاتب بإعادته لطرح العلاقة من هذا المنظور الجديد يكون قد ساهم من موقعه في فتح أفق النص الروائي العربي على مضامين سردية جديدة على الرواية العربية يتعالق في التعبير عنها التراثي والمعاصر (الخيال العلمي).

المتحول من القصة

يأخذ المتحول من القصة في رواية الحب المستحيل لموسى ولد ابنو – مظهرين أساسيين في النص العربي الأول منهما إسقاط بعض أجزاء من القصة عند كتابتها بالعربية. والثاني إضافة أجزاء لها لم تكن موجودة في النص الفرنسي.

فعند رصدنا للمسقط من القصة في رواية الحب المستحيل لاحظنا أن هذا الإسقاط شمل الصفحة والفقرة. الصفحة بإسقاط أحيانا فقرات عديدة منها. والفقرة بإسقاط الجملة والجملتين منها. وقد تركز هذا الإسقاط أساسا في الفصل الثالث والرابع والسابع والحادي عشر والرابع عشر، بمستويات متباينة من الكثافة. نريد هنا أن نتوقف عند بعض مظاهر هذا الإسقاط.

فمن الفصل الثالث أسقطت من الصفحة 19. الفقرات الثانية والثالثة والرابعة وهي فقرات تظهر اختلاف تظهر اختلاف نظرة مجتمع الرجال ومجتمع النساء في "زمن الحب المستحيل" للدين القديم وما تحكيه النساء من حكايات عن المسيح عليه السلام وعن مريم العذراء.

وإذا كان المسقط من الفصل الثالث متعلق بالديني فإنه في الفصل الرابع متصل بالمكان[4] حيث لم يذكر المكان الذي خرجت منه مانكي (الحمام). عند لقائها بآدم؛ فقد اكتفى النص العربي بالإيحاء "بعد انتهائها من تسوية ملابسها وتصفيف شعرها ذهبت لتجلس قرب آدم" (ص21).

أما في الفصل السادس، فأسقطت الفقرة الرابع من الصفحة 52 المتصلة بغذاء آدم في زمن عزلته؛ فقد كان يتغذى بعقاقير (أقراص اسطوانية)؛ مما يعزز كثافة المتخيل العلمي الذي تدور أحداث النص في زمنه.

هذه أمثلة من المسقط من القصة؛ تظهر كلها تصرف الكاتب في مادته الحكائية عند كتابته الثانية للنص. وهو

---

[4] راجع النص الفرنسي للرواية، الفصل الرابع، ص:26 ح:3 من الفقرة الأولى.

تصرف نراه نابعـــا مـــن مراعـــاة الكاتب أفق تقبل القارئ العربي لهذه المادة وقد أعيـــدت كتابتـــها وفقـــا لشـــروط تقبلـــه اللغويـــة والفنيـــة والثقافية.

وتأخذ الإضافة في النص العربـــي مظهرين اثنين، يتمثل الأول منـــهما في إعادة كتابة بعض فقرات النـص الفرنسي بمعنى جديد، يتناسب وأفق تقبل القارئ العربي؛ يضيف إلـــى النص العربي بعض المعاني النابعة من تصوره الثقـــافي والحضـــاري والخاصين به. وهي إعـــادة كتابـــة تضفي على النص العربي ســـمات لغوية ومضمونية تربطـــه بـــهذين التصورين. ومن أمثلة إعادة كتابـــة بعض الفقرات هذه الفقرة المقتطعـــة من الفصل السادس حيـــث يقـــول خناثة مخاطبا آدم:

Il faut que vous réussissiez à prouver que vous n'aimez plus Maniké. Demain vous allez commencer la deuxième phase de rééducation. Elle ne prendra fin que lorsque vous serez revenue à la normalité, c'est-à-dire lorsque vous n'aurez plus de nostalgie pour l'amour des femmes. *(L'amour impossible P.54).*

قبل أن نتعرض لإعادة كتابة هـــذه الفقرة في النص العربي، ســـنعربها حتى نلاحظ الفرق ما بيـــن تعريـــب الفقرة وإعادة كتابتها وفقا لسياق تلقـــي القارئ العربي.

- يجب أن تثبت عدم حبك لمـــانكي، ستبدأ غدا المرحلة الثانية من إعادة التأهيل، ولن تنتهي تلك الفـــترة إلا بعد أن تعود إلى الوضع الســـري، أي عندما لا يكون لديك حنين إلـــى حب النساء.

هذه الفقرة أعيدت كتابتها في النـــص العربي على النحو التالي:

- يجب أن تثبت عدم حبك لمـــانكي، ستبدأ غدا المرحلة الثانية من إعادة التأهيل ولن تنتهي تلك الفـــترة إلا بعد أن تعود إلى اللواط الذي هـــو عادة الرجال (ص46).

إن مثل هـــذا التصـــرف فـــي كتابـــة المضمون السردي وفق شرط كتابـــة تراعي الموروث الثقـــافي واللغـــوي والديني للقارئ العربي. وتقاليد هـــذا الأخير في التقبـــل والتـــأويل جعلـــت الكاتب يعيد كتابة بعض فقرات النـــص الفرنسي بالعربية لتحدد مفهوم "السوي" في هذا المجتمع المستقبلي المتخيـــل، حيث يكون "السوي ممارســـا علاقـــة جنسية مثليـــة مســـتخدما المصطلـــح العربي المتعارف عليه (اللواط). وقـــد يكون في هـــذه الفانتازيـــا المســـتقبلية تلميح وتحذير ما يؤدي له الانفصـــال بين الجنسين ومنـــع علاقـــات الحـــب الإنسانية بينهما.

ومن مظاهر إعادة كتابة النص أيضا، إضافة الكاتب بعض الجمل للنص العربي ذات دلالات مضمونية، تكسوا النص أبعادا دلالية تربطه بالتخيل العربي التراثي السردي وترهن هذا المتخيل بجعله دالا على زمن الحاضر لا على زمن الحب المستحيل الآتي؛ ومن أمثلة تصرف الكاتب في محكي النص الفرنسي. فمثلا.

- Adam se réveilla dans le sous-sol de la clinique Casablanca. Il était seul. Il porta sa main à son sexe, il était toujours là. Son corps recouvert d'un drap blanc était à l'étroit dans un petit lit d'hôpital en fer. *(P145).*

هذه الفقرة يمكن أن تعرب على النحو التالي:

استيقظ آدم في أحد الطوابق الأرضية، في عيادة الدار البيضاء. كان وحيدا. تحسس بيده عضوه، ما زال مكانه. كان جسده المغطى بملاءة بيضاء في مكان ضيق على سرير المستشفى الحديدي.

هذه الفقرة أعيدت كتابتها في النص العربي على هذه الصورة:

- استيقظ آدم في أحد الطوابق الأرضية ففي عيادة الدار البيضاء. كان وحيدا. وضع يده يتحسس عضوه: ما زال مكانه! لم **يقطعه بعد البرابرة ليجعلوه من بين مهور نسائهم**... جسده مغطى بملاءة بيضاء أحس الضيق على السرير الحديدي (ص110).

من الملاحظ هنا، أن الروائي عند إعادة كتابته لهذه الفقرة قد أضاف إليها جملة "لم يقطعه بعد البرابرة ليجعلوه من بين مهور نسائهم". وهي جملة ترهن النص العربي وتربطه بالمرويات الشفوية والسرود المحلية، التي تحكي تاريخ وحكايات وأساطير شكلت جزءا من الذاكرة الميتولوجية الجماعية لشعوب ما يعرف قديما بشمال إفريقيا (المغرب - الجزائر - تونس وجنوب الصحراء: موريتانيا).

المتحول من الخطاب

على الرغم من أن الكاتب قد احتفظ في نصه العربي بنفس الهيئة التي بنى عليها زمن الخطاب في النص الفرنسي، فجاء الزمن دائريا منفتحا: إلا أن عناصر الخطاب في النص العربي قد أصابها بعض مظاهر التحوير الناتجة عن إعادة كتابة النص بالفرنسية وفق منظور تقاليد هذه الكتابة. هذا التحوير في بنية الخطاب أثر من جهة على بنية النص وتماسكه، وجعل النصين الفرنسي والعربي متباينين في ترابط أزمنة قصتيهما.

وعمل من جهة ثانية، على تجذير هذه البنية في تقاليد كتابة السرد العربي.

ويمكن أن نلاحظ أن هذا التحوير في بنية الخطاب في النص العربي من خلال ما قصد إليه الكاتب عمدا، من تفكيك لبنية زمن القصة في الرواية وذلك بأن حصر هذا الزمن في "الزمن الآتي"، فحاضر الحكى في النص هو زمن انفصال الجنسين واستحالة الحب بين الرجل والمرأة، ولذلك كان الحديث في النص عن "مجتمع الزواج" تضمينا حكائيا لأسطورة قديمة: وليس زمن الإنجاب داخل مؤسسة الزواج حلقة زمنية ماضية لجيل سابق كما في النص الفرنسي: "تذكر بدقة ظروف ولادة طفل في الزمن الغابر، كما تحكيها أسطورة قديمة (ص6).

لقد كان الزمن المسترجع في النص الفرنسي يشير إلى ماض قريب، بينما يقدمه النص العربي باعتباره ماضيا غابرا، بل متخيلا ووضعا أسطوريا يُستحضر في النص على أنه أسطورة من أساطير الزمن القديم. هذا التفكيك لبنية زمن القصة في النص العربي - الذي ينقل ما هو زمن أسطوري (ما تحكيه الأسطورة) إلى زمن عجائبي (ما تحكيه رواية الخيال العلمي) - له دلالة هامة؛ فالانتقال هنا من خيال غابر أسطوري إلى خيال مستقبلي ومختلف، وبالتالي فهو نقلة من متخيل إلى متخيل، من وهم إلى وهم بينما نجد في النص الفرنسي ربطا بين الحاضر والواقع (المشار إليه بالماضي القريب) وبين المستقبل (المشار إليه بالراهن) مما يلوح بمخاطر ما يجري الآن من تغييرات في المجتمع الغربي قد تؤدي إلى الإخلال به. ففي النص الفرنسي يحكي والد آدم إنجاب والدته له كما حكتها هي له، بينما النص العربي يُعدِل ذلك إلى زمن "آخر" بالمعنى الفاصل لكلمة آخر. من هنا نجد الإحالات في النص الفرنسي تشكل محاكاة ساخرة للواقع بينما تصبح في النص العربي غرائبية عجائبية. وسواء قصد الأديب هذا، أم كان ذلك النتيجة اللاواعية لتعريبه نصه بهذه الطريقة، فهو أمر لا يمكن حسمه، وإنما يمكن القول إن استقبال القارئ للنص الفرنسي لابد أن يستحضر في ذهنه مأزق الحاضر وسيناريوهات المستقبل بطريقة كاريكاتورية، لكنها متصلة بالتاريخ والواقع، بينما النص العربي يوحي بالقطيعة بين سيناريو المستقبل والماضي التاريخي كما يعبر عنه مصطلح "الزمن الغابر". إن الزمن في النص الفرنسي متواصل مع الماضي فزمن حكاية ولادة الطفل في الزمن القديم؛ هي زمن ولادة والد آدم كما

حكتها له أمه؛ ووضع التذكر فـــي النص الفرنسي، وضع اســـتغراب للتطور السريع الذي أحدثه التطـور العلمي:

Les conditions et le rituel des naissances avaient changé si rapidement. Il se rappela avec précision les conditions de sa naissance telles que sa mère les lui avait racontées. Elle était à son septième jour de douleurs ; A chaque accès elle se persuadait que le dénouement était pour bientôt... *(P.6)*.

هذه الفقرة يمكـــن تعريبـــها علـــى الصورة التالية:

تغيرت ظروف الولادات وطقوســها بسرعة كبيرة. تذكر بدقة ظـــروف ولادته كما حكتها له أمه، كانت فـي يومها السابع من آلام الموضع. عند كل طلق تتأكد أن الفرج قريب...

أعاد الكاتب كتابة هذه الفقرة علـــى الصورة التالية:

– تغـيرت طقـوس الـــــولادات وظروفها. تذكر بدقة ظـروف ولادة طفل في الزمن الغابر... كما تحكيها أسطورة قديمة. كانت الأم في يومها السابع من آلام الولادة. عنـــد كـــل طلـــق تتـــأكد أن الفـــرج قريـــب. (ص6).

ولئن عمد الكاتب تحت تأثير الحضـور القوي للمتخيل العلمي إلى عدم الربـط ما بين زمنـــي القصـــة فـــي النـــص العربي. فإنه قد رهـــن هـــذا الزمـــن وربطه بالزمن القديم من خلال تغيـيره لأسماء بعض الأصوات[5] في النـــص، واستعماله لبعض صيغ السرد التراثيـة التي أضافها مثـــل قولـــه: "لمـــا لاح الصباح سكت خناثة عن الكلام المباح" (ص6)، الـــذي يســـتدعي حكايـــات شهرزاد.

موضوع متواصل

[5] من مظاهر التغيير ابداله اسم Androgine باسم خناثة واسم Riman بالسامري.

شرح عبد الله بن الحاج حمى الله لفائية ابن رازكه (الجزء الثاني)

اسلم بن السبتي- المدرسة العليا للتعليم

تمهيد:

تميزت المرحلة الأولى من اهتمام الموريتانيين بالشروح والتعاليق على القصائد الشعرية في المجال العربي خلال عصور: الجاهلية وصدر الإسلام، والعباسي، وعصر الانحطاط.

وفي مرحلة لاحقة بدأت هذه الوجهة ترنوا إلى الداخل، عندما نشأ تراث أدبي شنقيطي، فاهتم العلماء والأدباء بالقصائد الموريتانية وأشبعوها شرحا وتعليقا.

ويدخل عمل عبد الله بن الحاج حمى الله عن بائية بن رازكه في سياق هذه النظرة الداخلية للتراث الأدبي الشنقيطي.

وهكذا جاء إسهام عالمنا عبد الله بن الحاج حمى الله، مميزا في هذا المجال، حيث شرح عدة قصائد للعالم والشاعر الكبير عبد الله بن محمد العلوي المعروف بابن رازكه، زيادة على أنه شرح قصيدة (بانت سعاد) لكعب ابن زهير، كما مر بنا في استعراض مؤلفات الرجل.

وقد بحثنا عن الشروح التي قام بها على تلك القصائد فلم نعثر حتى الآن إلا على قصيدته هذه التي نشتغل بها وهي في رثاء نعل الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام.([1])

أما الشرحان الآخران فهما حتى الآن في عداد الضائع من التراث الموريتاني وما أكثره.

ويعتبر هذا الشرح الذي نقدمه، بمثابة دليل واضح على ثقافة الرجل وتنوعها. فهو يوضح بكل جلاء ما للرجل من طول الباع في الثقافة

[1] – يثبت الخليل النحوي هذا الشرح للنابغة الغلاوي، ابن أخت المصنف. ولعل مصدر الخليل هو موسوعة الأستاذ المختار بن حامدن الذي أثبت العنوان للنابغة وليس لعبد الله، وهو خطأ على ماهو ثابت لدينا بالوثائق.. راجع (بلاد شنقيط المنارة والرباط ص:614

الإسلامية إلى جانب ما تسلح به من ثروة لغوية وأدبية.

وقد استخلص مادة شرحه من القرآن العظيم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي القديم، وبالأخص الأندلسي منه. وهذه النظرة الخاصة من عالمنا إلى تلك الثقافة التي سادت ثم بادت في ربوع أرض الأندلس مثيرة للاهتمام. وقد كان أحمد المقري على رأس الشعراء المستشهد بأشعارهم.

إلى جانب هذا وذاك ما أشار إليه من الجوانب البلاغية والقواعد النحوية، وأوجه الإعراب المحتملة لبعض الكلمات التي رأى أنها تحتاج إلى إعراب وتوجيه، ما شرح الكلمات المفردة بما يراد فيها من كلام العرب ولغتهم. إلا أن خاصية ميزت هذا الشرح على غيره من الشروح التي نعرفها، وهي خاصية منهجية محضة تبين السبيل الذي سلكه الشارح في عمله، ألا وهي مزجه للشعر بالشرح. وهذه الطريقة نعتبرها طريقة متقدمة في هذا اللون من الجهود العلمية المبذولة في توضيح معاني الشعر وتبيين مقاصده.

ونرد ذلك إلى ما يعتبره كثرة مطالعة الشروح الفقهية، سواء على مختصر خليل أو غيره، فالفقهاء في ذلك اللون يمزجون كلام الشيخ خليل بشروحهم الموضحة له، فجاءت شروح الأدباء الفقهاء، على ذلك الشكل، فيكسرون البيت حسب شرح الكلمة أو إعرابها أو غير ذلك حسب اهتمامهم.

وقد يكون هؤلاء لم يروا طريقة الشنتمري في شرحه للشعر الذي نعتبره نموذجا محتذى من طرف علماء موريتانيا في شرحهم للشعر القديم.

على هذا الأساس فإن هذا الشرح الذي نقدمه يختلط فيه الشرح بالنص الشعري.

وقد كان الشارح شديد الإيجاز مبتعدا عن الإسهاب، وهكذا نراه يردد بعض العبارات من مثل قوله: فلا نطيل بذكرها في هذه العجالة؛ وغيرها، بل نجده يمر مر الكرام على البيت والبيتين، لا يقدم لها أي شرح. ولعله لا يجد فيها ما يحتاج الشرح كما نرى نحن، إذ قد يكون الوضوح عنده غموضا عندنا، والغموض عندنا وضوحا عنده.

مصادره

لقد اعتمد عبد الله في شرحه هذا على عدة مصادر ذكر البعض منها ولم

يذكر البعض الآخر. ففـــي الشـــروح اللغوية يعود إلى القـــاموس المحيـــط للفيروز وبادي للغير وزآبادي كغـــيره من الموريتانيين، ويرمز إليه بالقـــاف. كما ذكر من مصادره: سيرة العراقـــي المعروفـــة بألفيتـــه الســـيرية. هـــذا بالإضافة إلى كتاب الشفاء في ســـيرة النبى المصطفى للقاضي عياض، وقرة الأبصار، وكتب الصحاح.. إلى غـــير ذلك مـــن مصـــادر ومنـــابع الثقافـــة الإسلامية.

أما مصادر النحو فقد أشار في عـــدة أماكن إلى كافية ابن مالك وألفيته. هـذا مما أشار إليه بيانا وتوضيحا، لا لمـزا وتلميحا، أي ما يمكن أن يقال عنه إنـه البيبلوغرافيا الواضحة، لا تلك الخفية.

من النسخ المعتمدة:

لقد جمعنا لهذا النـــص، ثـــلاث نســـخ خطية، من مصادرهـــا التـــي بينـــها الطالب الذي سبقنا في الاشتغال بـــهذا العمل، وقد بذلنا جهدا كبيرا في البحث عن تلك النســـخ حتـــى اســـتطعنا أن نحصل عليها واحدة تلو الأخرى.

وهذه النسخ كلها تعتبر نسخة واحـــدة على الرغم من التباين البسيط الموجود بينها.

والواضح من اثنتيـــن منـــها، أنـــهما منقولتان في خط واحد. أمـــا الثالثـــة فليس بـــها أيـــة علامـــة للناســـخ ولا للمصدر المأخوذة منه.

ولنصف كل نسخة على حـــدة حتـــى تتبين معالم كل نسخة على حدة.

تعتبر النسخة السملالية أجـــود هـــذه النسخ، ذلك أن جميع ما بـــها ضبـــط بالشـــكل التـــام مـــع جمـــال خطـــها ووضوحه، بالإضافـــة إلـــى تطريـــز كلمات ربطها ممـــا يزيدهـــا جمـــالا وحسنا.

ويقع الشرح في تسع صفحـــات مـــن الورق المتوسط تحمل الورقة الواحـــدة أربعة وعشرين سطرا، بمعدل ســـت عشرة كلمة في السطر الواحد.

بهذه النسخة حاشية واحدة جليلة علـــى حديث عائشة رضي الله عنـــها عـــن النبي صلى الله عليه وسلم ومـــا قالـــه عن بئر ذروان.

وفي هذه النســـخة بعـــض الأشـــعار المتفرقة لمحمد مولود وأبـــي الطيـــب المتنبي وأبي تمام وغيرهم، جاء ذلـــك في الصفحة الأخيرة، ونصف الصفحة التي سبقتها، أما ناسخ النسخة الأصلية فهو مجهول، وقد نقلها فيما نعتقد أنـــه خط المؤلف وكان ذلـــك فـــي ســـنة 1243هـــ ثم نقلها صاحب هذه النســـخة من ذلك الخط وهو عبد الله بن أوفـــى بن أبي بكر بن عبد الله بن ألفق عمر،

عومل الجميع باللطف بمحمد صلى الله عليه وسلم ووافق الفراغ منه قيلولـــة يوم الاثنين الأول من ذي الحجة عـــام هيسش (1315هـــ).

وأشهدت ما خلق الله أني قلت لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في هذه النسخة يكتب النص الشـــعري بالمداد الأحمر والشرح بالمداد الأسود. وهي تامة على العموم، وجيدة ومـــن هنا اعتبرنا هـــذه النســـخة الأصليـــة ورمزنا لها بحرف الدال.

وقد زودني بها شـــيخ محظـــرة فـــي المقاطعة الأولى، وهو الأستاذ الجليـــل باب بن محمادي السملالي الشـــنقيطي، فله شكري وتقديري، وجزاه الله خيرا.

2- أما النسخة الثانية فقد زودني بـــها أستاذي الكريم محمد بن محبوبي وتقـــع هذه النسخة في تسع صفحـــات مـــن الورق الصغير، ليس بها ضبط للشعر، وهي منقولة حسب نظرنا من المصدر الذي نقلت منه النسخة الســـابقة. قـــال ناسخها بعد نقل ما في النسخة السابقة: أتم شرح هذه القصيدة لنفسه ثم لمـــن شاء الله بعده زيـــن بـــن محمـــد بـــن المحبوبي[2] لليلة خلت من ربيع الثـــاني عام 1343هـــ. اللهم أغفر لي ولوالـــدي ولأشياخي ولأحبتي ولقرابتـــي ولمـــن أوصاني بالدعاء وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

تتراوح السطور في الصفحة الواحـــدة بين واحد وثلاثين وأربعـــة وثلاثيـــن سطرا بمعدل اثنتي عشرة لمـــة فـــي السطر الواحد، يكتب الناســـخ النـــص الشعري بـــالمداد الأحمـــر والشـــرح بالمداد الأسود، وقد وقع بهذه النســـخة بعض البلل فأصلح بقلم حديث.

لا توجد عليها أية تعاليق ولا حواشـــي، وهي علـــى العمـــوم تامـــة، وتمتـــاز بانفرادها بإثبات بيت في القصيدة لـــم نجده في غيرهـــا وهـــو مثبـــت دون شرح.

خطها مغربي واضح مقـــروء، تكمـــل النسخة السابقة من حيث المساعدة فـــي توضيح القراءة ونرمز لها بـــالحرف (م).

هذه النسخة تبدو عتيقة كما يتبين مـــن خطها وورقها المتلاشي، حيـــث أنـــها أصبحت في عداد المرممـــات وهـــي تفتقد اسم الناسخ وتاريخ النسخ وعلـــى هذا الأساس أخرناها على النســـختين السابقتين.

---

[2] عالم جليل، واسع المعرف، محيط بالمعارف الموريتانية، توفي 1396هـــ بمكان يدعى أكرج، قرب مقطع لحجار. كان ذل امدني به ابنه أستاذي محمد بن المحبوبي، الأستاذ بدار العلوم الحرة.

أما في مضمونها فلا تختلف عنهما كبير اختلاف، وتوجد عليها بعض التصحيحات القليلة.

وتقع هذه النسخة في عشر صفحات من الورق الصغير، تحمل الصفحة سبعة وعشرين سطرا بمعدل ثلاثة عشرة كلمة، يكتب الناسخ النص المشروح بالمداد الأحمر والشرح بالمداد الأسود.

وقد وقع به تلف في رأس الورقة الأولى حتى سقطت عدة كلمات بمقدار الأربع أو الخمس، والخط مغربي واضح وجيد يضغط صاحبه الكلمات في الصفحات، عدا الصفحة الثالثة، فإن بها انفراجا يخالف ما في الصفحات الأخرى . وقد حصلنا على هذه النسخة من قسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي ورقمها به هو 355، مخالفا لبعض اللوائح بنفس المعهد التي تجعله تحت رقم 452. هذا الرقم تقع تحته قصيدة ملغزة لابن رازكه مع جوابها للهشتوكي الشعر المغربي.

وهذه النسخة تكمل النسختين السابقتين والفروق طفيفة فيما بينهما إلا ما سنثبته في هوامشنا بحول الله تعالى ورمزنا لها بحرف (ك).

عمل في التحقيق

توخيت في ما قمت به من عمل أن أخرج نسخة تامة قدر الإمكان فاخترت أقدم النسخ وأضبطها وأتمها ثم قمت بنسخ النص مقابلا بالنسختين الباقيتين وأثبت ما رأيته من فوارق واختلافات وهي على العموم طفيفة.

ثم قمت بالترجمة للإعلام وتخريج المقولات والاستشهادات النثرية من نص قرآني كريم، وحديث نبوي شريف، وأشعار فرددت كل نص إلى مصدره الرئيس وصوبت بعض الأخطاء التي وردت في نسخة بعض الأشعار، كما قمت بضبط النص بالشكل التام مع إضافتي للنص المشروح في الأعلى، كما ورد في الديوان، ثم الشرح بعد ذلك. وفصلت بينهما بخط واضح ثم أثبت الهوامش في الأسفل. وقد كتبت قبل هذا وذاك مقدمة حاولت فيها تقديم سيرة الرجل المصنف، ولم أصنع ذلك بالنسبة لصاحب القصيدة، لأنها كتبت في مقدمة شاملة لجميع سيرته، قدمها محقق الديوان الأستاذ محمد سعيد بن دهاه.

وأخيرا قمت بثبت شامل لمصادر التحقيق والمقدمة.

دراسة حول طرق الطعن في قانون الإجراءات المدنية والتجارية والإدارية الموريتاني

الصادر بتاريخ 24 يوليو 1999

الكتاب الرابع (المواد من 167 – 231)

إعداد/ باب ولد محمد فال
قاض متدرب بالمدرسة الوطنية للإدارة
دكتوراه سلك ثالث في القانون الخاص

يقول تعالي: (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأني تصرفون) سورة "يونس الآية 32".
يقول أيضا (أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) "سورة الرعد، الآية 41".
حدثنا يحيى عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي فلعل بعضكم في يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمح منه فمن قضيت له بشيء من حق لأخيه فلا يأخذن منه شيء فإنما اقطع له قطعة من النار[1].
يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يبطل حق امرئ مسلم ولو قدم"[2].
ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه مخاطبا لأبي موسى الأشعري قاضي الكوفة ما نصه "أما بعد فإن القضاء فريضة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، وانفذ إذا تبين لك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك، وفي وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف في

[1] شرح الزرقاني، على موطأ الإمام مالك، الجزء الثالث، الجيل، بيروت، كتاب الأقضية، ص383-384.

[2] عثمان بن فضل، شوائب حجية الحكم الجزائي على القضاء المدني مجلة المحاماة التونسية لسنة 1986، ص51، والحديث المذكور بحثنا في بعض كتب الحديث و لم نقف على تخريجه.

حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلـــك، البينة على المدعي واليمين على مـــن أنكر والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا أحل حراما أو حـــرم حـــلالا ومن ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمدا ينتهي إليه، فإن بينه أعطيتـــه بحقه، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإن ذلك هو أبلـــغ للعـــذر وأجلى للعمـــي ولا يمنعـــك قضـــاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيـــك فهديت فيه لرشدك أن تراجـــع فيـــه الحق فإن الحق قديم لا يبطله شـــيء ومراجعة الحق خير من التمادي فـــي الباطل، والمسلمون عدول بعضـــهم على بعض إلا مجربا عليـــه شـــهادة زور أو مجلودا في حد أو ظنينا فـــي ولاء أو قرابة فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحـــدود بالبينات والأيمان، ثم الفهم فيما أدلـــي إليك مما ورد عليك مما ليـــس فـــي قرءان ولا سنة ثم قايس الأمور عنـــد ذلك واعرف الأمثال ثم أعمـــد فيمـــا ترى إلى أقربها إلـــى الله وأشـــبهها بالحق.

وإياك والغضب والغلـــق والضجـــر والتـــأذي بالنـــاس والتنكـــر عنـــد الخصومة فإن القضاء فـــي مواطـــن الحق مما يوجـــب الله بـــه الأجـــر ويحسن به الذكر، فمن خلصت نيتـــه في الحق ولو على نفسه شأنه الله فإن الله تعالى لا يقبل من العبـــاد إلا مـــا كان خالصا، فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائـــن رحمتـــه والسلام عليك ورحمة الله".

ويقول علي بن أبي طالب -كاتبـــا- إلى الأشتر النخعي والي مصر -فـــي معرض اختيار القضاة- ما نصه:

"ثم اختر للحكم بين النـــاس أفضـــل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق بـــه الأمور ولا تمحكـــه الخصومـــة ولا يتمادى في الذلة ولا يحصـــر مـــن الفيء إلى الحق إذا عرفه ولا تشـــرفه نفسه على طمع، ولا يكتفـــي بـــأدنى فهم دون أقصاه وأدقهم في الشـــبهات وأخذهـــم بـــالحجج وأقلـــهم تبرمـــا بمراجعة الخصم وأصـــبرهم علـــى تكشف الأمور وأصدقهم عند اتضـــاح الحكم ممن لا يزدهيـــه إطـــراء ولا يستميله إغراء"[3].

◆ يعني اختصـــار: ق.إ.م.ت.إ. – قـــانون الإجـــراءات المدنيـــة والتجارية والإدارية.

مدخل:

إن الأحكام من عمل الإنســـان التـــي يرد عليها الخطأ أو السهو ويفســـدها الغرض أو الجهل، كما أن الخصم قد يهمل الدفاع عن حقه ويرجو فرصـــة أخرى لتعويض ما فاتـــه واســـتكمال

[3] إدريس العبد لاوي، التنظيم القضائي المغربي الحديث 1975، ص61-62.

دفاعه، توفيقا بيـــن مصلحـــة هـــذا الخصم المحكوم عليه التـــي تقضـــي بوجوب إعادة النظـــر فـــي الحكـــم لتدارك ما وقع فيه الخصم من خطـــأ أو ثبات الحكم مـــن نقـــض، وبيـــن مصلحة النظام العام ومصلحة الخصم المحكوم له والتي توجب وضع حـــد للمنازعات وجعل الحكـــم الصـــادر نهائيا لتســـتقر الحقـــوق لأصحابـــها وتصبح الأحكـــام عنوانـــا للحقيقـــة، وضع المشرع-في العديد من الـــدول -ومنـــها الجمهوريـــة الإســـلامية الموريتانية - نظامـــا للطعـــن فـــي الأحكام وحصر طرق الطعـــن فـــي دائرة معينة ولم يجزهـــا فـــي كـــل القضايا ووضع لـــها أجـــلا محـــددا يقتضي[4].

فالطعن في الحكم تظلم منـــه، يرفـــع ممن صدر عليه وهو حق ينشـــأ أو رخصة[5] تتولد للمحكوم عليه من حكم صادر في الدعوى يرمي من ورائـــه إلى تصحيـــح الحكـــم إذ أن تعيـــب الأحكام، وبالتالي تصحيحها لا يكـــون إلا عن طريق الطعن فيها بـــالطريق الجائز قانونا، فالحكم إلى أن يعلن أو يعدل من محكمة الطعن يعتـــبر هـــو الصواب الذي يتعين احترامه مـــا دام لم يطعن فيه، فلا يجوز رفع دعـــوى ببطلانـــه أو تقريـــر انعدامـــه لأن المنازعة فيه بغير طريـــق الطعـــن المقرر للقـــاعدة. فالقـــانون إذ نظـــم طريقا معينة للطعن في الأحكام إنمـــا قصد إلى قصر التظلـــم مـــن هـــذه الأحكام على تلك الطرق دون غيرها احتراما لحجيتها، فلا يجـــوز رفـــع دعوى بطلان مبتدئة ضد الأحكام.

معنى ذلك أن طـــرق الطعـــن هـــي الوسائل التي بمقتضاها يمكن التظلـــم من الأحكام فلا يمكن رفـــع دعـــوى مبتدأه بطلانـــها، فالأحكـــام خـــلاف العقود، وحكمـــة هـــذه القـــاعدة أن استمرار الحقوق[6] لـــدى أصحابـــها يقتضي احترام الأحكام. فلا يطعـــن فيها إلا بطرق خاصة، وإجـــراءات

---

[4] قانون المرافعات المصري.

[5] ادريس طارف السباعي، المستشار بالمجلس الأعلى: نظرات في الفقه والقانون، ص18.

[6] يعرف الحق بأنه مصلحة ذات قمة مالية يحميها القانون، أما الرخصة فهي مكنة واقعية لاستعمال حرية من الحريات العامة، وتفيد لغة التيسير، وفي الإصطلاح ما شرع لعذر استثناء من دليل عام يقتضي المنع بعبارة يكون هناك دليل المنع فتأتي الرخصة استثناء من هذا المنع وفي هذا الاتجاه يقول تعالى في سورة البقرة (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) الآية: 172. ولذا قيل العزائم حق الله على العباد والرخص حظ العباد من لطف الله تعالى..

للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر: مصادر الحق في الفقه الإسلامي -دراسة مقارنة بالفقه الغربي- دار إحياء التراث العربي- تاريخ النشر غير مذكور. ص9، وقارنه ب: ادريس طارق السباعي - نظرت في الفقه والقانون 1، ص35.

خاصة وفي مواعيد معينة بحيث إذا انقضت تلك المواعيد دون الطعن في الحكم أصبح غير قابل للطعن فيه، وعد في نظر المشرع عنوانا للحقيقة وأغلق كل سبيل لإعادة النظر فيه. على أن هذه القاعدة (لا ترفع دعوى ببطلان الأحكام) ولا يطبق على الأحكام المقدمة مثل الأحكام الصادرة من قاض غير مختص أو بدون توقيعه (المادة 2/147 ق.م.م.ت.م وما يليها في ق.إ.م.ت.م) أو الصادرة من هيأة مكونة من قاضيين بدلا أو الصادرة على شخص متوفى قبل رفع الدعوى عليه، أو الحكم الصادر دون أو يكتب أو كان الحكم خاليا من أي منطوق، فهذه الأحكام منعدمة لأنها فقدت ركنا من أركانها (أن يصدر الحكم من محكمة تتبع جهة قضائية، أن يصدر في خصومة وأن يكون مكتوبا) فهذه لا تعد أحكاما في نظر القانون ولا تخضع بالتالي لقواعد الطعن في الأحكام فيجوز رفع دعوى أصلية ببطلان الحكم المنعدم، كما يجوز التمسك بانعدامه عن طريق الدفع ببطلانه في أي دعوى يجري التمسك فيها بالحكم أو عن طريق المنازعة في تنفيذه.

فالحكم في هذه الأحوال يتجرد من أركانه الأساسية، ويكون في المصلحة إهدار حجية الحكم برفع دعوى ببطلانه، وترفع دعوى البطلان الأصلية أمام المحكمة التي أصدرت الحكم أيا كانت، وسواء محكمة أول درجة أو محكمة استئناف، أو محكمة النقض، كما يمكن التمسك بهذا البطلان أيضا في صورة دفع أو طلب عارض، وإذا تعلق الأمر بحكم له القوة التنفيذية فيمكن التمسك ببطلانه عن طريق المنازعة في تنفيذه أمام المحكمة المختصة بنظر منازعات التنفيذ (قاضي التنفيذ)، وبذلك تكون طرق الطعن في الأحكام هي الوسائل القضائية التي يضمنها القانون لمراقبة صحة الأحكام ومراجعتها فهي تهدف إلى كشف أخطاء الحكم المطعون فيه، سواء تعلقت هذه الأخطاء بالقانون الموضوعي أو الإجرائي، أم بالوقائع أم بغير ذلك من الأسباب، كما تهدف تلك الطرق إلى إصلاح هذه الأخطاء والرقابة على القضاة الذين أصدروا الحكم المطعون فيه.

وهي تتنوع بين طرق عادية (الاستئناف والمعارضة) (المواد 167 وما بعدها بالنسبة للاستئناف) و(المواد 189-193 من ق.إ.م.ت.إ- وهذه هي الطرق العادية، أما الطرق الغير عادية فتتمثل في اعتراض الغير المواد 194، 195 و196). وطلب المراجعة (المواد 197-2-2) والطعن بالنقض (المواد 203-229)

والطعن لصالح القانون المادتين (230 و231) ق.إ.م.ت.إ.- وعلى أساس هذا التقسيم فالحكم الابتدائي يجوز الطعن فيه بالاستئناف – بقصد إصلاحه أو تعديله، ويرفع الطعن بالاستئناف إلى محكمة أعلى من المحكمة التي أصدرت الحكم، وإذا كان الحكم الصادر بالاستئناف مخالفا للقانون أمكن الطعن فيه بالنقض أمام المحكمة العليا – محكمة النقض- التي تقتصر على نقض الحكم أي إلغائه إذا رأته مخالفا للقانون، وإعادة الدعوى إلى المحكمة كي تفصل فيها من جديد أما إذا كان الحكم مبنيا على خطأ في الوقائع، وكان حكما نهائيا فإنه يطعن فيه بالتماس إعادة النظر أمام ذات المحكمة كي تعدله أو تلغيه، وطرق الطعن -عادية أو غير عادية[7] واردة في القانون على سبيل الحصر فقابلية الأحكام للطعن عليها أو عدم قابليته مسألة تتعلق بالنظام العام تقضي بها المحكمة من تلقاء نفسها وأساس تقسيم طرق الطعن إلى طرق عادية وطرق غير عادية، أن الطرق العادية لم يحصر القانون أسبابها ولم يحدد حالاتها[8] فيجوز استئناف الحكم لأي سبب يراه الطاعن سواء كانت هذه الأسباب ترجع إلى ما يشوب الحكم من عيب في إجراءاته، أم خطأ من حيث ما طبق على موضوعه من قواعد القانون أم من حيث فهم المحكمة للوقائع تقديرها وتحصيل الناتج منها، أما طرق الطعن غير العادية فقد حصر المشرع أسبابها وحدد حالاتها، فلا يقبل الطعن بها إلا لعيب من العيوب التي نص عليها القانون، فلا يجوز الطعن بالنقض إلا بسبب عيب قانوني من العيوب التي أوردتها (المادة 204 من قانون الإجراءات م.ت.إ) (وتقابلها المادة 248 من قانون المرافعات المصري) ولا يجوز الطعن بطلب المراجعة إلا بعيب من العيوب الواردة في المادة 198 ق.إ.م.ت.إ. الموريتاني أو التماس إعادة النظر كما ورد في المادة 241 من قانون الإجراءات المدنية المصري.

(موضوع متواصل)

[7] لتعميق النظر حول نظرة الفقه المقارن لهذه المسألة. انظر محاضرات السنة الثالثة قانون خاص كلية الحقوق بسوسة – الجمهورية التونسية. سنة 2000.

[8] قارن في هذا الصدد بين قانون المرافعات المصري وقانون الإجراءات المدنية والتجارية والإدارية الموريتاني.

المحيط ودوره في تنشئة الطفل

عبد الوهاب ولد محفوظ
خبير اجتماعي - إدارة الشؤون الاجتماعية - وزارة الصحة والشؤون الاجتماعية

يعتبر التوائم الحقيقيون، الذين يولدون من انقسام بويضة ملقحة واحدة، أقرب الأقارب من الناحية الوراثية لكنهم عندما يفصلون فترة الولادة ويجعلون في محيطات وأوساط مختلفة تجد كلا منهم يتميز بسلوك مختلف وشخصية مختلفة باختلاف المحيط الاجتماعي والتربوي الذي تربى فيه رغم وحدة الوراثة والمحيط الداخلي: فما هو المحيط إذن؟ وما دوره في تنشئة الطفل؟ وهل هناك عامل آخر؟ وما هو؟.

المحيط:

المحيط هو ذلك الوسط الذي يحيط بالإنسان في مختلف مراحله العمرية ويساهم في تحديد سلوكه وطريقة تعامله مع المجتمع ومع الطبيعة، وينقسم إلى عدة أقسام:

- المحيط الداخلي فترة الحمل
- المحيط الخارجي بعد الولادة والذي ينقسم بدوره إلى قسمين: محيط بيئي، ومحيط اجتماعي، فما هي هذه الأقسام إذن؟

أولا: المحيط الداخلي: يعتبر رحم[1] الأم هو المحيط الأول الذي يضع بصماته على جبين الجنين بدرجة قد تؤثر في نموه الجسدي أو العقلي أو النفسي. ذلك أن انتقال الأمراض التناسلية إلى الجنبين مثلا تترك لديه آثارا سيئة على المستوى الجسدي والعقلي ومن ثم النفسي مما يؤثر سلبا في نموه وتنشئته حتى ولو كان محيطه الخارجي متميزا، كما أن تدخين الأم فترة الحمل أو سكنها في بيئة ملوثة قد يسببان تشويهات للجنين نتيجة نقص كمية الأوكسجين المطلوبة للتنفس، وبالمقابل نقص

[1] فآخر عاقل: علم النفس التربوي- دار الكتاب اللبناني – بيروت 1980.

التغذية التي تأتي للجنين عن طريق المشيمة أو عدم اعتدال كمية الماء الموجود في الكيس الجنيني من الناحية الكيميائية والفيزيائية؛ كل ذلك يؤثر سلبا على صحة الجنين وسلامة شكله وشخصيته.

هذا وعلى الرغم من قلة ما نعرفه عما تسببه التشويهات الولادية من أذى يلحق بالذكاء ومن ثم بتنشئة الطفل إلا أنه من الجائز جدا أن يكون الكثير من القصور العقلي الذي نسب في الماضي إلى الوراثة أن يكون إذن ناشئا عن شروط قبل الولادة لا يمكن ضبطها بدقة والتنبؤ بنتائجها، هذا بالإضافة إلى التأثيرات النفسية والاضطرابات العاطفية للأم التي تنتقل إلى الجنين وتترك أثرها في نفسية الوليد ومزاجه بل قد تؤدي إلى إسقاطه قبل الأوان، وإن كان هذا لا يعني أن خبرات الأم وأفكارها تنتقل إلى الجنين أثناء فترة الحمل، فالأم التي تشاهد أطفالا جميلين لا تلد بالضرورة طفلا جميلا كما هو شائع لدى بعض المجتمعات التقليدية والأمثلة من هذا النوع كثيرة وإن كانت ظروف الولادة ذاتها قد تترك آثارا ضارة في الوليد وقد تترك هذه الإصابات آثار جسدية أو عقلية لدى الطفل، فالشلل الإرتجافي مثلا، قد ينجم عن الولادة بسبب الضغوط غير السوية التي تسبب تزيفا داخل دماغ المولود وغير ذلك كثير. غير أن كل هذه التأثيرات لا يمكن أن تلغي بأي شكل من الأشكال دور المحيط الخارجي بصنفيه البيئي والاجتماعي فما هو المحيط الخارجي إذن؟ وكيف يؤثر في تنشئة الطفل؟

ثانيا: المحيط الخارجي: ينقسم المحيط الخارجي إلى قسمين هما المحيط البيئي والمحيط الاجتماعي الذي سنركز عليه في دراستنا هذه، فما هما هذان المحيطان إذن؟

I- المحيط البيئي: وهو المحيط الإيكولوجي الطبيعي وما ينطوي عليه من ظروف مناخية وطبيعية قد تؤثر إيجابا أو سلبا على نمو الطفل وصحته ومن ثم شخصيته إذا ما تم تلويثه بمواد ضارة، ذلك أن العقل السليم في الجسم السليم وهذا الأخير لا يمكن أن يتوفر في محيط ملوث مهما كانت بساطة هذا التلوث مما قد يحد من نجاعة تنشئة الطفل بطريقة ملائمة وبصورة سليمة، والمثال الذي سقناه عن المرأة الحامل قبل قليل وضرر التلوث على جنينها يمكن أن يساق على الطفل نفسه بعد الولادة بل وعلى الأم والمربين الذين يحيطونه بالرعاية والأمان، بل والمجتمع ككل وذلك لنقص كمية الأكسيجين وتلوث الهواء والماء وكل ما يستهلكه الإنسان بوصفه كائنا حيا يحتاج

فيزيولوجيا لإشباع حاجاته الطبيعية من محيطه الطبيعي كأي كائن آخر.
وهكذا وبطريقة ميكانيكية فإن المحيط البيئي الجيد يساعد على تنشئة الطفل ونموه في ظروف صحية ملائمة ويعمل على توفير جو مناسب لحياة قويمة وسليمة. لكن ولأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه فإن هذا المحيط الطبيعي الجيد يبقى مفتقرا إلى محيط اجتماعي أحسن لسير تنشئة الطفل وفق شروط لائقة ومسؤولة بوصفه إنسانا أولا، وحمله الله الأمانة في الأرض ثانيا لينشر العدل والرحمة ويعمر الأرض ويسهر على صلاح البلاد والعباد، فما هو هذا المحيط الاجتماعي إذن؟ وإلى أي حد قد يؤثر إيجابا أو سلبا في تنشئة الطفل؟

II- **المحيط الاجتماعي:** ويتمثل في كل ما يتعلق بصلات الفرد بالمجتمع وما يشتمل عليه من ثقافة ودين ولغة وعادات وتقاليد وكافة الموروثات الحضارية المكتسبة عن طريق الاحتكاك الحضاري والتفاعل الاجتماعي والثقافي المميز لكل مجتمع على حدة.
ذلك أن لكل مجموعة اجتماعية نماذج حضارية وثقافية خاصة بها تولدت عبر مسارات تاريخية معينة ومخاضات عسيرة، كما أن لها طريقتها التعليمية الخاصة لعناصرها منذ الصغر مما يؤدي إلى تشابههم إلى حد كبير من حيث السلوك والطبائع والأمزجة والقيم. وهكذا فالأفراد الذين يعيشون في مجتمع حربي مثلا يتكيفون ويتقبلون أساليب الحرب في مجتمعهم برحابة صدر. أما الذين يعيشون في مجتمع مسالم وهادئ فإنهم يكونون كذلك، لكن من أجل أن نحدد أثر ودور المحيط الاجتماعي في تنشئة الطفل علينا أن نتعرض لدور الوحدة الاجتماعية الأولى التي تعمل على تربيته والتأثير فيه في إطار ما يسمى بالتربية قبل المدرسية، ألا وهي الأسرة، ثم المدرسة في مرحلة ثانية ثم المحيط الاجتماعي الآخر كالأصدقاء والجيران والشارع وغير ذلك من العناصر الاجتماعية والثقافية التي تؤثر بشكلها في تنشئة الطفل، فما هي الأسرة إذن؟ وكيف تؤثر في تنشئة الطفل؟

1 - الأسرة:
هي الخلية الاجتماعية الأولى التي تستقبل الطفل بأنواع الرعاية والعطف "فإلى جانب دورها في تكوين شخصيته وتشكيل سلوكه وإمداده بالخبرات المبكرة فإنها تقوم بدور الوسيط بينه وبين المجتمع المحيط به بكل ما فيه من مؤسسات وعادات وتقاليد وقيم وقوانين. فالحالة الاجتماعية والنفسية التي تعيشها

الأسرة لها أبلغ الأثر على شخصيته الناشئة، فالطفل الذي ينشأ في جو أسري مشبع بالوفاق والثقة والمحبة والاحترام ينمو نموا نفسيا سويا بعكس الطفل الذي ينشأ في جو يتسم بالحرمان وكراهية الوالدين لكثرة الشجار بينهما"[2].

إن كون تشكل الملامح الأساسية لشخصية الطفل تأخذ مداها خلال السنوات الخمس الأولى التي يقضيها هذا الطفل في الأسرة، يعطي الأخيرة مكانة هامة في تكوين شخصية الفرد وتعليمه معظم أشكال السلوك وأساليب التكيف التي يستطيع من خلالها أن يحقق قدرا من التوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه.

هذا ويمكن رصد مجموعة من الجوانب المهمة في شخصية الطفل في إطار الخلية الأسرية وهي كالتالي:

أ- الجانب التحصيلي:

أما الجانب التحصيلي فرغم تعقيده وتشابكه وتداخل عناصر أخرى في تشكيله كالذكاء الذي يسمح لصاحبه بإدراك وفهم ما يصل إليه عن طريق الحواس ويجعله على مستوى يمكنه من الاستدلال والاستقراء والتعرف على المواضيع المختلفة بالإضافة إلى الجانب الانفعالي الذي يوفر للطفل قدرا من الطمأنينة والاستقرار ويساعده على التحصيل واستخدام الوظائف العقلية.. وأخيرا دافعية الطفل للتحصيل والتعلم، رغم تداخل كل هذه العناصر إذن في عملية التحصيل لدى الطفل فإنها تبقى هي المسؤول الأول والأخير عن هذه الجوانب وإلى حد كبير، وذلك لأنها هي التي تثري حياة الطفل الثقافية في البيت من خلال وسائل المعرفة المختلفة كالمكتبة والمراقبة على الاستفادة منها والمراقبة على أخذ النصائح المفيدة والقيم العليا من أجل تنشئة طفل صالح ومسؤول، كما أن الأسرة الآمنة المستقرة التي تمنح الطفل الحنان والحب تبعث في نفسه الطمأنينة والأمان وبالتالي الاستقرار والثبات الانفعالي الذي يعتبر شرطا للتحصيل الجيد، هذا بالإضافة إلى أن الأسرة التي تحترم[3] قيمة التعليم وتشجع عليه تجعل الطفل يقبل على التعلم بدافعية عالية.

ويشدد الدكتور علي بن محمد التويجري المدير العام لمكتب التربية العربي على دور الأم في الأسرة ويصفه بأنه دور مركزي بمثابة

[2] محمد صدق حسن "التكامل بين المدرسة والبيت" عدد الصفحات ١١ – التربية – مجلة محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم – العدد السادس والعشرون – السنة العشرون – مارس 1991 – ص100.

[3] التربية – نفس المرجع – ص107.

النواة بالنسبة لخلية الأسرة ويؤكد التربويون المعاصرون على ضرورة ترابط الأسرة وتحمل الأبوين لدورهما التربوي معا في ظل متطلبات العصر وذلك لما تمليه عليهم حركة التطور المعرفي الراهنة، كما يؤكدون أنه لكي تهيئ الأسرة الظروف الملائمة لأبنائها فإن عليها أن تراعي متطلبات كل مرحلة عمرية من حياة الطفل حسب مستوى تفكيره أو بنائه الجسمي، توفير المناخ المناسب لعملية المراجعة والاستذكار وذلك بالابتعاد عن الجو المشحون بالتوتر والمشاكل ومحاولة اصطحاب الأبناء في زيارات ميدانية أو رحلات ترفيهية لإطلاعهم على البيئة المحيطة بهم والترويح عنهم من روتين المدينة أو القرية التي يعيشون فيها، كما ينبغي للمرأة أن تراقب سلوكيات الأبناء بصفة مستمرة وملاحظة ما يطرأ عليهم من تغيير ومحاولة الحد من المؤثرات الخارجية التي أدت إلى هذا التغيير إن كان سلبيا. وهكذا فقبل أن يلتحق الطفل بالتعليم النظامي أو الأصلي (الديني) تتم تربيته في إطار ما يسمى بالتربية قبل المدرسية التي هي تربية الأسرة، ذلك أن أساس سمات شخصية الفرد في مختلف جوانبها تتشكل خلال السنوات الأولى من حياته، كما سبق أن ذكرنا، والمعروفة بمرحلة الطفولة المبكرة أو الصغرى والتي تمتد من مرحلة الميلاد وحتى سن السادسة على نحو يصبح من الصعب تعديل شخصيته في مراحل النمو التالية.

ب - الجانب الصحي: (الصحة الجسمية):

من الناحية الجسمية تتوقف سلامة الطفل على مدى مراعاة شروط التغذية الصحية والتهوية والإضاءة لضعف بنيته الجسمية التي إن تعرضت في هذه المرحلة لأمراض أو سوء تغذية فإن آثارها السلبية قد تلازمه مدى حياته، مما يظهر الدور البارز للأسرة في تقديم الرعاية الصحية للأطفال وتوفير العناصر الغذائية اللازمة في مرحلة التكوين والبناء الجسمي التي تعتمد عليها مراحل النمو القادمة[4].

ولا أدل على ذلك مما للبن الأم من أهمية غذائية وصحية بالغة في نمو الطفل حيث أثبتت الدراسات الحديثة أنه لن يوجد أي بديل غذائي مساو له في توافر العناصر الغذائية الأساسية والفيتامينات وما يحصن به ضد الأمراض والنزلات المعوية وشلل الأطفال ولين العظام الذي يكثر حسب الدراسات المختصة لدى

[4] عبد الحميد اللقاني: الأسرة والتربية قبل المدرسة - عدد الصفحات 5 - مجلة التربية - عدد 107 دجمبر 1993 - ص89.

الأطفال الذين يعتمدون في غذائهم على الألبان الصناعية كبديل للبن الأم الطبيعي[5].

ومن الدراسات التي أظهرت أهمية التربية الأسرية في مرحلة الطفولة المبكرة تلك التي كشفت عن العلاقة بين نظام التغذية في هذه المرحلة وسمات التكوين الجسمي في المستقبل من ناحية السمنة: حيث أشارت نتائج هذه الدراسات إلى أن المبالغة والإفراط في تغذية الطفل في هذه المرحلة يؤدي إلى زيادة عدد الخلايا الدهنية في النسيج الدهني؛ وتظهر أعراض السمنة على جسم الطفل والتي تتميز بطابع الأزمان على نحو يجعل من الصعب نقص وزنه في مرحلة البلوغ لعدم إمكانية التخلص من هذه الخلايا الدهنية الزائدة. أما الإصابة بالسمنة بعد البلوغ نتيجة الإفراط في الراحة والتغذية فتتسم بكونها سمنة غير مزمنة حيث أن الإفراط الغذائي في هذه المرحلة يؤدي فقط إلى تضخيم الخلايات الدهنية دون الزيادة في عددها، مما يجعل من السهل علاجها باتباع نظام غذائي خاص يؤدي تدريجيا إلى إنقاص حجم هذه الخلايا الدهنية المتضخمة بطريقة يعود بعدها الجسم إلى حالته الطبيعية.

ج – الجانب العقلي: (الصحة العقلية):

أما من ناحية النمو العقلي للطفل في نطاق الأسرة فإن أولى مراحل تأثره بالمحيط تبدأ من فترة الحمل كما أشرنا آنفا - حيث أثبتت الأبحاث أن وصول القدر الكافي من الأكسيجين إلى مخ الجنين يعتمد على مدى توافر الراحة الجسمية للأم الحامل حيث أصبح بالإمكان وعن طريق تحليل السائل الامينوسي المحيط بالجنين أن يكشف الطبيب عن عدم وصول القدر الكافي من الأوكسيجين إلى مخ الجنين وذلك بسبب إرهاق الأم الحامل ويتنبأ نتيجة لذلك بالتخلف العقلي للطفل بمعنى هبوط درجة ذكائه عن القدر الذي بالإمكان أن يكون عليه في حالة توفر الشروط الصحية اللازمة لنمو العقل، أضف إلى ذلك أن النمو العقلي للطفل يتأثر في هذه المرحلة الأسرية المبكرة من حياته بما يتبع من ممارسات تربوية وما يتوافر من عناصر ومثيرات بهذه البيئة الصغيرة التي تمثل كل شيء بالنسبة للطفل[6]. فكلما توافرت بهذه البيئة الخبرات التربوية السليمة والألعاب التربوية الذهنية التي تعتمد على الحل والتركيب وما يصاحب هذا من مشاكل تتحدى تفكير الطفل

[5] التربية: المصدر نفسه.

[6] التربية / ص90/91

كلما ساعد هذا على نمو ذكائه وقدراته العقلية إلى حد كبير[7].

ومن الممارسات التربوية الأسرية الخاطئة في مرحلة الطفولة المبكرة تلك التي تنتج عن الإفراط في تدليل الطفل والمبالغة في حمايته نظرا لما هناك من علاقة قوية بين توافر المشكلات التي تتحدى ذكاء الطفل وبين نموه العقلي: فالطفل الذي يتعرض للحماية الزائدة والتدليل المفرط من قبل الأم والتي تجعله يعتمد عليها اعتمادا كليا في تلبية طلباته وإشباع حاجاته دون أن تمنحه الفرصة للتدرب على بعض ما يستطيع ممارسته في تلك المرحلة يتعرض لإعاقة في نموه العقلي نتيجة لعدم مواجهته لمشكلات يتعين عليه مواجهتها والتفكير في حلها.

وفي هذا المجال يمكننا أن نشير – على سبيل المثال– إلى ما يتبع من ممارسات تربوية خاطئة وضارة بالنمو العقلي للطفل من قبل الأمهات، كحرمانهن له من[8] التدرب على إطعام نفسه. وارتداء ما يستطيع ارتداءه من ملابس بمفرده وقيام الأم نيابة عنه بأداء ما يستطيع أداءه بنفسه، وذلك من قبيل المبالغة في حمايته وتدليله، مما يؤدي إلى وجود تأثير سلبي على النمو العقلي للطفل نتيجة لعدم توفر الخبرات التي تشحن الذهن وتدفع إلى التفكير وبالتالي إلى نمو الذكاء. ومن الأمور الجديرة بالذكر في هذا المجال ما كشفت عنه الدراسات من وجود علاقة بين حجم الأسرة وذكاء الطفل، فقد كشفت الدراسات المختلفة أنه عندما تتساوى أسرتان في جميع العوامل التي تؤثر في تحديد مستوى ذكاء الطفل فإن درجة ذكاء الأطفال في الأسر الأقل حجما تكون أعلى من درجة ذكاء أطفال الأسر الأكبر حجما، وذلك لتوفر فرصة أكبر أمام الوالدين في الأسرة الصغيرة للتفاعل مع أطفالها وإجابة أسئلتهم وتوجيههم مما يساعد على شحذ وتنمية ذكائهم إلى أقصى حد تؤهلهم له قدراتهم العقلية.

د – الجانب النفسي: (الصحة النفسية):

إذا انتقلنا بعد ذلك إلى الجانب النفسي لنمو الطفل نجد أن التكوين النفسي للطفل يبدأ منذ مرحلة الحمل حيث يشعر الجنين بمدى انتظام ضربات قلب الأم، مما جعل الأطباء ينصحون بوضع المولود على بطن الأم عقب ولادته واحتضانه أثناء الرضاعة بل وحتى في حالة الرضاعة الصناعية نظرا لأن شعور الوليد بانتمائه للجسد الحي للأم يكون لا يزال قائما عقب ولادته.

---

[7] التربية/ 91/90.

[8] التربية / 91/90.

ويستمر تأثر الجانب النفسي لشخصية الطفل من خلال خبراته في الأسرة منذ اليوم الأول لميلاده "فالطفل إذا كان صغيرا ليفهم، فهو ليس صغيرا لكي يحس ويشعر ولهذا ينصح الأطباء دائما بإبعاد الوليد عن الأم إذا كانت متوترة أو حزينة حيث إن احتضانها له وهي في حالة نفسية سيئة تشعر الطفل بتوترها عن طريق التلامس العضلي بينهما، مما يشعره بالنبذ في هذه المرحلة الحساسة من حياته، ويجعل من الصعب علاجه في المستقبل من الآثار السلبية لهذه المشاعر. ويرى علماء النفس التحليليون أن الخبرات التي يمر بها الطفل خلال مرحلة الطفولة المبكرة قد تؤدي في المستقبل إلى ظهور الأمراض العقلية والنفسية. أما علماء النفس السلوكيون فيمكن تلخيص موقفهم بالنسبة لهذه المرحلة في عبارة (واطسون) أبي المدرسة السلوكية، التي قالها بعد دراسته لعديد من أطفال هذه المرحلة من أن تربية الطفل في هذه المرحلة من الممكن أن تقوي شخصيته أو تحطمها قبل أن يتخطى سن السادسة[9].

كما أن شعور الطفل بالعطف والمحبة والحنان في هذه المرحلة يؤثر تأثيرا إيجابيا على حالته واتجاهاته النفسية إزاء الآخرين في المستقبل. هذا الغذاء النفسي والروحي للطفل نجده مصاحبا لعملية الإرضاع الطبيعي حيث يشعره بالأمن والحنان نتيجة للتلامس العضلي بينه وبين صدر الأم عند احتضانه مما يجعلنا ننصح حتى تلك الأم التي تعتمد في تغذية وليدها على الألبان الصناعية بأن تحتضنه أثناء هذه التغذية حتى لا يحرم من هذه التغذية النفسية إلى جانب حرمانه من التغذية الطبيعية فتكون الطامة أكبر والآثار أكثر سلبية.

هـ - الجانب الاجتماعي:

إذا انتقلنا إلى تنمية الجانب الاجتماعي في شخصية الطفل نجد أيضا أن تنميته[10] "تبدأ أولا عن طريق الأسرة من خلال عملية التشكيل الاجتماعي له بإكسابه لعادات وتقاليد وقيم واتجاهات وأنماط السلوك المقبولة في ثقافة الجماعة التي ينشأ بين أفرادها: ففي نطاق الأسرة يبدأ الطفل أولى مراحل تعلمه باللغة السائدة في المجتمع كوسيلة للاتصال بينه وبين أفراد هذا المجتمع وعن طريق هذه اللغة تبدأ عملية تشكيله اجتماعيا وذلك نتيجة إصدار الكبار للأحكام الاجتماعية التي تصل للأطفال عادة في شكل ألفاظ يتعلم

[9] التربية: ص90/91.

[10] التربية: نفس المرجع ص92.

من خلالها الطفل ما هو مقبول ومرغوب فيه وما هو منبوذ ومستهجن، ما هو صواب وما هو خطأ، ما هو حلال وما هو حرام مما يساعد على تشكيل وتعديل سلوكه طبقا للمعايير الاجتماعية التي تحكم سلوك أفراد الجماعة التي ينشأ على ثقافتها. ففي هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل يبدأ في اكتساب آداب السلوك الاجتماعي والمعايير التي تحكم علاقته بالآخرين صغارا وكبارا فيتدرب بذلك على أساليب التفاعل الاجتماعي السليم في ظل القيم والاتجاهات السائدة في ثقافة المجتمع، فيتعلم كيفية الأخذ والعطاء ونكران الذات والتعاون والتنافس إلى غير ذلك من أساليب التعامل بين أفراد الجماعة التي يحيا في ظلها.

و- الجانب التربوي:

ومن الدراسات التي أظهرت الآثار التربوية للأسرة تلك التي كشفت عن وجود علاقة قوية بين خبرات الطفل في المرحلة المبكرة وبين سمات شخصيته في المستقبل: فباختلاف الثقافات بين المجتمعات تختلف خبرات الطفولة في هذه المرحلة، ومن هنا كان أحد العوامل الأساسية في اختلاف سمات الشخصية بين أفراد الجماعات المختلفة. فعلى سبيل المثال كشفت إحدى الدراسات عن أن الأطفال الذين يتم فطامهم في مرحلة مبكرة من حياتهم (قبل الشهر الرابع) يكونون أكثر تشاؤما ممن استمروا في الرضاعة لفترة أطول حيث أنهم كانوا أكثر ثقة بالناس وأكثر إيمانا بانتصار العدالة ويرى البعض أن التفسير المحتمل لذلك هو أن رعاية الطفل لمدة أطول فيما يتصل بعملية الرضاعة تؤدي إلى خلق الشعور لديه بالثقة والأمان والشعور الإيجابي إزاء الحياة بصفة عامة.

وهناك دراسات أخرى كشفت عن وجود علاقة بين الاستقلال في الصغر، وقوة دافع الإنجاز في الكبر: بمعنى أنه كلما توافرت للطفل في الأسرة فرص الاستقلال أو الاعتماد على النفس في ممارسة شؤونه الخاصة وإشباع حاجاته في المأكل والملبس والملعب وإعداد فراشه كلما قوي لديه دافع إنجاز الأعمال في الكبر وعلى هذا الأساس فإن المربين ينصحون دائما أولياء الأمور بأن يشجعوا الطفل على الاستقلال والاعتماد على نفسه كلما أمكن ذلك بحيث لا يساعد الطفل فيما يمكنه القيام بإنجازه بنفسه، ولا تتدخل لمساعدته إلا في الأعمال التي لا تؤهله مرحلة نموه للقيام بها.

2- المدرسة:

هي مؤسسة تربوية تساهم إلى جانب الأسرة في تربية الطفل وتنشئته في ظروف صحية وسليمة إذا ما أحسن استخدامها في سبيل ذلك. وهكذا فكلما كانت العلاقة وطيدة بين المدرسة والتلميذ الطفل تضاعف انجذاب التلميذ إلى هذه المدرسة وحبه لها، ولكل ما يصدر عنها من إرشادات وتوصيات، وهذا لا يكلف المعلم أو المعلمة أكثر من بسمة راضية، وكلمة لطيفة ووديعة أحوج ما يكون الطفل إليها حتى لا يحس بالابتعاد عن جو أسرته وأحضان والديه لئلا يفضل أحدهما على الآخر ويبني على هذا التفضيل قياسات معينة ليست لصالحه كيفما كان نوعها.

من هنا كان على كل معلم أن يدرك العالم الخاص للطفل وأوضاعه ومشاكله وهمومه الخاصة، التي قد تؤثر سلبا أو إيجابا في تفوق الطفل أو تخاذله، فإذا استطاع أن يستقصيها ويدعم المنشطات ويعززها ويرفدها بالمدد[11] أو يبدد المعوقات ويمحقها يكون قد قام بعملية تربوية سامية توجه الطفل وتشحذ طاقاته. في هذا الإطار ينبغي أن ننتبه إلى أن للطفل أعمارا عديدة:[12] عمر زمني وعمر عقلي وعمر نفسي وعمر وزني وغير ذلك كثير. فالطفل الذي قد يكون ابن عشر سنوات زمنيا (العمر الزمني) قد يكون له عمر عقلي قدره ثمان سنوات وعمر وزني قدره سبع سنوات. وعلى المعلم الذي يرغب في أن ينسق بين تعليمه ومستوى نمو الطفل أن يفهم هذه الحقيقة على أنها قاعدة مهمة وينبغي أخذها بعين الاعتبار في الدور التربوي الذي يقوم به، ذلك أن منهجا تربويا ينبني على أساس العمر الزمني وحده أو العمر العقلي وحده على سبيل المثال لن ينجح في مواجهة حاجات الطفل بوصفه كلا متكاملا ينبغي التعامل مع كل مفرداته الجزئية للتمكين في آخر المطاف من إشباع كل حاجاته بشكل كلي وعقلاني. وهكذا فإن التعاون بين المدرسة والأسرة وبينهما وبين المجتمع المحلي هدف ينبغي أن ينشده كل من يسعى لمصلحة الأطفال والمجتمع على السواء خصوصا إذا كان هذا التعاون متأسسا على مبادئ الأخلاق والمحبة والتعاون والاستقامة والعدالة الاجتماعية وإلا فإن أي تعاون غير تربوي ستكون نتائجه وخيمة وضارة بمستقبل الطفل والمجتمع ككل.

---

[11] دور الأسرة والمدرسة في التربية عدد الصفحات 10 - مجلة التربية عدد 97 - 1991 - ص142.

[12] فاخر عاقل - مرجع سبق ذكره.

إن التفاهم ومد جسور التعاون بين الأسرة والمحيط المدرسي له أهداف تربوية مهمة ونتائج مفيدة على التلاميذ يمكن تقديمها في النقاط التالية[13]:

- التكامل بين البيت والمدرسة والعمل على رسم سياسة تربوية موحدة للتعامل مع التلميذ بحيث لا يكون هناك تضارب بين ما تقوم به المدرسة وما تقوم به الأسرة.
- التعاون على علاج مشكلات التلميذ خاصة تلك التي تؤثر على مكونات شخصيته
- التعاون على رفع مستوى الأداء وتحسين مردودية العملية التعلمية (مراجعة الدروس المدرسية في البيت تحفيظ القرآن في البيت والمحضرة وذلك لما للقرآن الكريم من دور بارز في صقل القلوب وتزكية النفوس وتقويم للسلوك.
- تبادل الرأي والمشورة في بعض الأمور التربوية والتعليمية بين المعلمين وآباء التلاميذ والمختصين التربويين ورفعها للجهات المختصة لتنفيذ المناسب منها والمفيد في التنشئة التربوية والاجتماعية.
- العمل على رفع مستوى الوعي التربوي لدى الأسرة ومساعدتها على فهم نفسية التلميذ ومطالب نموه وأسلوب تربيته المناسب والابتعاد عن التدليل الزائد أو القسوة المفرطة.
- العمل على وقاية التلميذ من الانحراف وتجنيبه من اللعب مع الأصدقاء المنحرفين وفي الشارع المنحرف وذلك عن طريق الاتصال المستمر بين الأسرة والمدرسة في سبيل خلق جيل صالح وسوي.

هذا هو المحيط إذن بمختلف فروعه وأصنافه رغم قلة ما قدمنا عنه من معلومات من الأسرة إلى المدرسة ومن المحيط الداخلي فترة الحمل إلى المحيط الخارجي الاجتماعي والبيئي في مختلف مراحل حياة الفرد من البيت إلى المدرسة من الاخوة إلى الشارع والأصدقاء.

كل هذه الأصناف مجتمعة هي التي تؤثر سلبا أو إيجابا في تنشئة الطفل وتربيته، لكن هناك عامل آخر له دوره البارز في تشكيل شخصية الطفل وتنشئته إلى جانب المحيط هو عامل الوراثة لكن ينبغي أن نتذكر أيضا أن الإنسان كائن اجتماعي بالدرجة الأولى وبدون محيطه الاجتماعي يبقى ناقصا.

[13] التربية – عدد 26 – مرجع سبق ذكره ص101-102.

التعليم والفقر (التأثير والتأثر)

الجزء الثاني

د. محمد ولد اعمر - المدرسة العليا للتعليم

ب- الجانب الكيفي:

إن الانفجار التربوي الذي عرفته الدول العربية (تضخم في العرض والطلب التربويين) أدى إلى ثورة تربوية نتيجة الآمال الكبرى التي رسمت وطلب من التعليم تحقيقها (هدف ووسيلة).

إلا أن الدول العربية والنامية بشكل عام، لم تتساءل بطريقة نقدية عن نمط التربية الأكثر مواءمة لاحتياجاتها التنموية، فقد اكتفت -في الغالب- بمواصلة النظام الذي خلفته السلطة الاستعمارية مع تطويره -نظاما تربويا استعماريا مستوردا-. وقد أدى هذا إلى وجود فجوة عميقة في العديد من البلدان، بين إنتاج النظام التعليمي والنتائج المدرسية، لهذا أصبح الجانب الكمي لا يكفي؛ فنوعية التعلم -النتائج المدرسية- يجب أن تقيم بالاستناد إلى مهارة الفرد وكفاءته في العمل، وكذلك إلى تكافؤ الفرص.

لقد ترافق النمو الأسي للقطاع التربوي مع تكاثر التحديات والمآزق، لا سيما في وطننا العربي. فخلال العقدين الأخيرين، ولدت المغامرة التربوية جملة من الأوضاع الصعبة، بحيث أن التفاؤل الحماسي الذي ساد في البدء قد أخلى مكانه أمام شعور بالخيبة والمرارة. وأخذ على هذا النظام التعليمي أنه يغلب القيم الأنانية والمادية على المسؤولية المشتركة والمجهود الجماعي، وأنه يعتمد منلهج متصلبة لا صلة لها بالاحتياجات، وأنه يستخدم تقنيات تعليمية -في الغالب- عفا عليها الزمن، ويشل المبادرة الفردية وحب الإطلاع، وأنه ينتج خريجين مذعنين وعاجزين عن التفكير بأنفسهم، وسيعمق الهوة بين الأغنياء والفقراء. بالإضافة إلى هذه المآخذ والاتهامات، يعزى إلى المؤسسات التربوية في البلدان النامية والعربية، عدد من العيوب والنواقص منها: هدر مدرسي يتجسد في معدلات تسرب وإعادة مرتفعة؛ ارتفاع معدل البطالة المترافق مع مشكلة الفيض التربوي أي: كثرة الخريجين والنقص الحاد في الهيئة التعليمية؛ عدم كفاية التمويل؛ تخصيص اعتمادات

لمشروعات ضخمة عديمة الفائدة والجدوى؛ انفجار في أعداد التلاميذ يؤدي إلى التجهيزات والخدمات الاجتماعية؛ نقص الإحصاءات والمعلومات الصحية الضرورية للتخطيط والتقويم وتمركز المؤسسات المدرسية في المدن على حساب المناطق الريفية...[1]

لا نود هنا أن ننكر الجهود التي بذلت والأهداف التي تحققت -وإن كانت دون المستوى المطلوب- وبالذات في مجال الأهداف العامة للتربية في الوطن العربي (الإسلام، العروبة، أهداف التنمية الاقتصادية، اتجاهات العصر ومقتضياته وخصائصه، حاجات الفرد العربي...)

وفي مجال المناهج الدراسية (إصلاح المناهج وربطها بخطط التنمية ومواكبتها للمتطلبات الحاضرة...)

وفي مجال الإدارة التربوية (إدخال الطرائق والأساليب الحديثة في الإدارة والتنظيم...)

وفي مجال إعداد المعلمين وتدريبهم (طورت برامج التأهيل والتدريب..)

وفي مجال الامتحانات والتقويم التربوي (جُودت عملية وضع الأسئلة وطرق الامتحان والتصحيح والحد من الغش في الامتحانات...).

التعليم هو الأداة الفنية الرئيسة في تحقيق التغيير الاجتماعي - الاقتصادي والثقافي، وعليه فقد كانت المؤشرات تدعو إلى التوسع السريع في الأنظمة التعليمية في جميع مراحلها، وخصوصا في المرحلتين الثانوية والعالية، إيمانا بمبدأ تغطية الاحتياجات اللازمة من القوى العاملة المؤهلة، هذا بالإضافة إلى راحة الأوساط السياسية من الضغط الاجتماعي المطالب بالمزيد من التعليم.

أدى هذا التطور إلى نقص نوعي، ففي إطار الجوانب الكيفية للنظام التعليمي العربي يمكن ملاحظة ارتباطها الضبطي المحافظ، أكثر من اهتمامها بتحرير الوعي وبلورته (التعليم من أجل التغيير)، وتدل الدراسات التي عنيت بتحليل مضامين المقررات الدراسية وهرمية العلاقات داخل المؤسسة التعليمية وشكل المباني وموقع غرف الإدارة منها، والتي تجعل المدرسة من حيث بنائها وتنظيمها أقرب إلى ثكنات ومعسكرات من يقضون بعض العقوبات. هذا فضلا عن دور التعليم في إعادة التمايزات الاجتماعية وتكريس أفكار تستحوذ على عقول المتلقين للتعليم

[1] آبولو رومير (Apollo Rwomire) التربية والتنمية، آفاق إفريقية، مجلة التربية الفصلية (مستقبليات اليونيسكو، مجلد22، العدد2 - 1992، ص:274.

ووجدانهم، ولعل من الأدلة على هذا ما يلي[2]:

1- من حيث ممارسات النظام التعليمي، فهو تلقيني وسلطوي، وينحي ويستبعد الحوار والقدرة على البحث وحل المشكلات، ويركز على الماضي والحاضر ويهمل المستقبل ويفتقر إلى المعيار العلمي في تقويم المعلم وتنميته.

2- من حيث تنظيماته، يعاني من سيطرة الازدواجية والانقسامية في أنماط المؤسسات التعليمية ولغة التدريس والمقررات (عام وفني / أجنبي وأهلي / ذكور وإناث.../...) والتعددية الثقافية (البربرية Berbèrité والعروبة Arabité والإسلامية Islamité والمسيحية، وتعدد اللهجات...)[3]. وفي هذا السياق التعليمي المضطرب ترتفع نسب المعلمين غير المؤهلين تربويا وأكاديميا.

3- أما عن مخرجات النظام التعليمي وعلاقتها بمتطلبات التنمية وشروطها، فقد لوحظ انحياز التعليم ضد الإناث لصالح الذكور، وضد الأرياف لصالح الحواضر، وضد الطبقات الدنيا لصالح الطبقات المسيطرة، وأن ما يكسبه التعليم للمتعلم من مهارات ومعارف هو محدود في كمه، ومتخلف -في الغالب- في كيفه عن التطورات المعرفية والتقنية العالمية، فالتكرار والتلقين والطقوس اليومية في طوابير الصباح، وأساليب التعليم... كل هذا يجعل المتعلم يسير في اتجاه واحد ليقبل ما هو قائم ويرى أنه الأفضل. وتبدو علاقة مخرجات التعليم بالإنتاج عاجزة، بسبب مضامين التعليم وطرق التدريس، وبسبب حالة الإنتاج العربي التابعة للخارج (الدول الصناعية)، والتي تتطلب مهارات معينة.. مما يؤدي إلى الإختلاف بين أسواق العمل ومخرجات النظام التعليمي[4].

ثانيا/ المشكلات التي يعاني منها التعليم في الوسط العربي

يعاني معظم الدول العربية من جملة من المشاكل في مجال التعليم، منها،

[2] عبد الباسط عبد المعطي / بعض المتغيرات الاجتماعية المؤثرة في العلاقة بين التعليم والتنمية البشرية في الوطن العربي، ندوة التنمية البشرية، مركز دراسات الوحدة العربية ديسمبر 93. ص:306.

[3] أحمد معتصم، التعددية الثقافية والتربية في المغرب، مجلة التربية العصلية (مستقبليات) اليونسكو، مجلد 22، العدد2، 92، ص203.

[4] يوسف حلباوي / الثقافة في الوطن العربي مفهومها وتحدياتها، سلسلة الثقافة الفرنسية رقم 21 مركز دراسات الوحدة العربية، ص:229.

مشكلة تعميم التعليم الابتدائي، ومشكلة نقص الوسائل التي تترجم شروط عمل صعبة: مبان خربة، أثاث بال، مختبرات غير صالحة، صفوف مكتظة. وأخيرا مشكلة انعدام المواءمة بين أنواع التعليم والأعداد وبين احتياجات سوق العمل.. من هنا ستركز على بعض المشكلات الهامة، وهي:

أ- الفلسفة التربوية:

الفلسفة التربوية تستقي جذورها من الفلسفة الاجتماعية، ولافتقاد الفلسفة التربوية التي توجه النظام التربوي كله يختل التسلسل الطبيعي في سير العمل التربوي: فعن الفلسفة التربوية تصدر في العادة السياسات التربوية، وعن هذه تصدر الاستيراتيجيات. ومن فلسفة التربية تشتق الأهداف الكبرى للنظام التربوي ثم أهداف المراحل التعليمية فأهداف المناهج، وصولا إلى الأهداف السلوكية.

ومن هنا كان لا بد للفلسفة التربوية العربية أن تنطلق من[5]:

- أن الفلسفة التربوية لا يحددها البحث النظري بل الواقع المعاش
- إن الفلسفة التربية الكبرى التي تضعها الفلسفة التربوية ليست غايات خالدة، وإنما هي تصورات مشتقاة من الواقع تتغير بتغيره، وتمتحن وتطور طريق ممارستها في قلب المؤسسة التربوية.
- أن تتصف الغايات التي تضعها الفلسفة التربوية بالطابع الإجرائي: تكنولوجيا الأهداف التربوية، التي تعني وضع الغايات الكبرى، فالأهداف العامة (الوسائل، والمناهج)، ثم الأهداف السلوكية (ترجمة المناهج إلى أهداف إجرائية).

ب: التخطيط التربوي: إن الهدف الأساسي من التخطيط التربوي لم يتم تحقيقه في الوطن العربي، وهذا الهدف بحاجات جعل التربية (توظيفها مثمرا) للأموال التي تنفق، بدلا من غلبة طابع (الخدمة الإستهلاكية) عليها. فربط التربية بحاجات العمالة ليس كافيا لجعلها توظيفا مثمرا بالأموال، لأن التربية ترتبط في جوانب عديدة مع الأهداف الاقتصادية. فالتربية إجمالا عندما تزيد من قدرات الفرد - إنتاجيته- ما ونوعا أيا ان موقعه، تؤدي على المدى القريب والبعيد إلى نتائج اقتصادية (أثر محو الأمية مثلا).

إن التطور الحاصل اليوم في البنى الاقتصادية - وغيرها- وفي الحاجة من القوى العاملة كما ونوعا، وفي مطالب التقدم العلمي والتقابي السريع، يفرض على التخطيط التربوي، كما

[5] راجع عبد الله عبد الدائم -مرجع سابق) ص92-96.

يفرض على نظم التربية بنية ومحتوى وطرائق، اللجوء إلى المرونة، وإلى انطلاق هذا التخطيط من مبدأ الاحتمالات والإكثار من هذه الاحتمالات وتنويع البدائل، والسيناريوهات المتعددة الممكنة. إذن تخطيط تربوي مرن ونظام تربوي مرن.

منذ فترة - قرابة القرن - أصبح الفرد في العديد من البلدان، أكثر فأكثر يرتباطا بمستواه التعليمي منه بأصله ومنبته -وفي الغالب-. وينجم عن هذا أن التربيةلم تعد تقتصر على نقل مهارات وقيم، بل أصبحت يناط بها مهمة توزيع الأفراد تبعا لعدد من الأدوار التي ستوكل إليهم عند بلوغهم، وتهيئتهم لتلك الأدوار، وأصبحت الأجور المرتفعة مشروطة بالمستويات العلمية الرفيعة.

من هذا المنطلق يجب علينا في وطننا العربي أن نولي إهتماما للتوجيه المهني والتربية المهنية، فالتوجيه المهني هو صلة الوصل بين النظام التربوي والنظام الاقتصادي، بين احتياجات التلاميذ واحتياجات المجتمع ككل، بين الوضع الحالي للتلميذ ووضعه في المستقبل.

أما التربية المهنية فهي مجموع التجارب والخبرات التي يتعلم الشخص من خلالها العمل ويستثمر جهوده فيه جاعلا منه أسلوب حياة، أوهي المجهود الذي تبذله الجماعة لمساعدة الأشخاص -شباب، راشدين- على التهيؤ بصورة أفضل لممارسة عمل معين باكتسابهم الدرايات التي تتيح لهم التطور بالوتيرة نفسها التي يتطور بها المجتمع حتى يتخذ العمل -بأجر أو بدون أجر- مزيدا من المعنى في حياتهم ويغدو منبعا أبر للرضى[6].

في إطار مواكبة التحولات الاقتصادية (العولمة) وآلياتها المختلفة والتي من بينها سياسات التثبيت والتكييف،فإن دولنا العربية لن تحقق مكانتها اللائقة إلا عن طريق التعليم والتدريب، حيث أن مؤهلات العاملين ومستواهم التعليمي هي التي تسمح لكل بلد باكتساب وتكييف التكنولوجيا التي تضمن إنتاجا أفضل بلفة أقل وبتوجيه بنى الإنتاج نحو أسواق جديدة ومنتجات جديدة.

وخلال العقود الثلاثة الأخيرة احتل التعليم التقني والتدريب المهني مكانا كبير الشأن في إستراتيجيات التربية.

خلال هذه الحقبة، خصصت البلدان النامية، بدافع من وكالات المعونة الدولية، ومنها البنك الدولي، استثمارات ضخمة لتنمية التعليم التقني والتدريب المهني في القطاع العام. وقد

---

[6] ماريا لويسا رود بيغس مورينو (Maria Luisa Rodriguer (Morino دمج التربية المهنية في المناهج المدرسية / مستقبليات، مجلد 18، العدد 4، ص552.

استخلص البنك الدولي نتائج كبرى من دراسته[7]:

- إن نجاح التعليم التقني والمهني رهن، إلى حد كبير، بتوفر إدارة رشيدة للاقتصاد. فلكي تتاح فرص العمل أمام خريجي المؤسسات التعليمية ومراكز التدريب لابد للسياسة الاقتصادية المتبعة من أن تسعى إلى تنشيط الاستثمارات وخلق الوظائف.
- يجب أن تكون الأهداف المرسومة للتعليم التقني والمهني هي الأهداف الصالحة. فهذا التعليم يعطي أفضل النتائج عندما يتمحور حول الاحتياجات الحالية أو المتوقعة، في مجال الوظائف والمهارات المطلوبة، فعندما يكون محكوما أو مستحثا بالطلب، يستجيب لاحتياجات السوق. أما إذا سعى وراء أهداف مرتبطة بالعرض قلت فاعليته[8].
- عندما يكون المطلوب التهيئة لمهنة أو وظيفة محددة، فالتدريب داخل المؤسسة الإنتاجية هو الفضل، إذ يكون هذا التدريب محكوما بالطلب، فيميل طبيعيا إلى تحقيق نسبة الكلفة/الفاعلية المرتفعة أو الكلفة/المنفعة.

[7] جون مدلتون (وآخرون) (John Midelton) وثيقة حول السياسة العامة للبن الدولي في مجال التقني والتدريب المهني. (مستقبليات) مجلد 22، العدد 2، 1992، ص:150.

[8] اوللاكان (Ulla Kann) التوجيه المهني وسوق العمل، الوجه من أجل التغيير أو من أجل التدخين، (مستقبليات) مجلد 18، العدد4، 1998، ص:523.

الجدول 2: الإنفاق العام على التعليم في بعض الدول العربية

البلد	كنسبة موية من الناتج الإجمالي		الإنفاق التعليمي منسوبا إلى الإنفاق العام
	1980	1990	1990–1988
الجزائر	%7.8	%9.1	%27
جيبوتي	–	%3.3	
مصر	%5.7	%6.7	%9.8
موريتانيا	%5	%4.7	
المغرب	%6.1	%5.5	%25.5
تونس	%5.4	%6.1	
الأردن	–	%5.9	
عمان	%2.1	%3.5	
قطر	%2.6	%3.4	
السعودية	%5.5	%6.2	
سوريا	%4.6	%4.1	%13.1
الإمارات	%1.3	%1.9	

المصدر: تقرير التربية في العالم، سنة 1993، ص: 155 و 156.
وإبراهيم العيسوي/ ملاحظات في ضوء التقرير المصري للتنمية البشرية لسنة 94/ التنمية والتخطيط، مجلد 3، عدد 1، ص: 42.

بشكل عام يمن أن نقول إن من أخطر ما تعاني منه دول العالم الثالث ما أسماه رونال دور (Ronald Dors) مرض الدبلوما، إذ لا تهتم نظم التعليم في دول العالم الثالث بتوصيل المعرفة والمهارات المطالب بتاتا ولكنها تهتم بشكل أساسي بالشهادة أو المؤهل[9].

ج: الإنفاق على التعليم: تراوح نصيب الإنفاق العام التعليمي من

[9] مالكوم جيرلز (وآخرون) ترجمة طه عبد الله منصور، اقتصاديات التنمية، دار المريخ، ص368.

الناتج القومي الإجمالي لكل بلد من 1.3% و7.8% سنة 1980 وبين 1.9% و9.4% سنة 1990، وقد سجلت دولة الإمارات أخفض المستويات، وهنا يجب أن نفرق بين نسبة الإنفاق التعليمي إلى الناتج، ونسبة الإنفاق التعليمي إلى الإنفاق العام، حيث يرجع الفرق بين النسبتين إلى الاختلافات الكبيرة بين الدول فيما يتعلق بدور أو حجم الحكومة مقاسا بنسبة الإنفاق العام إلى الناتج القومي الإجمالي لأن[10]:

$$\frac{\text{الإنفاق التعليمي}}{\text{الناتج القومي}} = \frac{\text{الإنفاق التعليمي}}{\text{الإنفاق العام}} \times \frac{\text{الإنفاق العام}}{\text{الناتج القومي}}$$

فقد تخصص دولة ما نسبة كبيرة من إنفاقها العام للتعليم (المغرب 25%) ومع ذلك تكون نسبة إنفاقها التعليمي إلى الناتج منخفضة أو متوسطة، 5.5% مثلا، لأن نسبة إنفاقها العام إلى الناتج منخفضة أو متوسطة، وبالعكس قد تخصص دولة أخرى نسبة أصغر من إنفاقها العام للتعليم (مصر 9.8%) ومع ذلك تكون نسبة إنفاقها التعليمي إلى الناتج مرتفعة 6.7% مثلا، لا لشيء، إلا لكون نسبة إنفاقها العام إلى ناتجها القومي أعلى.

من هنا نقول إن المقارنة يجب أن تتم على أساس الزيادة الحقيقية في الإنفاق على التعليم، وبالتالي نصيب الطفل في المتوسط من الإنفاق على التعليم، ونعن بالطفل هنا من هو في سن التمدرس، ولا نعن به المسجل في المدرسة فقط، باعتبار أن نسبة الإنفاق العام على التعليم إلى عدد الأطفال في المدارس قد لا يكون معبرا عندما نعرف أن التسرب المدرسي يلعب دورا كبيرا في تكبير أو تقليل هذا المعدل.

إذن الإيمان المتعاظم بأن التربية هي الترياق الشافي لجميع الأمراض الاقتصادية والاجتماعية، قاد الغالبية الساحقة من البلدان العربية إلى تخصيص استثمارات

[10] إبراهيم العيسوي / ملاحظات في ضوء التقرير المصري للتنمية البشرية لسنة 94: التنمية والتخطيط – المجلد 3، العدد1، ص42.

ضخمة لهذا القطاع، فإذا استثنينا الدفاع، تشل التربية في معظم الحالات البند الأكبر في الميزانية العامة وأحيانا القطاع الأوسع.

هذه الآمال التي علقها قادة الاستقلال على التربية، كانت السبب في التوسع الهائل الذي شهدته النظم التعليمية واستيعاب فئات كانت محرومة، من قبل، من منافع التعليم النظامي (الانفجار التربوي).

لقد ساهم تطبيق بعض الدول العربية في السنوات الأخيرة لبرامج الإصلاح الاقتصادي المقترحة من طرف صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، في رفع تكلفة الحصول على الخدمات التعليمية لمختلف فئات المجتمع سواء من خلال ارتفاع مصروفات التعليم الحكومي أو من خلال زيادة الاتجاه نحو التعليم الخاص، فضلا عن اضطرار الطلاب إلى القول إن برامج الإصلاح عن طريق نظم التعليم، تحيزت ضد الفئات المحدودة الدخل، مما أدى إلى تزايد معدلات التسرب -وبالذات في الطبقات الفقيرة خارج المدرسة المعمل والحصول على مصدر رزق بدلا من تحمل أعباء مستمرة يشك في عائدها - نتيجة البطالة -.

والسؤال المطروح هو كيف تحقق في وطننا العربي تعليما أفضل بنفقات أقل لعدد أكبر من الطلاب؟

د: الأمية: مشكلة محو الأمية ترتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة العجز عن تعميم التعليم الابتدائي، ما دامت الأمية في جوهرها نتيجة من نتائج سيل الأطفال الذين لا يدخلون المدرسة (النظامية أو المحاظر - الكتاتيب)، فالأمية إذن ظاهرة اجتماعية لها عدة أبعاد (تعليمية والاقتصادية...) وهي مظهر من مظاهر التخلف.

الجدول 3: معدل القراءة والكتابة في بعض الدول العربية لسنة 1994

	معدل القراءة والكتابة بين الكبار
الأردن	%85.5
الإمارات	%78.6
السعودية	%61.8
تونس	%65.2
الجزائر	%59.4
الكويت	%77.8
العراق	%56.8
مصر	%50.5
موريتانيا	%36.9
اليمن	%41.1
الصومال	%24.9
الوطن العربي ككل	%53.5

المصدر/ المستقبل العربي، 227 بتاريخ 1998/01، ص: 198.

أهداف ومضامين المدارس المنتسبة في المراحل التعليمية

إعداد/ أحمدو ولد المختار السالم
المنسق الوطني لشبكة المدارس المنتسبة لليونسكو

لقد جاءت رسالة اليونسكو منذ إنشائها عام 1946 دعوة إلى الاهتمام الخاص بالعمل، وذلك من خلال التأكيد على أهمية التعليم بجميع أنواعه، وعلى كافة المراحل. فالميثاق التأسيسي لليونسكو يؤكد على أهمية دورها في دعم مجالات التعاون الدولي من أجل السلام والأمن والعدالة.

وانطلاقا من أهمية دور التربية في بناء عالم يسوده التفاهم، والسلام والعمل من أجل الإنسانية، تأسست شبكة المدارس المنتسبة لليونسكو لكي تكون بداية الطريق الرائد لإعداد التلاميذ، للعيش في بيئة يصبغها البعد المحلي، وتكون كذلك نافذة للتواصل العالمي مع شعوب العالم، وهذا يتطابق مع السياسة التربوية التي تنتهجها بلادنا بغية النهوض بنظامنا التربوي وتحسين نوعيته.

ومن هنا فلا بأس بأن نتعرف على أهداف ومضامين المدارس المنتسبة في مراحل التعليم، إذ تعتبر الغاية الأساسية لليونسكو هي تعزيز التفاهم والسلم على الصعيد الدولي من خلال التربية المدرسية؛ لذلك اعتمد المؤتمر العام لليونسكو في كافة دوراته قرارات تهدف إلى تحقيق هذه الغاية وأثبت مشروع المدارس المنتسبة، خلال ما يزيد على أكثر من أربعين عاما، أنه وسيلة فعالة لإيصال نشاط المنظمة في مجال التربية من أجل التفاهم والسلام على الصعيد الدولي، إلى المؤسسات التربوية في كثير من بلدان العالم المختلفة.

وكان الغرض الرئيس هو تشجيع المدارس في جميع مراحل التعليم على إعداد برامج خاصة، تستهدف زيادة المعرفة بمشكلات العالم وبالتعاون الدولي وتنمية التفاهم من خلال دراسة الشعوب والثقافات الأخرى، وتعميق فهم مبادئ حقوق الإنسان وضرورة مراعاتها. والغاية من ذلك كله هو تعزيز التنمية العامة للتربية من أجل التفاهم الدولي من خلال ما تقوم به شبكة المدارس المنتسبة من نشاطات في هذا المجال.

أهداف ومضامين للمدارس المنتسبة في المراحل التعليمية

أولا: رياض الأطفال: تهدف التربية من أجل التفاهم الدولي في هذه المرحلة، إلى تمكين الطفل، عن طريق أساليب اجتماعية وجدانية لا بأساليب معرفية، من تكوين مواقف إيجابية، وتعويده على التعاون مع أقرانه والأشخاص الآخرين في بيئته المحلية.

ونظرا لأن المناهج الدراسية في هذه المرحلة تتسم بقدر كبير من المرونة، فإن المعلم لديه مجال كبير لتحقيق هذا الهدف بيسر وسهولة، حيث أن تكوين هذه المواقف يتصل اتصالا وثيقا بالسنوات الأولى من العمر، خاصة إذا ما تم التنسيق بالتعاون مع أولياء الأمور.

ويمثل العمل الجماعي، وتمثيل الأدوار، وأنشطة المحاكاة، منهجية قيمة للغاية من أجل تعريف الأطفال المبادئ الأساسية لمفاهيم الاحترام المتبادل، والعمل معا، ومساعدة الآخرين، فهي تساعد في إكسابهم مهارات الاتصال، وغرس القيم الإيجابية، وتعزيز تقدير مبادئ المساواة والعدالة، وتفهم أوجه الاختلاف واحترامها.

كما يمكن أن تؤدي الأنشطة الفنية التي تدور حول موضوعات مناسبة دورا كبيرا في تلقي أفكار عن الطرق التي يمكن للناس أن يعملوا بها، من أجل عالم يسوده التضامن والتعاون.

ثانيا: المرحلة الابتدائية:

إن تطور الأطفال السريع في هذه المرحلة العمرية يتطلب أن يتخذ مجال الأهداف ومستوى المعرفة

والمهارات والمواقف المتصلة بهذه الأهداف، وجها مختلفا في كل مرحلة من مراحل التعليم؛ ونظرا للتنوع الواسع في تثقيف كل تلميذ، فإنه لا يمكن لأهداف التعلم في المراحل الأولى له أن تكون مفرطة في الشمول ولا أن تكون جامدة أكثر مما ينبغي.

إن المدارس الابتدائية هي في الواقع بمثابة ورش للتعلم، يتلقى فيها مواطنو المستقبل تدريبهم، فهي تعمل على إرساء الأسس التي ستقوم عليها البنية الفوقية والفكرية للمواطنة على المستوى المحلي والعالمي.

إن عملية التعلم لدى الأطفال تحدث في محيط من الفئات الاجتماعية والجماعات المحلية داخل المدرسة وخارجها، والطريق التي يتصرفون بها ضمن هذه الفئات، والمعرفة والمهارات التي يكتسبونها والمواقف والقيم التي تتطور لديهم، هي أمور ستحدد- إلى درجة كبيرة- الطريق الذي سينتهجونه فيما بعد في تناول القضايا الدولية عندما يصبحون كبارا.

لذلك ينبغي، في سنوات المرحلة الابتدائية، أن يجري التركيز بصفة خاصة، وفي نطاق كل منهج دراسي، على تطوير مواقف وقيم بناءة، ما دام التمسك بالمواقف والقيم التي تتشكل في سنوات أواسط الطفولة وأواخرها سيستثمر خلال السنوات اللاحقة من حياة الفرد.

وهنا ينبغي أن يقتصر عنصر المعرفة في الدراسة على الحد الأدنى من الأساسيات التي سيكون لها تأثير مستمر على مهارات صنع القرار والمواطنة فيما بعد، وهذا ما يعرف بتوظيف التعليم في الحياة اليومية.

ثالثا: المرحلة الثانوية:

إن الأهداف التعليمية لمضامين التربية الدولية في المرحلة الثانوية هي:

- تطوير السلوك الفردي والاجتماعي وذلك بزيادة القدرة على التحليل والنقد؛
- إتاحة الفرصة أمام التلاميذ للبحث في المشكلات العالمية المعاصرة الكبرى؛

وعلى ذلك الأساس ينبغي أن يبدأوا بتحليل أوضاع واقعية ومحددة لينتقلوا بعد ذلك إلى امتيازات عامة ومجردة إلى أن يصلوا أخيرا إلى العمل المنظم؛

- إتاحة الفرصة للتلاميذ لاختيار أساليب المشاركة الديمقراطية في المجتمعات المحلية والوطنية والدولية بحيث يتعزز احترام حقوق الإنسان، وإقامة العمل وصون السلام؛

- إتاحة الفرصة للتلاميذ بالمساهمة في عملية صنع القرار واتخاذه من خلال التخطيط للأنشطة والبرامج المختلفة وأساليب تنفيذها.

ونتيجة للتفاعلات الهامة لدى التلاميذ في هذه المرحلة بين التعلم من خلال اكتساب المعرفة وبين تنمية الوعي والإدراك في نفوسهم، فإنه يتعين علينا كمربين تحاشي وضع قواعد صارمة ومحكمة قدر الإمكان واللجوء مقابل ذلك إلى المرونة للتماشي مع خصائص هذه الفئة.

ومن هنا تتمثل مهمة المدرس الأساسية في قدرته على تقدير طاقة التلميذ على التقبل وإمكانيته الخاصة التي يبديها في سن معين وإزاء وضع معين، وبوجه عام يمكن الاستعانة بالنقاط التالية كتوجيهات لتعلم أغلبية التلاميذ في المرحلة الثانوية مفهوم التربية الدولية وعناصرها، وهي كما يلي:

1- مواصلة تشجيع النمو الوجداني، مع زيادة التركيز في هذه المرحلة على ممارسة القدرات النقدية والفكرية؛

2- مساعدة التلاميذ على تحديد المعايير التي توجه نموهم الفكري والأخلاقي تلك المعايير التي يمكن أن يستعينوا بها للتأثير الواعي على نمط تفكيرهم وأسلوبهم في الحياة؛

3- تشجيع التلاميذ على تطوير القدرة على العمل، والتغلب على التناقضات التي يواجهونها في أنفسهم ومن حولهم.

وأخيرا فإنه ينبغي الاعتراف بأن نجاح مشروع شبكة المدارس المنتسبة يرجع إلى حد كبير إلى الالتزام الجدي من قبل المدرسين، واستعدادهم لبذل جهود إضافية من أجل الاطلاع على مصادر

المعلومات، وتوفير كل الأساسيات لإقامة علاقة متينة بينهم وبين إدارة المدرسة.

ومن هنا يوفرون بيئة مدرسية يسودها التعاون والتآلف بين جميع الأطراف دون تسلط أو خوف.

فالجو السائد في المدرسة له تأثيره البالغ الأهمية، وعليه فما المصداقية التي يمكن أن تحققها التربية من أجل التفاهم الدولي وحقوق الإنسان إذا كانت العلاقات القائمة بين الطلاب والمدرسين والآباء تحمل طابع التسلط وسوء التفاهم والخوف؟

إن احترام حقوق الإنسان والتفاهم مع الآخرين واحترامهم، وإقامة علاقات منسجمة معهم، من الأمور التي ينبغي أن يتعلمها الإنسان في تعامله اليومي مع الآخرين.

وهي خبرة بالغة لأنها ترسي في الشعور، بل في اللاشعور، الأساس الذي ترتكز عليه المبادئ الأخلاقية والسلوكية في المراحل اللاحقة من حياة الإنسان. كما تضمن إحداث تغيير إيجابية في سلوكه وتصرفاته.

لذا فإنه من الضروري تنظيم الحياة في المدرسة وكأنها مجتمع مصغر بالشكل المنشود، لتحقيق تلك الأهداف. وهذا لا يعني أن تتحول المدرسة إلى مجتمع مغلق بل أن تبقى منفتحة على العالم الخارجي فتستمد من هذه النظرة إلى الخارج ما ينفيها على الصعيد التربوي.

مـا هو الاتـصـال؟*

لوسيـــان سفيـــز**

ترجمة: محمد بن أحمد بن تتـــا - كلية الآداب بجامعة نواكشوط

أن نحاول تبيان "ما هـو الاتصـال" بألفاظ التعميم العلمي فذلك أمر ليس باليسير لأن الاتصال اليوم هو، في الوقت ذاتـه، الصلـة بـالآخرين، وبـالآلات والتقنيـات والمفـاهيم والحقول العلمية ومجالات التطبيـق والإيديولوجيات، فـهو، إذن، يتخـذ شكل لاهوت جديد للأزمنة الحديثـة، بل شكل ديانة جديدة. والمقصود هنـا إيضاح الكتل الكبرى لهذا "الشـيء". نعم، لهذا "الشيء" لأنـه فـي واقـع الأمر غير قابل للتسمية قبل إخضاعه للتحليل ولنبدأ بالبديهي أي بماذا يعني الكلام، الكلام هو أن يدل شخص مـا على شيء ما. فالمعنى متواضع عليه والكلام مقتسم ومشترك وتلك رمزيـة الكلام. والجماعة تستتبع الحـوار أي الدور في الكلام وبالتالي الاتفاق سلفا على هـذا الـدور. وهـذا الاتفـاق يفترض، كذلك، احترام حد أدنى مـن القواعد، كألا يكون بمقدور الشـخص نفسه، في الوقت نفسه، أن يؤكد شـيئا ما ونقيضه. ومثال آخر يلـزم فـي المقطع نفسه من المناقشة الكلام عـن الشيء نفسه انطلاقا من اللسان نفسه. هذه الملاحظات الأولـى، مجتمعـة، تدل بدءا علـى أن الاتصـال فعـل اجتماعي إن لم يكن سياسيا، فاللغـة كمـا تقـول آن كوكـلان (Anne Cauquelin) تتبني كما ينبني المجتمـع، وقد بينت بخصوص اليونانية القديمـة أن بنيتها تشبه بنية المجتمع فلمن هـم أكـثر تقاربـا (القـادة والفلاسـفة) اللوغوس أو لغة العقل، ولمـن هـم

* جاء هذا المقال تصديرا لعمل جماعي عنوانه: « La communication » صدر سنة 1990 عن المطابع الجامعية الفرنسية.

** من أبرز منظري الاتصال في نهاية القرن العشرين، له « Critique de la communication » الذي يشكل هذا المقال تلخيصا له.

دونهم (الصناع، والعمال اليدويون) لغة التقنية ولمن هم محرومون من العقل (النساء والأطفال) لغة الرأي أو (الدوكسا) وخارج هذه الدوائر الموجية العبيد والبرابرة.

الملاحظة الأولى إذن: هي أن الاتصال يتنزل في فضاء سياسي فهو فعل اجتماعي وفعل سياسي ولكن الاتصال، أيضا، شيء آخر: أجهزة وتقنيات أو كما نقول اليوم تكنولوجيا(ت).

نعم، استمع إلى رجال السياسة ورجال الإعلام ورجال الصناعة، إنهم لا يتكلمون عن التقنيات بل عن التكنولوجيات التي ليست تجميعا بسيطا لتقنيات مخصوصة، بل هي، بالأحرى، خطاب أعلى يستهدف الظهور فوق المجتمع وأن يقيس إلى مقياسه التقني فاعلية كل نشاطات العالم الأرضي، بل وغيره من العوالم المأهولة أو غير المأهولة. هذا التحول في مستوى الكلمات من "التقنية" إلى "التكنولوجيا" ذو شأن، فهو يمثل تحولا في الوضعية، إذ أن التقنية، الأداة البسيطة قد ملكت، ومثل جميع الملوك، أصبحت تستخدم الكتاب الذين يتغنون بمحامدها وقوتها. وصار ثمة كلام تقني مسموع له وزن الأشياء التي يدافع عنها ويسمح لها بأن تتطور. وحول هذا الخطاب التقني تأتي الخطابات الأخرى، في شكل توابع. فالوزراء ورجال الصناعة والكتاب ليسوا سوى رجال الدين بهذه الكنيسة الجديدة. بيد أن الخطاب التقني ينتظم حول مجازين يوضحان ويتوسطان مجموع ظاهرة المكننة، ومن هنا يصبح الاتصال مجالا للتكنولوجيا.

لكن الأمور لا تقف عند هذا الحد، فهذان المجازان، وقد تمت تصفيتهما عبر القرون وتحيينهما في العقود الأخيرة، قد آل بهما الأمر إلى الخروج عن الخط المرسوم مسببين بذلك انقلابا إيديولوجيا عظيما هو ما أسميته: بالتوتزم Tautisme[1].

وعموما فإن الاتصال هو في المقام الثالث إيديولوجيا جديدة أو لاهوت غير أنه لاهوت وثني. وهكذا سنقترح، إذن، تناول المسألة موزعة على ثلاثة أجزاء.

- الاتصال، مقام سياسي؛
- الاتصال، مقام تكنولوجي
- الاتصال مقام إيديولوجي

الاتصال مقام سياسي

لنقل، بدءا، إن الاتصال الجديد يشغل الفضاءات التي أخلتها الإيديولوجيات القديمة التي أكل الدهر عليها وشرب. فالمساواة وما يتعلق بها، والأمة، والسيادة، تبدو لنا اليوم مثل

[1] كلمة منحوتة من الكلمتين توتالتاريزم وأوتيسم.

أهلـة فـي المحـاق. فـالمجتمع، كالطبيعة، يخشى الفراغ ولذا يجـب أن يحل شيء ما محله، وأن يشـغل شيء ما المكانة المركزية للمسـاواة مستعيرا منها العديد من العنـاصر. وأي شيء أكـبر بداهـة إن نحـن استحضرنا ما يقتضيه الاتصال مـن علاقة بين البشر، من قـانون ينظـم هذه العلاقة، وعلى وجه الإجمـال، البحث عن الآخر.

فالمسألة في كلتا الحالتين هي مسـألة الهوية أي مسألة "الرمـزي" (انظـر دروسنا حـول المسـاواة، مطـابع المؤسسة الوطنية للعلوم السياسـية، باريس 1984).

وعن مجال "الرمزي" يمكن القول إنه يرسم حدود عـالم تشـكل العلاقـة المشـتركة قانونـه. وأنـه متخلـل بعلامـات للهويـة، الهويـة التـي يستحيل، إلى حـد بعيـد، تعريفـها. ولكنها حاضرة دومـا فـي أبسـط نشاطاتنا. إنـها أفـق أو مظـهر إن شئت، هو أفق المعنى. والملمح الـذي يهمنا هنا هو الصلـة التـي يقيمـها الرمزي بين العناصر القـارة فيـه، التي تقر بمشاركتها فيه. مقرة كذلـك للآخر (الجار، الزميـل، المواطـن، المماثل)، من خـلال رابطـة غـير مقصودة ولكنها مقبولة، بهذا الـذي لا يمكن إبعاده عن المعنى المشـترك، دون أن يحرم المرء نفسه من جـزء من ذاته، وأن يتأذى من بتر للمعنى. هكذا تكون العلاقة الرمزية جماعـة إدراك وجماعة هوية أيضـا. وهـذا الأفق المغلق على ذاتـه يسـتهدف استقرارا ما برغم الحركـات التـي تخترقه. وهذه العلاقة، في الواقـع، تبنى هيئة corps، تحافظ على ثبـات العناصر التي يمكن أن تميـل إلـى الإفلات منها ولكي يكتمـل التوحيـد ليس بد من وزن الأخلاق والواجـب الاجتماعي ومطلق الضرورة لتبيـان حدود الأنا الهشة، بصـورة دائمـة. الهوية والاختلاف هما وجها تحـول دائم للشيء نفسـه: شـرط الوجـود وقضايا العلاقات والحـدود وتشـكل الهيئات، التي تتعلق باسم أو بصـورة أو تركز لحظات أو أحـداث. كمـا الحال بالنسبة لهذه الهيئات المشـكلة (وتبين العبارة كثـيرا عـن العمـل الرمزي) تتذرع بصـورة للـذات أو لأب مؤسس أو تقاليد متفردة، ومـن هنا بـالذات تتمـيز عـن الـهيئات الأخرى وتتقبلها بوصفها مواليـا أو عدوا لدودا. ولكي تستمر هذه الهويـة أو هذه القدرات على الارتباط، فإنـه من اللازم أن تتأقلم مع الوضعيـات الجديدة والمتحولة. وهذه هي السـمة الثالثة لكل شـكل رمـزي: قابليـة التبادل.

من هنا كان ينبغي أن نبدأ لنبين كيف أن الاتصال اليوم يلعب دور البديل لإيديولوجيات المساواة المنهارة، فالصلة بين الاتصال والمساواة قائمة، بشكل كامل، في الشكل الرمزي للمساواة، في تدني هذا الشكل وفي التجديد الذي يحاول الاتصال منحه لشكل المساواة القديم المنهك الذي أبلت جدته قرون من التحليلات والغموض ولكنه دوما قابل للانبعاث من بين رفاته.

إذا نحن طبقنا هذه الأدوات على وجوه المساواة وجدنا أن الخصيصة الأولى أي مطلب الهوية أساسية لأن المساواة مُشكلة لمطلب الهوية في حالتين فقط هما المساواة الإغريقية والمساواة المسيحية الحميمة. وهذه الخصيصة هي التي تجعل هذين الوجهين المنسجمة صلاتهما والسلسة قابليتهما للتبادل قويتين إنهما الوجهان الأكثر غنى بالرمزية وتشترك جميع الوجوه الأخرى في خصيصة تعمها هي أن مطلب الهوية لا يتشكل أساسا من المساواة. فالمساواة تلعب فيها دورا، ولكنها ضمن عناصر ثقافية أخرى. وهكذا يكون مطلب الهوية، مباشرة، أضعف ويكون انسجام الروابط أقل وتكون قابلية التبادل أكبر فتقود إلى التشتت إن لم تقد إلى الانفجار.

وتكون درجة الرمزية أقل أو معدومة، حسب الحالات، ويتعلق الأمر هنا بالوجوه المستنفدة أو المرفوضة أو المقلوبة، وهذا ما سيمكننا من فهم الاتصال من حيث هو عملية استمرار للمساواة.

المساواة الإغريقية

مطلب المجتمع اللاتيني دون نقاش. **فبفعل** قوة قاهرة تملصت أثينا من القديم عند تشتت الأقاليم المقسمة من طرف الملوك الراسخين في الأرض مثل آلهة أرضية قديمة. وبمجهود عملاق، انفصلت الأرض وأصبحت مساحة مجردة تحمل "تقاطيع" قابلة للتبادل، قابلة للقياس بمقياس اقتصاد "مساو".

هذه المساواة بالعدد، تعيد للإنسان ما كان للآلهة وتجر نحو الحساب الارتماتيقي، نحو التبادل "المنطوق"، الموضوع للتعليق، ما كان، بطبيعته، خارجا عن دائرة كل تعليق. وتتشكل المدينة كلا مؤسسا تقرر أمورها وتعدل من قبل البشر بمقابل القوى الرهيبة للآلهة الجهنميين.

وهكذا، إذن، نشهد تشكل مجموعات متوازنة، تترابط عناصرها: الكونيات والفزيقا والأحياء والهندسة المعمارية والأرتمتيقا والطب، تتبادل فيما بينها عناصر تحولها وتعيد استخدامها في

نظرياتها. إنه انسجام غير عادي بين مختلف النشاطات المنظمة.
هذه العلاقات المتعددة تجعل التحويلات mutations الضرورية سهلة عند ملاقاة أحداث أو اعتداءات خارجية: حيث يكفي المرور من مستوى خطاب إلى آخر، أو إرجاع الأسطورة من حيث كانت قد استبعدت، ليعود الانسجام إلى المجموع.
يمكن أن نقول هنا إن مستوى الرمزية عال وإن كل عنصر مجاور لعناصر أخرى يشكل معنى متقلبا قابلا للتحول بمقتضى الحوادث العارضة، وإن كل عنصر يمتلك، في ذاته، القدرة على إضفاء المعنى على بقية العناصر. وهو تحول سوف تتحدد، لاحقا، ملامحه بوضوح شديد، لأننا سوف نجد، على امتداد تاريخنا المرتبط بهذه المساواة الأصلية، سواء في مستوى التقطيعات أو التجميعات أو الآجورا l'agora (التي هي حتى الآن نموذج عمراني) أو الفيليا philia (المسماة "نقاشا ديمقراطيا") أن المدينة ظلت تمثل مرجعا للدولة. فمونتسكيو وروسو والثورة الفرنسية والاشتراكية والليبرالية جميعا يرجعون، وبصورة دائمة، إلى عنصر أو مجموعة عناصر متفرقة من المدينة الإغريقية التي كانت المساواة حجر الزاوية فيها. لقد كانت درجة الرمزية بحيث يمكن أن يظل هذا النموذج وحيدا، لنقل مغلقا على ذاته في الوقت نفسه الذي يتحمل فيه، في مفارقة، ودون الإخلال بمنطقة، التجزئات واقتطاعات للاحقين.

المساواة المسيحية

وبنفس الدرجة من الرمزية نجد المساواة الحميمة للمسيحيين التي تستجيب لمطلب هوية مفروضة مؤسسة على مبدأ القوة. ففي مملكة السماء ستكون الطلِيعة مؤخرة وسيكون الفقير مصطفى أما المجد فسيكون للخاملين.
وهنا تحل محل المساواة العدالة التي هي إعادة للأمور إلى نصابها. وتهدف هذه المساواة الجديدة إلى أن يكون البشر سواسية أيا كان دينهم أو مذهبهم أو انتماؤهم الطبقي. من أجل ذلك ينبغي أن ينفذ من مختلف العادات والمؤسسات الدينية تيار جديد بوسعه أن يسهل جواز كل إنسان إلى المسيحية.
هذا المجموع الحديث النشأة يجب أن يجد في ذاته القدرة الضرورية للبقاء على الحوادث العارضة.
ولا يمكن أن يبقى التعدد الصوتي الذي يطبع هذه الروابط، والذي يتواصل من خلاله الكون المسيحي مع خارجه، إلا بعد أن تجد جميع

الأصداء حلها المتناغم في مركز موزع للمعنى. وهكذا يتعين على المساواة المسيحية أن تربط مستوى أعلى غير مرئي بما يقوم واقع العالم بتشتيته ونقضه.

وتستفيد المساواة الإغريقية والمساواة المسيحية من استعادة الماضي بواسطة الحاضر الذي يهذب الأشكال ويوحدها فكأن عمل التاريخ قد نقاها من العناصر المختلفة المكونات التي كانت تشتمل عليها هذه الأشكال، ألم تكن دون شك، تمثل في رأي معاصريها هذه الوحدة الدالة التي نعترف لها بها؟ وهذا النقاء الأصلي تعززه قابلية التحول التي هي أحد ملامح الرمزية. بل إن التحولات والتغيرات التي تطال هذه الأشكال الماضوية، التي نتخذها هنا مصدرا، تجعلها آثر وأثرى.

الوجوه المستنفدة: المساواة الثورية

لنتجاوز العصور القديمة ولنتوقف عند مساواة 1789 ولتعذرنا أرواح 1789 فإن رمزية المساواة هنا لم تكن بانية للعالم. لقد كانت، بالتأكيد انعتاقا من ظروف الملكية ولكنها لم تشكل هوية قوية وكلية. فلم يكن وجه المساواة بناء، بل كان، على العكس من ذلك جزئيا بالمقارنة مع ما كانت عليه الحال في ظل لويس 14، كما كانت هذه المساواة أيضا، مساواة طبقة هي البرجوازية، فهي مطلب عدد قليل من المثقفين والفلاسفة والكتاب الجماهيريين.

أما المحاولة الوحيدة لخدمة المساواة خدمة حقيقية فهي تلك التي قام بها روسو. فقد حلل مفهوم المساواة نفسه في هذه المحاولة من حيث هي منفصلة عن الداخل. وقدمت المساواة بوصفها هدفا يجب بلوغه بالتدريج في نهاية سلسلة من العلل. ولكن لم يكن بوسع المساواة التي هي موضوع للتحليل من جهة ومحرك للمشاعر والعواطف من جهة أخرى أن تشكل كلا رمزيا متماسكا. لقد كانت مشروعا يدافع عنه بالحجة.

ويبدو هنا أن الصراع بين العقيدة والعقل (الميتوس = الأسطورة) و(اللوغوس = العقل) قد دفع به إلى حد لا يمكن معه ربط صلات مصطنعة. ومجمل القول أن المساواة هنا ممثلة وليست حاضرة ومن هنا لم تعد دعوة إلى الهوية ولا حاملة لمعنى يمكن أن يكسو ثقافة جديدة. وهكذا تنفتح عدة سبل عندئذ - كالامبيريقية الليبرالية عند ديدرو، الفرضية الاجتماعية عند روسو - تفترق وتلتقي ويبحث بعضها عن بعض، ولكنها لا تشكل كلا.

وهكذا نجد بدلا من الانسجام الكثير من العلائق المعقدة تنسج جميعا "أكاذيب" و"مختلقات" وطبقات،

وأصبحت المساواة معدن تناقضات متنامية.

ورغم الجهد المتجدد لإيجادها عبر الوسائل المهيبة الرائعة مثل عيد العقل، وغليان الرعب، والمساواة عبر درجات وإعادة تشكيل المجموعات الصغيرة المتساوية (النوادي)، متعددة الأقطاب الجاذبة والطاردة في نفس الوقت، والمفصولة، خاصة، عن جماهير الشعب.

وكان لابد من أن تنتظر المدونة المدنية للوصول إلى شكل مساواة خاصة يخلق قاعدة للوحدة الوطنية.

بيد أن هذه الوجوه التي يسمح عدم اكتمالها الثوري بجميع أنواع الفصل بينها وبكل التأويلات، لا تفتأ تلاحقنا إلى اليوم، أنها لصوق يستدعي جميع المسوغات إلى حد ذلك الشعار المهني (Corporatiste) (المزيد دائما الذي وصفه كلوزيه Closet فهي في الرمق الأخير بعد أن استنفذت كافة الأشكال الممكنة.

ومع ذلك فإن اللمسات الأخيرة لم تتم إلا في 1804. ومع أن وجه المساواة كان مستهلكا بدرجة تضعف رمزيته، فقد بقيت له هالة من المعنى جوفاء مشظاة ولكنها حقيقية، سوف يوجه العلم لها ضربة شبه قاضية.

الوجوه المستنفدة: الرفض والقلب

لم يعد من الممكن تطبيق معاييرنا، فرمزية المساواة هنا، بكل بساطة مرفوضة، إذ ليست، بالنسبة لداروين إلا ألفاظها لا معنى لها تبقى بعيدة عن كل مقاربة تجريبية أو مفهومية. والأمر في غاية البساطة، إذ هي مسألة لا وجود لها، والسلام. أو هي موجودة في ميدان غريب على العلم، محظور على العالم، هو الأخلاقيات إلا إذا كان ذلك عبر عودة شخصية حميمة، أي إذا كان مسألة اعتقاد.

وحين قدم ماركس الاغتراب بوصفه أهم أثر للمجتمعات الحديثة، قدم وجها للمساواة ظلت محل جانبه الإيجابي نقاط حذف فكان جانبه السلبي وحده مجالا للحركة الرمزية.

تلك عالمية الاغتراب التي اقتضت أن يظهر هذا الاتفاق على الجانب المقلوب من المساواة لتجد هذه الأخيرة قوة بتعارضها معه. وتلك آلية معروفة للعمل الرمزي إذ يلعب على العلائق المقلوبة للإمساك بالموضوع ومطلب الهوية هنا، وإلى غاية تكوين مجموع "بروليتاري" ذو حدود قابلة للاتساع: فالمرأة مغتربة، والعامل والأجير والإطار والمريض والطفل والمهاجر. وهذه المجموعة تستدعي على الفور صورا توضح هذا الاغتراب مثل طفل العالم الثالث الجائع والعامل المضرب عن العمل

الملاحـق مـن قبـل الشـــرطة، والمناضل.
فقابلية المفهوم للتغير أحادية المعنـى وهي متجهة نفس الوجهـة: تعميـق الهوة. ولا يغني تبدل النظم السياسية من ذلك شيئا. وهذا الاغتراب البـالغ الشمولية يطال أيضا جميع البشـر. فهل يمكن أن يشكل هيئـة؟ وشـيئا فشيئا تزداد المساواة بعـدا ويجتـاح ظلها المقلـوب العـالم. وإذا كـانت درجـة الرمـزي فـي الاغـتراب الماركسي تجد اليوم نفسها آفلة القوى فمرد ذلك إلى أن الطريق الرمـزي الذي سلكه ماركس لـم يجـد بعـد مواقعه الجديدة تتسع وتتغير بمرونـة مع أن ذلك شرط لا غنى عنه للبقاء.
هكذا ابتعدنا عـن الوجـوه الغنيـة بالرمزية وحتـى عـن وجـوه 1789 المستنفدة التي تتأتى نجاعتـها ممـا تمتاحه مباشرة من الوجـهين الأول والثاني ومنذ داروين وماركس دخلت المساواة في عصر النفـي والقلـب. وهذا أفول جلي. ولكنها رغم ذلـك، تظل ضرورة مؤسسة للقانون وللدولة وللعلاقات الدولية القائمة على أسـلس المساواة النظرية بين الدول.

طريق البقاء: الاتصال

لنتفحص بدقة، إذن، الحقل الثقـافي، إن المساواة فـي الوقـت الراهـن، يلزمها لكي تبقى، أن تحاول اكتسـاء ثوب جديد وأن تتخذ شـكلا جديـدا. ويخطر بالبال هنا هذا اللفظ الجـارف العملي عديم الحياء، أعني الاتصـال، الاتصال الذي نما بدءا من أحضـان التسيير والعلاقـات الداخليـة بيـن المقاولات والعلاقات بين المنظمـات ثم أصبح الآن يسعى للتدخـل فـي تنظيم العلائق بين البشـر وتنظيـم المبادلات الثقافية والتربية. بل إنـه يسعى إلى أن يؤمن، في أزمة القيـم، انسجام المجتمع بأسره انتهاء بالدولـة والسلطة، أي الاتصـال المجتمعـي الشامل، مستفيدا في ذلك، وهو الـذي ظهر في بلدان سادتها مفاهيم قديمـة، من أفول هذه المفاهيم.
لنلاحظ العلاقة الوثيقة على مسـتوى التصور بين مساواة العقل الحر وبين الاتصال. فالاتصال يبحـث، مثـل المسـاواة الإغريقيـة والمسـاواة المسيحية عن الآخر من حيـث هـو آخر، ويتجه نحوه لإبلاغه رسـالة أو لاستلام رسالة منـه. وتلتقـي فـي الاتصال ملامح إغريقية ومسـيحية: فالنقاش الديمقراطي يقتضي وجـود بشر متساوين قادرين علـى تبـادل الكلمـات وعلـى تقديـم الحجـج، والمسيحي يبحث عن الآخر في لقـاء مباشر وعـاطفي أو غـير مباشـر وعقلاني ففي الاتصـال نـوع مـن القربان. مـن القربـان المضعـف المنحط؛ من الديمقراطية المفتقرة إلى

العقـل يسـبغها المحتـوى علـى المحتوي، هي أنه ينبغي الاتصـال. هكذا وبدون غاية أخـرى، اتصـالا شاملا.

من الملحوظ هنا أن مطلـب الهويـة بالغ الاتسـاع وأن الروابـط بيـن المجموعات غير المتجانسة ضعيفـة، وبقدر ما تخلو من الهيئة تخلو قابليـة التبادل من المعنـى. وكـل شـيء يتوارى داخل الاتصال الذي يتـوارى بدوره داخل كـل شـيء. ودرجـة الرمزية ضعيفة غير أنه يكتفي بـها لمسيس الحاجة إلى أسـاس يتأسـس عليه القانون والنظـام. تلـك هـي "الديانة" الجديدة التي حللنا ملامحها.

(يتبع)

Références Bibliographiques

Fereydoun A. Khavand, Le nouvel ordre commercial mondial du GATT à l'O.M.C, NATHAN, 1995, pp.5

J.M.Lavieille, «Droit International de l'Environnement» Ellipses, 1998, pp.10 et s

J.P. Frétillet et C.Véglio, «Le G.A.T.T. démystifié», Syros, 1994, p.163 et s.

J. Lebullenger «La communauté européenne face au processus du réexamen du système de règlement des différends de l'Organisation mondiale du Commerce» R.M.C.U.E., 1998 p. 23 et s.

P. Van den Bossche et G.Marceau, «Le système de reglèment des diffèrends de l'Organisation mondiale du Commerce», R.M.U.E. 1998, pp.29 et s.

Michel Rainelli, «La nouvelle théorie du commerce international», coll. Repères, éd. La Découverte 1997 pp.75 et s

Berangère Taxil, «L'O.M.C. et les pays en voie de développement», Montchrestien, Paris 1998, pp. 150 et s.

Les règles des accords commerciaux et multilatéraux, Les Notes Bleues de Bercy, n° 178 du 1er au 15 mars 2000.

que présente le nouveau mécanisme de règlement des différends[1].

II – Les nouveaux défis

Toutes les questions n'ont pas été réglées lors de la dernière conférence ministérielle de l'O.M.C. (octobre 2003 au Mexique), par conséquent, les prochaines négociations commerciales multilatérales, notamment celles prévues en 2005, devront relever des défis considérables : aborder les « nouveaux sujets » comme le commerce de l'électronique et les organismes génétiquement modifiés ; accueillir de nouveaux membres, aussi différents que la Russie et l'Algérie, quand ils seront à même d'apporter toutes garanties requises, sur le plan économique et sur le plan politique ; améliorer l'intégration des pays en voie de développement dans le système commercial international, leur donner la possibilité de défendre effectivement leurs droits devant le mécanisme de règlement des différends en développant notamment les moyens consacrés à la formation et à l'assistance technique. L'O.M.C. doit encore gagner en crédibilité, alors que les Etats sont confrontés à des défis considérables. Manipulations transgénétiques, risques de contamination par les produits alimentaires importés, diktat des lobbies et des intérêts privés[2].

La question du rôle de l'O.M.C. se pose donc aujourd'hui en deux termes nouveaux.

L'O.M.C doit-elle seulement s'efforcer de promouvoir un commerce débarrassé de toute entrave et soumis aux seules lois du marché ? Ou bien doit-elle veiller, aussi à encourager le respect des identités et des différences, et donc promouvoir une libéralisation plus humaine des échanges commerciaux ? Autrement dit une libéralisation maîtrisée.

C'est seulement si elle parvient à répondre au double défi de la libéralisation des échanges et la préservation des identités que l'O.M.C. saura convaincre ses détracteurs. La tâche n'est pas insurmontable. L'O.M.C. est parvenu à s'imposer plus vite, ce qui est la preuve de sa bonne santé, que des dysfonctionnements existent, presque une décennie après son instauration à Marrakech en 1994, est normal. L'O.M.C. est une institution encore très jeune. Gageons qu'elle pourra faire siennes les paroles de Paul Claudel : «le commerce tient une balance aussi, comme la justice, et je suis l'aiguille qui est entre les plateaux».

[1] Michel Rainelli, « La nouvelle théorie du commerce internationale », coll. Repères, éd. La Découverte 1997 pp. 75 et s

[2] Berangère Taxil, « l'O.M.C. et les pays en voie de développements », Montchrestien, Paris 1998, pp. 150 et s.

sens plus favorable à une représentation équitable qui prend en considération plusieurs critères, géographique et diversifié : (puissance économique, pays émergents, pays moins avancés etc.), afin de prendre en compte l'importance des différents pays, différents intérêts, différents poids économiques dans le commerce international.[1]

Il convient aussi de renforcer le contrôle juridictionnel qui pèse sur les Etats : les règles relatives à la mise en œuvre des décisions de l'O.R.D. doivent être précisées. Jusqu'à présent, les Etats respectent scrupuleusement l'obligation de rendre compte qui pèse sur eux, remettant régulièrement des rapports de situation écrits indiquant où en est la mise en œuvre des décisions et recommandations de l'O.R.D. Les problèmes surviennent quand la partie plaignante conteste la mise en conformité de sa réglementation par la partie défenderesse. Les règles de mise en œuvre des décisions sont encore trop floues. Elles gagneraient à être précises, empêchant les Etats de se réfugier derrière de simples déclarations d'intention.

Il faut assurer le respect effectif des règles et proscrire tout comportement ou mesure condamnable, obstacles tarifaires et non tarifaires, politique discriminatoire, unilatéralisme, dumping social ....etc.

Enfin, il faut veiller à ce que le système ne soit pas victime de son propre succès. Les Etats font presque toujours appel des décisions des groupes spéciaux devant l'organe d'appel. Conçu pour garantir un examen approfondi des rapports des groupes spéciaux dans des cas extraordinaires, le mécanisme d'appel peut fournir aux Etats une occasion automatique de retarder le processus de règlement des différends.

Il faut éviter que la multiplication des affaires portées devant l'organe d'appel n'altère la qualité de ses travaux et n'occasionne des retards manifestes, contraires à l'exigence de rapidité introduite dans le nouveau mécanisme de règlement des différends. D'autant que la charge de travail, aujourd'hui considérable, est appelée à augmenter encore davantage, sous l'effet conjugué de l'élargissement du champ d'examen couvert par l'O.M.C. et de l'attrait accru

[1] P. Van den Bossche et G.Marceau, « Le système de reglèment des différends de l'organisation mondiale du commerce », R.M.U.E. 1998, pp.29 et s.

le poids des lobbies privés, les Etats peuvent être tentés d'utiliser l'O.M.C. pour servir des prétentions hégémoniques des multinationales. L'affaire communauté européenne / mesures communautaires concernant les viandes et les produits (hormones) a bien mis en évidence ce danger. C'est sous la pression des grands groupes agroalimentaires comme Monsanto ou Cargill que l'administration américaine a déposée une plainte contre les réglementations communautaires, plus contraignantes en matière d'hygiène et de santé. Un comité chargé d'étudier ces questions et d'élaborer une réglementation adaptée devrait être institué. De tels comportements doivent être contrôlés.

Réviser le mécanisme de règlement des différends

Dix ans après son instauration, si le mécanisme de règlement des différends O.R.D. a su apporter la preuve de son efficacité et de son impartialité, il importe aujourd'hui d'améliorer le dispositif existant. La composition des groupes spéciaux, chargés d'instruire en premier ressort les différends entre les Etats, doit être modifiée .

On sait en effet que les nationaux des parties à un différend ne peuvent siéger dans le groupe spécial établi pour la circonstance, sauf si les parties en litige en conviennent librement. De fait, les experts des grandes puissances commerciales se trouvent évincés de la majorité des travaux des groupes spéciaux : l'Union Européenne de ses quinze Etats-membres se trouvent fortement pénalisés. Comme leurs homologues de l'organe d'appel, tous les membres des groupes spéciaux devraient donc avoir la possibilité de siéger sur n'importe quelle affaire, quelle que soit leur origine nationale. Modifier la composition de l'organe d'appel, pierre angulaire de tout le système, est tout aussi indispensable. Il faut mettre un terme au manque de transparence actuel, qui laisse la porte ouverte à des marchandages de toutes sortes[1].

Ces tractations, peu compatibles avec les garanties d'indépendance propres à, toute instance arbitrale ou juridictionnelle, pourraient en effet, à terme, nuire à la crédibilité de la procédure.

A l'heure actuelle, l'organe d'appel est composé de sept membres. Il importe de modifier sa composition dans un

[1] J. Lebullenger «La communauté européenne face au processus du réexamen du système de règlement des différends de l'Organisation Mondiale du commerce» R.M.C.U.E., 1998 p. 23 et s.

O.M.C., celle- ci devant proclamer l'interdiction du travail des enfants, exiger la reconnaissance des libertés syndicales et promouvoir la suppression du travail forcé, l'opposition des pays en développement reste très vive. Ces derniers voient en effet dans les revendications des pays de l'Hémisphère Nord un protectionnisme déguisé, un «dumping social» [1].

Ils craignent que les pays développés ne cherchent pas là à mettre en cause les avantages comparatifs qu'ils tiennent de la faible rémunération de leur main-d'œuvre. Or, ils considèrent déjà que le dernier cycle de négociation leur a été fortement préjudiciable, dans la mesure où ils ont dû ouvrir leurs marchés à la concurrence internationale et consentir de nombreux sacrifices. Cette négociation, qui s'annonce difficile, pourrait donc créer un affrontement Nord-Sud préjudiciable à la crédibilité et à l'impartialité de l'O.M.C. Elle pourrait, qui plus est, priver l'Union européenne de précieux soutiens, indispensables face aux prétentions hégémoniques des Etats-Unies sur d'autres sujets.

Préserver l'intérêt général des membres

De ce point de vue, l'absence de réglementation internationale concernant les sociétés, transnationales est un problème préoccupant. Ces acteurs privés jouent en effet un rôle de plus en plus important dans les échanges commerciaux internationaux.. Bien souvent, les stratégies des grands groupes s'imposent aux Etats, au mépris des engagements élaborés par ces derniers au niveau interne ou contractés au niveau international[2].

De ce point de vue, la décision rendue par l'O.M.C. dans l'affaire communauté européenne/régime applicable à l'importation, à la vente, à la distribution des bananes peut susciter des craintes légitimes. La libéralisation régulée des échanges commerciaux par le biais de l'O.M.C. doit avant tout servir les Etats et leurs populations. Elle n'a pas pour vocation première de faire le jeu des intérêts privés. L'O.M.C. devra donc être particulièrement vigilante sur ce point. De plus en plus, en effet, sous

[1] J.P. Frétillet et C.Véglio, « Le G.A.T.T . démystifié», Syros, 1994, p.163 et s.

[2] Sur cette question, voir « Les règles des accords commerciaux et multilatéraux », Les Notes Bleues de Bercy, n° 178 du 1er au 15 mars 2000.

Européenne, souhaitaient ne pas s'en tenir à l'agenda incorporé établi à Marrakech en avril 1994, et qui oblige les membres à renégocier, les dossiers de l'agriculture et des services lors des prochaines conférences ministérielles multilatérales.

Définir un ordre du jour plus large et aborder de nouveaux sujets aussi différents que la sécurité alimentaire, le commerce électronique et l'environnement étaient bien pour ces Etats un objectif prioritaire. A cet égard, la précipitation avec laquelle les réunions ont été préparées et l'incapacité des Etats à trouver un accord sur la définition même du périmètre de la négociation, ont démontré les limites de cet exercice et doivent inviter à plus de prudence pour l'avenir.

Il est incontestable que les relations de L.OM.C. avec les autres organisations internationales gagneraient à être redéfinies. Les questions touchant à la défense de la diversité culturelle doivent être réglées par l'Organisation des Nations unies pour l'éducation, la science et la culture. Depuis sa création, l'U.N.E.S.C.O. avait pour mission la mise en œuvre de grands programmes de reconstruction dans les domaines de l'éducation, de l'alphabétisation, de la communication, de la protection du patrimoine mondial, de la science et de la culture.

D'ailleurs, la promotion des identités régionales et des cultures, la mise en valeur de tous les modes de vie et de pensée, sont en effet des objectifs fondamentaux qui ont été inscrits dans la charte constitutive de l'U.N.E.S.C.O.

De la même façon, les problèmes touchant à la sécurité alimentaire et aux organismes génétiquement modifiés (O.G.M.), par exemple, doivent relever, sinon exclusivement du moins très largement, de l'Organisation Mondiale de la Santé (O.M.S.). Cette dernière constitue une enceinte plus appropriée que l'O.M.C. pour débattre de ces questions.[1]

Enfin, la délicate question de l'interaction du commerce et des normes fondamentales du travail ne devrait pas être du ressort de l'O.M.C, l'Organisation Internationale du travail (O.I.T.) pourrait constituer un cadre plus approprié. Si les Etats développés sont largement favorables à l'insertion d'une «clause sociale» dans les accords

[1] J.M.Lavieille, «Droit International de l'Environnement» Ellipses, 1998, pp.10 et s.

Les réformes et les nouveaux défis possibles au sein de l'organisation mondiale du commerce

EL ARBY OULD KHTOUR
Docteur en Droit International, Enseignant à la Faculté des Sciences Juridiques et Economiques de l'Université de Nouakchott

L'Organisation Mondiale du Commerce (OMC), entrée en activité le 1er Janvier 1995, marque la naissance d'un nouveau système commercial international. Issu du dernier cycle de négociations du GATT (Uruguay Round, 1986-1993), ce système diffère du précédent par son assise institutionnelle plus solide, son champ d'intervention plus vaste et sa composition étatique élargie.[1]

La naissance de l'OMC révèle les changements intervenus, durant ces dernières décennies, dans la configuration économique de notre planète.

Si les fondements et la finalité de l'Organisation Mondiale du Commerce ne sont pas en cause, son fonctionnement peut en revanche être amélioré **(I)**, pour faciliter la consolidation d'un cadre favorable à relever les nouveaux défis qui pèsent sur cette institution **(II)**.

I – Les réformes possibles

L'institution de l'O.M.C. ne doit pas se contenter des acquis, elle doit éviter l'inertie et agir en sachant comment deviner les besoins du futur. C'est dans cette dynamique que l'action de l'O.M.C. doit s'inscrire, pour pouvoir mettre en œuvre les nouvelles réformes : surtout en mesurant ses ambitions, préserver l'intérêt général de ses membres et enfin réviser le mécanisme de règlement des différends.

Mesurer ses ambitions

Il ne faut pas tout attendre de l'O.M.C. Curieusement à Seattle 1999, Doha 2001 et au Mexique en 2003, l'O.M.C. a trébuché à cause d'un excès d'ambition. L'enjeu de ses conférences ministérielles était clair : élargir l'agenda de futures négociations commerciales multilatérales.

Nombreux étaient les Etats membres qui, à l'instar de ceux de l'Union

[1] Fereydoun A. Khavand, le nouvel ordre commercial mondial du GATT à l'O.M.C, NATHAN, 1995, p.5

L'enfant découvrira tout par lui-même. C'est dire que le pédagogue sera moins un précepteur qu'un observateur. Il aura pour tâche non d'instruire l'enfant mais de le diriger selon la voix de sa nature propre. Il ne donnera pas des préceptes mais les fera découvrir par l'enfant lui-même. Deux tâches apparemment difficiles à concilier incombent donc au pédagogue : laisser faire la nature, d'une part, et préserver le cœur de l'enfant du vice et son esprit des préjugés, d'autre part.

Toutefois, cette pédagogie « naturelle » n'est pas sans entraîner des difficultés dont la principale est, paradoxalement, son artificialité. D'ailleurs, autant l'éducateur laissera faire la nature, autant il faut que l'enfant soit en conformité avec certains objets pour que sa nature s'accomplisse. Dès lors, bien qu'apparemment absent, le pédagogue sera partout présent. Il suscitera les rencontres de l'enfant avec la nature, favorisera les chocs affectifs ou intellectuels. Voilée, mais extrêmement agissante, la main du maître sera derrière toute chose. C'est dans un monde « truqué », mené au gré des ruses de son pédagogue, que l'enfant évoluera et s'accomplira. Est-ce donc par l'artifice que Rousseau croît atteindre l'homme de la nature ? La contradiction, en fait, n'est qu'apparente, car la nature ne peut se conquérir que par l'apprentissage fondamental de la nécessité.

Bibliographie :

- Rousseau, œuvres complètes, coll « Ingégrale », le Senil, 1967-1971 (trois volumes)
- Confessions (texte porthume, 1782)
- Emile ou de l'Education
- Discours sur les sciences et les arts (1750)
- Discours sur l'origine de l'inégalité (1752)
- Du contrat social

Emile n'est pas systématique, pour deux raisons. La première est accidentelle et tient à la façon d'écrire de son auteur. On sait que pendant ces vingt ans de réflexion, Rousseau accumulait des notes, des petits cahiers où il traitait diverses matières. Dans l'*Emile* il en intègre plusieurs, modifiant ici et là l'équilibre initial, ce qui donne cette impression de «fourre-tout» à l'opposé d'une rigueur systématique.

La deuxième raison est la plus sérieuse : un système est hors du temps, il énonce des principes qui se répondent entre eux à la manière des propriétés géométriques d'une figure. Or les principes de Rousseau sont datés et s'inscrivent dans le temps, qui est celui des états de l'humanité, car la nature humaine est une histoire humaine, elle n'est pas un classement mais un ordre. La connaissance de l'homme est un processus, non un état, *Emile* est une accumulation de vérités en couches successives, une somme sans intégration ...

L'Emile repense l'éducation d'un enfant destiné à devenir citoyen. C'est justement cette dimension de perspective selon laquelle l'avenir de l'homme est déjà dans le présent qui nous semble être l'élément le plus important : penser l'homme dans l'enfant, le citoyen dans l'individu. Et comme le contrat social qui pose les fondements d'un Etat juste et légitime, où chacun écoute la voix de sa conscience, repose sur une intuition d'un état de nature hypothétique, l'Emile repose sur l'intuition fondamentale, peut-être héritée de Condillac, de la perfectibilité humaine. A sa naissance, l'homme n'est rien, il devient tout. C'est cette genèse de la raison considérée au niveau de l'individu que Rousseau envisage dans l'Emile. Si dans le Deuxième Discours[1] Rousseau soutient que l'humanité s'est embarquée dans une histoire mal commencée et qu'elle ne peut, hélas, rétrograder, dans l'Emile l'espoir renaît que tout enfant a devant lui la possibilité de son devenir. Différence capitale tout autant que chance unique.

Reste à savoir comment aider l'enfant à ne pas gaspiller la chance de développer ses facultés conformément à la nature, chance que l'humanité a laissé échapper ?

Comment pousser l'enfant à se cultiver, c'est-à-dire à passer d'un état d'innocence à un état de culture, sans pour autant que cette culture soit artificielle et contre-nature ? Comment, en un mot, actualiser sans les dénaturer les virtualités – raison, sociabilité, conscience morale et civique – de l'enfant ? Tel est le propos de Rousseau dans l'Emile.

Pour parvenir à cet objectif, Rousseau prône une éducation de médiation.

[1] Discours sur l'origine de l'inégalité...

transporte dans toutes les dimensions de la vie humaine.

Emile est la somme de vingt ans de réflexion car c'est une anthropologie de l'individu politique, une réflexion sur la nature humaine dans son état originel (la force, les besoins), et dans son développement historique (la société), à partir de son lieu d'existence concrète, l'individu. Si la nature humaine est perfectible, il faut bien que l'individu le soit, si elle est destinée à la vie sociale, il doit bien y avoir un ressort socialisant en chacun de nous, si elle est dénaturée par la société, il y a donc des mécanismes d'accueil du vice en chaque homme. Il faut trouver en chaque homme les causes, les effets, les mécanismes, de l'histoire humaine. Cela suppose une continuité entre l'individu et l'espèce, c'est-à-dire que la nature humaine soit bien une réalité omniprésente et agissante : si la vie sociale était capable, comme l'affirme Helvetius, de construire un homme totalement nouveau, cela signifierait que la plongée au centre de l'individu serait un voyage dans le néant, chacun n'étant que le produit de l'éducation sociale venue de l'extérieur. La théorie de l'éducation créatrice de l'homme menace la philosophie de Rousseau, il doit donc affronter ce concept et le combattre : non pas combattre les théoriciens de la bonne éducation, mais les philosophies de la matière, de la raison, de l'habitude, toutes les philosophies qui négligent la construction naturelle de l'homme à partir de lui-même ; Emile sera ce porteur et ce vecteur de la nature de l'homme, et l'*Emile* est un traité d'anthropologie de l'individu politique, cherchant en chaque homme séparément les causes, les effets et les mécanismes qui rendent compte de la perfectibilité, de la société, de la bonté et des vices de l'espèce. Dire que la société a corrompu l'homme exige de comprendre comment il a accueilli cette corruption et comment il aurait pu devenir social sans être corrompu. «L'éducation» prise en un sens différent de la pédagogie est le cadre de cette démonstration[1], ce qui permettra en outre un affrontement avec Helvetius qui oppose l'éducation à la nature et affirme que la société produit un homme nouveau à la convenance de ses principes.

Il est certain qu'*Emile* est une «somme» mais non un «système» : Rousseau répète que «toutes (ses) idées se tiennent» mais refuse le qualificatif de système qu'il utilise péjorativement contre les «philosophes».

[1] Les personnages concrets apparaissent assez tard dans les brouillons de Rousseau qui ont d'abord le ton d'un traité général. Cf. John Spink, introduction au manuscrit (Oc.III).

L'*Emile* de Rousseau : une philosophie de l'éducation ou une «métapédagogie»?

Mohamed Ould Mekhallé,
IGEN – MEN

« Je pense que si on ne réfléchit pas à l'éducation à l'aide de Platon, de Descartes, de Spinoza, de Rousseau, de Kant, sans oublier les recherches sur la signification et le sens de l'action comme celles de Paul Ricoeur (...), on ne peut ni penser ni offrir une formation des maîtres qui soit fondée». (Best, propos rapportés par Zay in Entretien avec Francine Best, Recherche et formation, 1990, 8, 73-84).

Quelle place occupe l'*Emile* dans l'œuvre de Rousseau, ce livre qui lui coûta vingt ans de méditations et trois ans de travail[1], le seul où se trouvent les principes de sa philosophie[2]? Il parait naturel de chercher cette place, et par conséquent l'ordre de discours que l'*Emile* articule, en dégageant pour fil conducteur celui des réflexions rousseauistes sur l'éducation, conformément à son sous-titre[3].

En fait, ce choix ne manque pas d'arguments qui l'appuient puisque le jeune Rousseau, érudit et pauvre, se tourna avec espoir vers la carrière de précepteur et s'appliqua à montrer ses compétences par la rédaction de projets d'éducation et par l'établissement d'une année auprès d'un élève. Ces quelques expériences, quoique courtes, rares et ratées, pourraient être le point de départ d'une réflexion qui mènera à *Emile.*

Quand Rousseau aborde la rédaction d'*Emile*, il s'est penché d'abord sur la nature humaine, sa bonté et ses vices (les deux Discours), sur la question de l'Etat (Du contrat social) et sur la situation intermédiaire entre nature et Etat, ce que nous nommerions la «société civile», niveau où se joue le bonheur ou le malheur des hommes en société (la Nouvelle Heloïse). Le point commun de tous ces niveaux, c'est l'individu qui porte tous les éléments de la nature humaine et les

[1] Confessions, 386

[2] Dialogues, III, 934

[3] Emile ou De l'éducation est un roman pédagogique (1762). Rousseau y part du principe que « l'homme est naturellement bon » et que, l'éducation donnée par la société étant mauvaise, il faut élever l'enfant loin d'elle pour qu'il la régénère quand il s'y intégrera.

Bibliographie

1. Bâ (Mahmadou Ahmadou), 1939 ;Notice sur Maghama et le canton du Littama, bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire (BIFAN), tome I, série B, octobre, N°4 (pp= 743-761) ;

2. Bâ (Oumar), 1977 : Le Fouta-Toro au carrefour des cultures. Ed. L'Harmatan, Paris .

3. Dicko (Abdoul) : Le Gorgol et la colonisation française (1890-1960), thèse de doctorat en Histoire, F.S.H.S, Tunis 2000-2001 ;

4. Marty (Paul), 1921 : Etudes sur l'Islam et les tribus maures : les Brakna, Leroux Paris.

5. Ould Cheïkh (Abdel Weddoud), 1985 : Nomadisme, Islam et pouvoir public dans la société précoloniale , (XIè– IXè siècles), thèse de doctorat en Sociologie, Université Paris V .

6. Poulet (Georges), 1904 : Les Maures de l'A.O.F. Paris Augustin Challamel. Librairie maritime et coloniale.

7. Raffenel (Anne), 1846 : Voyage dans l'Afrique Occidentale exécuté en 1843 et 1844, Paris, Arthus Bertrand.

les grands événements qui ont secoué la vie politique de Maghama.
Les Littama intervenaient toujours quand il le fallait. Les populations halpulararen bénéficient de leur soutien quand il s'agissait de repousser les pillages ou invasions étrangères. C'est ainsi que les Maures Littama ou Ehel Guelaye (comme on les appelle le plus souvent) constituèrent une partie intégrante des populations du Fouta et adaptèrent la vie sédentaire de ces populations.

Dans les traditions locales, les Halpulaar'en associent fréquemment le nom de Maghama à celui de Littama : «Magaama et littaama» !
D'autre part, le colonisateur a choisi d'appeler ce vaste canton à majorité Halpulaaren du nom d'une tribu maure jusque là inconnue au Fouta (les Littama).
Les Littama offrent ainsi un exemple d'intégration entre deux sociétés : l'une maure et l'autre halpulaaren.

Nous vous présentons une liste de quelques mots utilisés par les Littama dans leur vie quotidienne. Il s'agit des mots pulaar employés dans le hassaniya des Littama :

Mots ou expressions	**Signification en français**
awdi	semence
gawri	mil
jalo	houe
gaffake	outre
falo	champ a flanc de rive
foonde	partie haute de la vallée non inondée
jabbere	labour
luggere	endroit
samme	endroit profond
waalo	zone inondable
jeeri	terre non inondée
ganngol	cours d'eau, marigot
wuro	village ou ville
ndunngu	hivernage
rewo	Nord
worgo	Sud
suturu	sanitaire
lewre	terrain défriché pour la première fois
makka	maïs
pirli	tresses très fines
suuna	petit mil
... etc.	... etc.

Les Littama vivent en menant de pair les différentes pratiques pulaar et maures, conséquence du métissage. Un métissage perceptible au niveau de l'habillement et des parures des femmes Littama. Celles-ci portent le pagne comme les autres femmes du Fouta. La seule différence est que quand elles atteignent l'âge de puberté, les femmes Littama mettent le voile au-dessus du pagne contrairement aux autres qui, elles, portent le boubou. Cependant le pagne est toujours là.

Les jeunes hommes Littama, plus mobiles, ont été plus aptes à s'imprégner de la culture halpulaaren. Ce sont des jeunes dynamiques qui n'avaient aucun mal à participer aux activités organisées par les villages du Fouta, la lutte traditionnelle à titre d'exemple.

Sur le plan politique, le rôle des Littama était déterminant et très significatif tant au niveau local que régional. Comme nous l'avions déjà signalé, les Littama participent au niveau de toutes les activités économiques et font partie intégrante du canton de Littama. Fait nouveau, c'est la seule population maure soumise à l'administration cantonale réservée aux populations noires.

Le canton de Littama recouvrait une superficie de 34.000 km2 le long du fleuve Sénégal. Il rassemblait une population de 11.432 habitants dont 8995 Toucouleurs, 1036 Peuhls, 810 Maures noirs et 591 Sarakolés[1].

Les Halpulaaren étaient composés des familles peulhs yalalbé, Deeniyankobé et Jawbé, des Ehel Moodinalla et de familles Torobés. Parmi les Maures noirs on notait les Chorfa et les Littama.

Comme tous les autres territoires de l'Afrique occidentale française (A.O.F), la Mauritanie fut divisée après la conquête coloniale en plusieurs cercles. Le pays en comptait douze qui connaissaient deux types d'administration «indigène». Chez les populations maures c'est l'organisation tribale au sein de la Djemaa et de la fraction alors que chez les populations noires-africaines le système d'administration était cantonal[2].

Le cercle du Gorgol, faisant partie de la deuxième catégorie de cercles, regroupait trois cantons. Il s'agit du canton de Kaédi, le chef-lieu du cercle, le canton de Néré et le canton de Littama[3].

Les Littama sont allés du Brakna, plus précisément de la localité de Guimi pour Koumballi au Gorgol. D'origine arabe, ils sont devenus plus ou moins Halpulaaren à la suite de plusieurs années de métissage. Depuis leur arrivée au Fouta, les Littama n'ont jamais été victimes, au cours de leur histoire, de la xénophobie des populations locales. Par contre c'est à coup de pioche qu'ils constituèrent progressivement les villages que nous leur connaissons aujourd'hui.

Autre élément important, c'est la participation militaire des Littama dans

[1] Bâ(Mahmadou Ahmadou), 1939, Notice sur Maghama et le canton du Littama, Bulletin de l'Institut français d'Afrique noire (I.F.A.N), tome I, série B (octobre 1939), n°4, p.744.

[2] Dicko (Abdoul), Le Gorgol et la colonisation française (1890-1960), thèse de doctorat en Histoire, F.S.H.S, Tunis, Novembre 2001, p.202.

[3] Dicko (Abdoul), op. Cit, P.204.

sera baptisé Maghama par Thierno Brahim Kâne, grand marabout halpulaar[1].

A leur arrivée à Koumballi, les Littama trouvèrent sur place des populations halpulaaren et chorfa. Les chorfa, descendent de Sidi Chérif originaire des Oasis du Touat. Sous la conduite de cet homme, ils séjournèrent pendant plusieurs années dans le Hodh chez les Oulad M'Bareck. Ayant parcouru le pays maure, Sidi Chérif se retrouve à Kobbilo sur la rive gauche du fleuve Sénégal. Il y passa beaucoup de temps avant de traverser le fleuve pour Koumballi où il mènera avec ses hommes une vie paisible de marabout jusqu'à sa mort[2].

Dans la zone d'établissement des Littama vivaient de grandes familles halpulaaren, entre autres : les Jawbé, les Rangabé, les Deeniyankobé, les Yalalbé, les Ehel Modinallakobé[3], les Soubalbé, etc... Ce sont ces familles qui accueillent au début du XIXe siècle les Littama. Ils s'installèrent aussitôt auprès des populations autochtones sédentaires. Celles-ci vivaient de pêche, de chasse, d'élevage et surtout d'agriculture. Les Littama n'eurent pas beaucoup de mal à s'adapter au mode de vie des Halpulaaren qui, dépassant les différences culturelles, les aidèrent à s'installer.

A Koumballi et dans ses environs, les Littama menaient une vie paisible auprès de leurs voisins halpulaaren. Il est rare en milieu halpulaar ou maure Littama, qu'on parle d'un quelconque incident qui aurait eu lieu entre les deux communautés.

Les halpulaaren de Maghama et les Littama avaient ce qu'on peut nommer un traité de non agression et de défense: «ko kambe ndendi fetel» ce qui signifie: «ils ont ou partagent le même fusil en cas de guerre», dit-on souvent pour évoquer les liens existants entre eux..

Intégration sociale et politique des Littama en milieu Halpulaaren

Installés au Fouta, les Littama présentent dans ce milieu un nouveau groupe social qui obéit à ses propres lois et qui bénéficie en même temps des mœurs et coutumes halpulaaren.

De teint foncé, de culture à moitié maure, les Littama sont aujourd'hui perçus comme une tribu de haratines sur les bords du fleuve Sénégal.

Ils ont subi une influence non négligeable des habitants du fleuve.

Sur le plan culturel, par exemple, nous pouvons préciser que la culture pulaar s'est largement introduite chez les Littama. Réalité surtout sensible au niveau de l'emploi de la langue pulaar par les Littama. Presque tous les Littama s'expriment correctement en pulaar et leur hassaniya est parsemé de mots pulaar.

---

[1]Thierno Brahim Kâne est originaire de Koundel, village de la province du Damga. C'est un homme très pieux. Il fit son entrée à Koumballi en 1865-1866. C'est à cette date qu'il donna à la ville le nom de Maghama.

[2]Bâ (Oumar), 1977, op. Cit, p114.

[3]Ils sont appelés ainsi par allusion à leurs ancêtres Moodi Samba et son fils Nalla. La mère de Moodi serait une mauresque de la région de M'Bout selon Raffenel. Celui-ci soutient que la tribu de Ehel Moodi Nalla est le produit d'un métissage entre maures et Toucouleurs.

- le Diéri ou terres hautes qui n'atteignent pas les crues : cultures hivernales.
- le Foonde (pluriel Pôdé), zone couverte par les inondations dans les années de grandes crues.

Au sud de Maghama les Littama ont un nombre important de terrains de culture.

La convention de 1891 et les terrains de culture des Littama :

Cheikh Mamadou Mamoudou est mort assassiné par les hommes d'Abdoul Bocar Kane à Horndoldé. En 1891, le colonel Dodds opérant dans le Fouta met sur pied une convention qui attribue à Abdoul Salam Kane (fils de Cheikh Mamadou Mamoudou) les terrains d'Horndolé, de Maghama et de Littama. Cette convention a pour signification le dédommagement de la mort de son père qui avait rendu d'immenses services aux français.

Cette convention stipule que Abdoul Salam Kane à l'époque, chef de province de Damga doit percevoir le «Ndioldi» soit cinq francs par lougan et le «Tiotougou» au moment où le terrain est remis à des héritiers.

La donation fut confirmée en 1897 par le gouverneur général de l'armée Chaudié.

A cet effet, les familles qui avaient des droits réels acquis de longues dates sur cette partie des terrains furent atteintes par cette donation.

Dans cette houlée, les Littama faisaient partie des terrains. Ils perdirent une partie de leurs terres.

La restitution de ces terrains à leurs propriétaires aura lieu en 1913, à la suite d'un arrangement effectué entre Abdoul Salam Kane et les anciens propriétaires.

La commission du 17 mars 1913 :

La commission du 17 mars 1913 fut présidée par le capitaine Steff commandant du cercle du Gorgol. La commission était composée de :

- Thierno Bocar, cadi supérieur de Kaédi ;
- Ligière, administrateur des colonies, commandant du cercle de Matam ;
- Ali Samba Diom, représentant indigène des intérêts des propriétaires de la rive droite, chef du village de Boguel Fadoua.
- Abdoul Salam Kane.

Après s'être réunis, les membres de la commission se sont entendus sur l'arrangement qui suit :

Demba Ould Guélaye garde la propriété de ses terrains moyennant un rachat définitif accepté des deux parties de 1500 francs payables dans un délai de quatre mois.

Les terrains étaient cultivés par les hommes d'Ahmed Ould Guélaye (Ahmed Géladio). Après la résolution de la commission Steff, Demba Ould Guélaye va chercher à changer les cultiviateurs en mettant ses hommes dans les champs. Ahmed Ould Guélaye ayant les mêmes droits que son frère sur les terrains, s'oppose à cette tentative. Il aura le soutien du capitaine Steff qui leur demande de chercher un compromis.

C'est ainsi que Demba Ould Guélaye abandonne ses droits sur ces terrains et ceux de ses gens.

Koumaballi, c'est l'ancien nom de Maghama. C'est en 1865 que Koumballi

d'établissement des Littama auprès des Chorfa.
Cependant, les Chorfa sont allés de Koumballi pour Ndjadjibiné Chorfa. Nous pouvons supposer alors que les Chorfa ont entraîné dans leur mouvement quelques Littama avec lesquels ils ont établi des relations étroites.
La version signalant que les Littama sont arrivés à Koumballi du côté du fleuve Sénégal est la plus répandue en milieu pulaar et Littama.

Sédentarisation des Littama :
Semi-nomades au Brakna, les Littama se sédentarisent progressivement au Gorgol. Les Littama sont aujourd'hui répartis dans la région comprise entre M'Bout et Maghama où ils ont créé plusieurs petits villages ou hameaux. Leur premier lieu d'établissement fut Nioumel ou Sibate, ce lieu se situait à Windé Thiloulé en face du Caangol Wéré Wéré (véré véré pour les Maures) qui se jette dans le marigot de Palliba Nioumel formant un petit hameau de quelques cases. Il fut fondé par les trois fils de Boussaim Ould Cheiboubi. Ce petit village fut successivement dirrigé par les Ehel Cheiboubi, les Oulad Séyid Ould Guélaye et Djingueri Ould Guélaye.
A partir de Nioumel vont se constituer progressivement d'autres villages qui prendront de l'importance au cours des années. Parmi ces villages on compte les suivants :

- Tagoutalla, fief de Demba Ould Guélaye ;
- Nhal dont Seiboubi Ould Guélaye est le chef
- Arihara ou El Vio commandé par Abbass Ould Guélaye Ould Mohamed Sid'Ahmed ;
- Djeybaba commandé par Ahmed Ould Guélaye ;
- Beïlugué Littama, le chef lieu des Littama, dirigé par Oumar Ould Guélaye.

Il existe d'autres petits hameux ou débayes habités par les Littama tel que Boguel Safalbé (Boguel maure) en face de Boguel Fadoua.
Un autre fait matérialise la sédentarisation des Littama : l'Agriculture.

L'acquisition des terres :
Comment les Littama ont-ils acquis les terres ?
La région du fleuve, au sud de la Mauritanie est une zone très fertile, propice à l'agriculture. La vie des habitants de cette région est étroitement liée à l'activité agricole, activité qui permet une affluence de populations d'origines diverses, dont les Littama. D'où le caractère hétérogène des habitants du fleuve marqué par la présence de toutes les composantes de la population de la Mauritanie (Pulaar, Wolofs, Maures et Soninkés).
A leur arrivée, les Littama se sont procurés des terrains soit en les rachetant à d'anciens propriétaires, soit en défrichant des terrains vierges. Dans la zone d'établissement des Littama, on rencontre trois sortes de terrains de cultures qui caractérisent toute la région du fleuve :
- le walo ou zone d'inondation, c'est le domaine des terres de décrue. On y cultive les légumes, le mil etc.

partagèrent toute la région située entre l'Agnan et le fleuve. C'est ainsi que les plus importantes tribus Brakna assistèrent à leur éclatement. Les Littama vaincus se retirèrent à Koumballi.

Installation des Littama au Gorgol :

De Guimi, les Littama vont s'installer à Koumballi.

Cependant les versions diffèrent quant à l'itinéraire suivi par les rescapés de l'Elb-El-Khasra.

Les différentes versions :

Une première version signale que les Littama sont allés directement de Guimi pour Ndjadjibiné Chorfa[1]. C'est une localité maure qui se trouve dans le département de M'Bout, (région du Gorgol). C'est le chef-lieu des Chorfa : les Chorfa descendent de Sidi Chérif originaire des oasis du Touat. Sous la conduite de cet homme, ils séjournèrent pendant plusieurs années dans le Hodh chez les Oulad M'Bareck. Ayant parcouru le pays maure, Sidi Chefif se retrouve à Kobbilo sur la rive gauche du fleuve Sénégal. Il y passa beaucoup de temps avant de traverser le fleuve pour Koumballi où il mènera avec ses hommes une vie paisible de marabout jusqu'à sa mort.

Les femmes, les enfants, (...) et le peu d'hommes qui avaient échappé au massacre s'enfuirent jusqu'au fleuve qu'ils traversèrent pour se réfugier dans des villages Halpulaaren dont Semmé et Kobbilo. Ils constituèrent des campements auprès de ces villages. Après plusieurs années de séjour sur la rive gauche, les Littama retraversèrent le fleuve pour se diriger vers Koumballi.

Hypothèses

Toutes les deux versions nous paraissent plausibles. Nous notons cependant une ressemblance entre la deuxième version et l'itinéraire de Sidi Chérif. Comme ce dernier, les Littama ont séjourné à Kobillo et sont allés s'installer à Koumballi. Ils ne sont pas venus ensemble puisque les Chorfas vont prendre en charge quelques membres de la tribu des Littama. Est-ce parce que les Chorfa sont devenus les marabouts des Littama que ces derniers « touchés » par leur passé confondent leur histoire à celle des premiers ?

L'itinéraire tracé au niveau de la deuxième version était praticable à l'époque. Dans les «dix premières années du XIX siècle», le Fouta ne connaissait plus la fermeté de l'Almamy Abdoul Kader (1776-1806). A cette époque les frontières étaient devenues perméables et les «promenades» dans le territoire du Fouta étaient devenues faciles pour les Maures.

Quant à la première version, l'itinéraire nous semble à première vue plus adéquat dans la mesure où les villages Littama sont plus nombreux dans le département de M'Bout.

On a l'impression que la progression s'est faite dans le sens M'Bout-Koumballi. A ce titre, on fait cas de Ndjadjibiné Gandéga comme premier lieu

[1] Ndjajbini est un village habité exclusivement par les soninkés. Il est situé à l'Est de Kaédi. Administrativement il dépend de la wilaya du Gorgol.

chez les Oulad Eli par la prospérité dans laquelle vivaient leurs cousins Littama. Heïba, chef des Oulad Eli demande à Boussaïm Ould Cheïboubi, chef des Littama de partager avec lui leur zone de parcours. Ce lieu aurait été très propice à l'agriculture et à l'élevage, c'est le Raag Cheïboubi. Ce Raag avait été découvert au niveau des Oulad Eli par l'un de leur griot qui, revenant d'un très long voyage avait séjourné pendant quelques jours chez les Littama.

A son retour, il apporta dans un petit sac du mil et de l'herbe fraîche. Les Littama refusèrent la proposition des Oulad Eli qui, vexés jurèrent de les faire quitter leur lieu d'occupation. Une autre version locale nous dit ceci : Heïba, chef des Oulad Eli était un homme très courageux. Il était craint de tous les Brakna. Un jour, un guerrier Littama confia à son ami qu'il n'avait pas peur de Heïba et qu'il pouvait même tuer ce dernier juché sur son cheval. C'est ce que fit le guerrier Littama après avoir parié avec son ami. A la suite de ce meurtre, le fils de la victime s'engagea à venger son père en menant une guerre contre les Littama. « Je ne cesserai de les poursuivre que lorsqu'ils apercevront des "Tikit" (huttes en hassaniya) au-dessous de leurs têtes », avait dit le fils de Heïba.

De ces trois versions nous retenons dans un premier temps que Heïba, mort en 1872, a été tué par les Littama. Le meurtre est une raison suffisamment valable pour le déclenchement d'une guerre. Il nous est cependant difficile d'affirmer que le malentendu est la cause ou la conséquence de la mort de l'émir Heiba.

Connaissant la nature guerrière des Littama, il n'est pas surprenant que ce soit eux qui aient levé les armes en premier lieu à l'encontre des Oulad Eli.

L'affrontement eut lieu dans un emplacement connu sous le nom d'Elb-El-Khasra ou «dune de la défaite». Ce lieu se situe à environ 90 kilomètres au sud-est de Guimi. Elb-El-Khasra fut le théâtre de l'une des plus grandes batailles opposant deux tribus en Mauritanie. Cette journée fut la fameuse journée des « mit Amar wa mit Za'mel ahmar wa a'war » la journée des cents Amar et des cents chevaux bruns et borgnes.

On comptait les homonymes et les chevaux par centaines[1]. Malgré leur courage et leur puissance par rapport à leur nature guerrière, les Littama ne purent venir au bout de leurs adversaires qui auraient été soutenus dans le combat par leurs cousins Oulad Noghmash et Oulad Séydi. Il y aurait même eu des contingents du Bosséa.

De cette bataille, les Littama vont sortir complètement anéantis. Le massacre fut presque total.

Presque tous les hommes furent tués, il ne restait que des femmes, des enfants[2].

La mort de l'Emir Haïba fut le signal de l'éclatement de la tribu des Oulad Yatim. Les Littama furent refoulés à l'Est du Gorgol.

Les Oulad Eli s'installèrent dans la vallée inférieure du Gorgol. Les Oulad Noghmash et les Oulad Séydi se

[1] Bâ (Oumar), 1977 : Le Fouta-Toro au carrefour des cutlures. Ed. L'Harmattan, Paris, P.24.

[2] Poulet (Georges), 1904, op. Cit, P75

Yatama ou Littama. Ces événements se seraient passés au courant du XVIIè siècle.

D'autres sources orales locales contredisent celles que nous venons d'évoquer, qui attribuent le nom de Littama à toute la tribu, devenue orpheline à la suite d'une redoutable bagarre. Devenus orphelins de leurs hommes et chefs, le reste de la tribu se fit appeler El Yatama.

Au niveau des sources écrites, les Littama descendent de Barkenni Ould Heddaj Ould Othman Ould Maghfar Ould Oudeï Ould Hassan. Barkenni eut comme fils Mellouk père de Kerroum. Ce dernier a trois fils : Abd Al Jabbar, ancêtre des Ould Ahmed et des Oulad Bieri, Abdallahi ancêtre des Oulad Abdallahi et Al Yatim, ancêtre des Littama.

Cette thèse est soutenue par des chercheurs qui se sont penchés sur l'histoire du Brakna, entre autres Paul Marty[1], Abdel Weddoud Ould Cheïkh[2].

Dans notre étude nous épousons les sources écrites qui confirment les sources orales émanant des milieux indépendants, qui considèrent que les Littama descendent des Oulad Abdallahi. Il est vrai qu'ils ne descendent pas des Oulad Abdallahi mais partagent avec ces derniers un ancêtre commun : Barkenni. Il est compréhensif que la tradition orale ait retenu le nom d'Abdallahi par le fait que ce sont ses descendants qui furent les maîtres des Brakna au XVIIe siècle. C'est d'Abdallahi que sont issus les Oulad Séyid et les Oulad Noghmash. Ce qui explique que Brakna fait toujours penser aux Oulad Abdallahi, fait surtout fréquent chez les habitants du Fouta.

Guimi : premier lieu d'établissement des Littama

Guimi est aujourd'hui une localité située à quelques kilomètres de la ville de Maghta-Lahjar qui est un département du Brakna.

Guimi fut autrefois le lieu de parcours d'un certain nombre de tribus Brakna.

C'est à Guimi que se passa l'événement qui bouleversera l'histoire des Littama et des Oulad Eli. L'événement est situé vers les années 1780, époque à laquelle eurent lieu les différentes migrations de plusieurs tribus Brakna, conséquences de querelles intestines.

Pour Georges Poulet[3], une dispute s'était élevée entre les Littama et les Oulad Eli à propos d'un partage de butin et d'une femme refusée en mariage à l'un des chefs Littama. A ces propos, les Littama vexés levèrent les armes contre les Oulad Eli. « Dans la bataille qui s'ensuivit, ils tuèrent Eyba, 1er fils de Eli et frère de Naceri »[4].

Par contre, des sources locales donnent pour origine au différend ayant opposé les deux tribus, la jalousie provoquée

[1] Marty (Paul), 1921, op. Cit, p.13.

[2] Ould Cheikh (Abdel Weddoud), 1985 : Nomadisme, Islam et pouvoir politique dans la société maure précoloniale (XIe – XIXe siècles), thèse de doctorat en Sociologie, Université Paris V, p. 298.

[3] Poulet (Georges), 1904 : Les Maures de l'A.O.F. Paris Augustin Challamel, Librairie maritime et coloniale, p.75.

[4] Poulet (Georges), op. Cit, p.75.

Les Littama : une intégration réussie !

Dicko Abdoul
Chercheur - Mauritanie

L'origine d'une société, d'une tribu ou d'une famille doit faire partie des soucis de tout historien. L'homme ne cessera jamais de s'interroger sur son origine. Savoir qui on est, ce que l'on est et d'où l'on vient est capital dans la vie d'une personne. C'est à ce moment qu'on arrive à expliquer plusieurs choses dans la vie. Car ne dit-on pas que pour comprendre une société il faut connaître son passé. L'histoire d'un pays c'est celle de ses populations. Il n'y a pas de société sans histoire et pas d'histoire globale pour tout un peuple. Chaque individu, chaque cellule familiale, chaque tribu ou village a une histoire, d'où la diversité de l'histoire.

La Mauritanie abrite des populations différentes : d'une part les Maures ou Arabes et d'autre part les négro-africains composés des Halpulaaren, des Soninkés et des Wolofs. Il est arrivé qu'au cours du temps, dans certaines régions du pays, les différents groupes se soient côtoyés donnant lieu à une sérieuse cohabitation d'où est résulté un métissage poussé. C'est le cas des Littama et des populations halpulaaren de la localité de Maghama[1].

Origine des Littama : Qui sont les Littama et d'où viennent-ils ? Concernant l'histoire des Littama, un fait demeure certain : c'est l'origine arabe de la tribu qui porte aujourd'hui le nom. Par contre d'autres points restent obscurs : il s'agit notamment de la branche mère de cette tribu et l'origine de son nom.

Traduit de l'arabe, Littama est une déformation de El Yatama, pluriel de Yatim qui veut dire Orphelin. Yatama devenu Littama voudrait donc dire «des orphelins». Au niveau de la généalogie présentée par Paul Marty[2], nous sommes en présence d'un homme appelé Al yatim frère de Al Jabbar et de Abdallahi. Cet homme qui aurait été élevé par ses oncles paternels aurait perdu ses parents dès son jeune âge. C'est pourquoi le nom de Yatim lui aurait été donné par ses tuteurs. Etant devenu adulte, Al Yatim épris de liberté va s'installer dans un lieu non loin de ses oncles avec quelques personnes qui lui sont attachées. Il devient ainsi le chef d'une nouvelle tribu appelée Al

[1] Maghama est aujourd'hui une des quatre (4) moughataa de la région du Gorgol située à 120 km environ au Sud-est de Kaédi.

[2] Marty (Paul), 1991 : Etudes sur l'Islam et les tribus maures : les Brakna – Leroux, Paris, p.13.

Journée Internationale de la Francophonie, édition 2004

La communauté francophone internationale a célébré, le 20 mars, la journée internationale de la francophonie. Un rendez-vous annuel plein de sens et de symboles pour des peuples qui, malgré les différences liées à l'identité, à l'histoire et à la géographie, sont solidaires par l'usage en commun du français, langue d'ouverture, de dialogue, mais aussi et surtout outil de coopération au service du développement et de la paix dans le monde.

La République Islamique de Mauritanie, forte de son appartenance à cette communauté et confiante dans l'avenir de ce cadre de rapprochement des peuples, a bien voulu partager avec les francophones du monde entier la joie de cette grande fête. C'est ainsi qu'une grande manifestation a été organisée par la Commission Nationale pour l'Education, la Science et la Culture, correspondant national de l'Agence Intergouvernementale de la Francophonie. A cette occasion, le Secrétaire Général de la Commission Nationale pour l'Education, la Science et la Culture, Monsieur Dieh Ould Cheikh Saad Bouh, a prononcé un important discours dans lequel il a tenu à rappeler que «la Francophonie œuvre pour le développement des relations privilégiées entre tous les pays de l'espace francophone, espace fondé sur la solidarité, la coopération et le respect des spécificités de chacun des Etats membres. Terre des hommes, la Mauritanie a accompagné depuis le début tout le processus d'évolution et de transformation des instances de la Francophonie et participe à la mise en œuvre des programmes de ses agences. C'est le lieu d'exprimer notre satisfaction à l'Agence Intergouvernementale de la Francophonie pour l'appui qu'elle n'a cessé de nous apporter dans tous les domaines de la vie nationale ».

Et le Secrétaire Général de citer « en particulier le développement du réseau des Centres de Lecture et d'Animation Culturelle (CLAC), qui s'inscrit dans le cadre de la priorité que Son Excellence le Président de la République, Monsieur Maaouya Ould Sid'Ahmed Taya accorde à la généralisation de l'éducation et à l'éradication de l'anlaphabétisme à laquelle veille, avec toute l'attention requise, le gouvernement mauritanien, illustre l'importance de ce choix stratégique ».

L'autre moment fort de cette cérémonie a été la distribution de prix aux lauréats des différents concours organisés à cette occasion.

Mauritanie est appelée à jouer dans l'œuvre culturelle arabe, rôle dont la dernière manifestation est la tenue, il y a quelques jours seulement à Nouakchott du 17è congrès archéologique que le gouvernement mauritanien a généreusement abrité.

Monsieur le Président,

Au moment où votre organisation arabe, l'ALECSO, partage avec vous vos grandes options culturelles et se félicite de votre initiative, elle s'efforce aussi par tous les moyens de faire en sorte que la culture arabe joue son rôle humanitaire et historique dans un monde où les frontières sont effacées et où les défis se sont multipliés, au point qu'il est désormais exigé des arabes de créer les mécanismes susceptibles de laisser se montrer le visage brillant du patrimoine de la Nation et ses systèmes de valeurs, contribuant ainsi à défendre son image face aux multiples campagnes véhiculées contre elle depuis les événements dramatiques du 11 septembre.

C'est pourquoi, différentes initiatives ont été prises par l'Organisation qui visaient à activer un dialogue civilisationnel fructueux et d'égal à égal avec les autres espaces culturelles en Europe, en Amérique du Sud, en Russie et en Afrique.

Ces initiatives ont abouti à fixer les constantes, de références communes et une déontologie de cohabitation pacifique et de coopération réussie en les peuples.

Dans cette même perspective, notre Organisation fournit des efforts soutenus en vue de diffuser et de généraliser le livre arabe, à travers le projet de la lecture pour tous qui a permis d'éditer certaines sources de la créativité arabe dont le roman « la tombe inconnue » du romancier et grand poète mauritanien Ahmedou Ould Abdel Kader qui a remporté le prix Chinguitt des Lettres l'année dernière.

L'année prochaine, le livre arabe sera l'hôte d'honneur de l'exposition de Frankfurt, considérée comme étant le plus grand salon international du livre, avec la coordination et la supervision de l'Organisation. Ce qui serait incontestablement un acquis qualitatif sans précédent pour la culture arabe et un grand défi qui mérite la conjugaison des efforts de tous les acteurs dans les domaines de la culture et de l'édition. Nous avons voulu faire de cette participation arabe l'occasion tant attendue pour présenter aux autres le génie arabe en matière de culture et des arts, et en même temps son image rayonnante qui s'est malheureusement éclipsée durant de nombreuses activités et manifestations.

Monsieur le Président,

Je ne saurais terminer ce mot sans vous réitérer mes félicitations pour votre victoire éclatante lors des dernières élections présidentielles, tout en me réjouissant de votre soutien continu à l'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et la Science et votre encouragement constant des créateurs, intellectuels et hommes de culture.

scientifiques de hauts niveaux, dans les différents points et villes du Sahara Chinguitti, qui n'ont rien à envier aux grands centres de la culture arabe dans le Machregh et le Maghreb. Les trésors de manuscrits enfouis dans les villes de Oualata, Tichitt, Chinguitti et Wadane témoignent de ce passé glorieux, et les universités locales (les mahadras) donnent un modèle unique en son genre de système d'enseignement original, d'où sont sortis les plus éminents oulémas, poètes et lettrés de ces contrées, ce qui a valu pour la Mauritanie d'être appelée à juste titre «la terre du million de poètes».

Nul besoin de rappeler d'ailleurs que le point de départ de l'Etat Almoravide, dont la renommée a conquis les espaces lointains, est ici non loin des plages de cette belle ville où nous nous retrouvons aujourd'hui.

De son Ribat qu'évoquaient Ibn Khaldoun, El Bekri et autres, étaient partis Aboubekr Ben Amer, Abdoullah Ibn Yassine, Youssouf Ben Tachefine et l'Imam Al Hadrami, en une odyssée qui a permis la réunification de larges parties du Maghreb musulman, du fleuve Sénégal (ou fleuve Sanhaja) jusqu'aux Pyrénées en Europe.

Les savants Chinguitti ont joué le même rôle en Afrique centrale et de l'Ouest, en propageant l'islam et la culture arabe pure, par les bonnes conduites et l'honnêteté qu'ils reflétaient où qu'ils se trouvent, sans violence ni guerre. Ils étaient par cela les véritables ambassadeurs de la civilisation arabe dans les contrées lointaines, et ont donné la preuve éclatante que la culture arabo-islamique est capable de s'auto-propager sans contrainte ni pression d'aucune sorte.

Aussi, le rôle des oulémas Chinguitti dans la dynamique de la renaissance intellectuelle arabe à l'époque moderne est connu et reconnu. On peut citer entre autres sommités, Ould Tlamid et Ahmed Ibn Elamine qui avaient contribué brillamment à restituer les sources de la tradition arabo-islamique et à exercer l'enseignement et la recherche dans les plus grandes universités orientales, à la fin du 19è et au début du 20è siècle.

Monsieur le Président,

Ces gloires et exploits, connus des occidentaux autant que reconnu par vos frères arabes, ont valu pour la Mauritanie la dénomination de «terre des hommes» selon l'éternelle expression de Saint-Exupery qui, de son aveu, n'a pas pu se dérober à l'attrait magique qu'exerçait sur lui le Sahara Chinguitti.

Ces gloires et exploits constituent un capital d'une valeur considérable pour ce pays qui marche sous votre sage conduite, à pas accélérés mais sûrs, sur la voie de la modernisation culturelle et sociale, au moment où ses institutions démocratiques et constitutionnelles se mettent en place et s'enracinent, où son économie enregistre un développement très sensible et où se consolident ses infrastructures par les multiples réalisations déjà accomplies.

A l'ALECSO, nous valorisons ces grandes réalisations et misons toujours sur le rôle tout à fait singulier que la

Discours de Monsieur El Mounji Bousneina, Directeur Général de l'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences, à l'occasion de la remise des prix Chinguett 2003

Son Excellence le Président de la République, Monsieur Maaouya Ould Sid'Ahmed Taya ;
Messieurs les Ministres,
Excellences, Messieurs les ambassadeurs,

C'est avec une joie très profonde que je prends part à cette cérémonie culturelle solennelle au cours de laquelle vous allez honorer les chercheurs qui ont mérité les prix Chinguett cette année dans les domaines des études islamiques, des lettres et des sciences et techniques, conformément à l'heureuse tradition que vous avez bien voulu instaurer en Mauritanie, avec la création, pour la première fois, de cette récompense pleine de sens.

Cette œuvre culturelle grandiose n'est ni étonnante, ni exceptionnelle pour qui a suivi de près, non sans grande admiration, les pas accomplis par la Mauritanie ces dernières années, sous votre sage conduite et vos orientations clairvoyantes, dans les domaines culturels et scientifiques, avec une mention spéciale pour votre ambitieux programme de lutte contre l'analphabétisme qui a porté ses fruits, vos efforts réussis en matière de généralisation de la scolarisation, vos multiples initiatives pour encourager la recherche scientifique et la domiciliation des nouvelles technologies et votre brave et historique décision de diffuser le livre, en l'introduisant dans chaque foyer mauritanien.

Par ces réalisations singulières, vous mettez incontestablement votre pays sur la voie de continuer à jouer le rôle civilisationnel par lequel il s'est imposé jadis comme pôle scientifique et religieux rayonnant, et pont de liaison entre l'ouest du monde arabe et son espace vital en Afrique de l'Ouest.

Au moment où j'évoque à cette occasion le rôle des savants et hommes de lettres Chinguetti dans le cheminement de la civilisation arabo-islamique, je ne peut que rappeler avec fierté leur apport inestimable et la valeur qu'ils avaient ajouté à notre patrimoine et à notre trésor culturels, en sauvegarde, publication, écriture, étude et enseignement.

En effet, la précarité des conditions de vie, l'absence d'issues et l'hostilité de l'environnement n'ont pu empêcher l'émergence, en plein désert, de centres

l'enjeu de toute stratégie de développement durable.

La création en 1986, d'un Secrétariat d'Etat chargé de la Lutte contre l'Analphabétisme et de l'Enseignement Originel confirme, au plan institutionnel comme au plan des moyens mobilisés, tout l'intérêt accordé à la cause et justifie les grands efforts réalisés dans ce domaine, qui n'ont pas manqué de forcer l'estime de plusieurs organisations spécialisées dont l'UNESCO. Les efforts entrepris par notre pays en matière de lutte contre la faim, l'ignorance et la maladie, le lancement de l'Initiative Présidentielle relative à la promotion du livre et de la lecture, consolidée par une campagne nationale «Savoir pour Tous», l'institution des «Prix Chinguitti» pour stimuler les créativités scientifiques, littéraires et artistiques, sont autant de réalisations qui, tout en s'inscrivant bien dans le cadre de l'engagement en faveur des objectifs et idéaux de notre Organisation, témoignent de l'existence d'une volonté politique et d'un climat favorable au décollage économique de notre pays qu'elle que soit la rareté des moyens dont il dispose.

La 32ème session de la conférence générale de l'UNESCO

C'est à Paris, le 29 septembre dernier, qu'ont commencé les travaux de la 32ème session de la Conférence Générale de l'UNESCO. Une session qui a été marquée par la participation massive des pays membres de l'Organisation dont notre pays, qui était représenté par une délégation de haut niveau.

Ce fut l'occasion pour notre pays de faire entendre devant l'Assemblée Générale sa voix, en rappelant que l'espoir nourri à l'occasion de cette grande rencontre est à la mesure de la singularité de la circonstance historique qui l'entoure.

En effet, les différents peuples et civilisations du monde entier attendent que ce forum de l'Education, de la Science et de la Culture soit le lieu d'où vont se dégager les propositions concrètes qui ne manqueraient pas de consolider leur marche vers le progrès et le développement, à travers la préservation et la promotion de la diversité culturelle, «comprise comme richesse et comme héritage commun, aussi vitale pour l'humanité que ne l'est la diversité écologique pour l'être vivant». La République Islamique de Mauritanie reste convaincue que la préservation de la diversité culturelle, dans un climat sain où prévalent acculturation et dialogue des civilisations, est l'unique moyen de garantir la paix et la sécurité dans le monde.

Par ailleurs, il y a lieu de rappeler que la Mauritanie ne cesse d'accorder la priorité à «l'éducation pour tous», adopté en 1990 en Thaïlande, par la Conférence Internationale sur l'Education. La Mauritanie est fière d'avoir réussi à concrétiser cette priorité à travers la loi déjà en vigueur depuis 3 ans portant obligation de scolariser tous les enfants mauritaniens en âge d'être scolarisés». Cette importante mesure dont l'impact n'a pas tardé à se faire sentir au niveau de la hausse du taux de scolarisation (environ 90% cette année), conjuguée aux multiples efforts entrepris depuis deux décennies en matière de lutte contre l'analphabétisme, révèlent la nature de la politique suivie par notre Gouvernement, conformément aux orientations du Président de la République, Monsieur Maaouya Ould Sid'Ahmed Taya, qui fait de la promotion des ressources humaines

représentants de tous les acteurs concernés par l'action culturelle (départements ministériel, organisations culturelles, collectivités locales et privées, intellectuels) ;

- Un organe technique de coordination : Un comité de pilotage de la stratégie du développement culturel, qui sera dirigé par un coordinateur, haut fonctionnaire, nommé par le Ministre chargé de la culture. Il regroupera les représentants des ministères concernés, de la communauté culturelle nationale, des institutions de la société civile participant à l'encadrement culturel et des bailleurs de fonds intervenant dans le financement des activités d'opérationnalisation de la politique nationale culturelle ;
- Des organes d'exécution : des comités régionaux de suivi placés sous l'autorité des walis seront créés. Ils seront composés des représentants des services concernés, des ONGs locales, des élus locaux et des associations culturelles.

b) Le schéma de financement

La mise en œuvre de la stratégie du développement culturel implique une mobilisation accrue de ressources de la part de l'Etat, des collectivités décentralisées, des partenaires au développement et du secteur privé.

A ce titre, en plus du renforcement institutionnel du Ministère chargé de la culture, l'Etat prendra les mesures suivantes :

- la reconnaissance au secteur d'un statut de domaine stratégique transversal de lutte contre la pauvreté, sa prise en compte dans le CSLP et l'élaboration d'un COMT sectoriel conforme aux orientations de la politique nationale culturelle.
- La dotation du Ministère chargé de la Culture, de ressources provenant du budget consolidé d'investissement pendant la période de 2004 à 2010 ;
- L'inscription de crédit de contre partie pour les programmes et projets financés par l'aide publique au développement (APD) ;
- L'inscription annuelle et au budget du département chargé de la culture de crédits spécifiques destinés d'une part aux frais de participation de nos troupes aux compétitions internationales, et d'autre part, aux frais d'organisation des manifestations nationales ;
- Les collectivités décentralisées seront incitées à inscrire dans leur budget, des ressources pour le financement des activités au niveau régional et local ;
- Les partenaires bi et multilatéraux seront saisis pour identification de leur centre d'intérêt et détermination de leur engagement.

C) Les conditions optimales de réussite :

La mise en œuvre de la stratégie du développement culturel sera une occasion de dialogue permanent entre les différents acteurs intervenant dans le secteur, afin d'obtenir une appropriation de la politique et la traduction effective des priorités dans les inscriptions budgétaires et les pratiques institutionnelles.

politique culturelle tant que l'Etat et le secteur privé n'auront pas les moyens suffisants pur répondre aux besoins de cette politique en matière de financement et d'expertise.

Pour réaliser les objectifs de cette coopération internationale, il convient de multiplier les contacts avec les Etats et les organismes susceptibles d'apporter un soutien à notre politique. A cet effet, il importe de :

1- Veiller à la participation régulière de notre pays à toutes les manifestations de portée culturelle ;
2- Veiller au versement régulier de la contribution de notre pays dans les budgets des organisations auxquelles nous adhérons ;
3- Etablir des accords et des programmes communs pour obtenir l'assistance technique et les équipements dont le pays a besoin.

b) Formation

Comme on peut le remarquer, nous avons chaque fois insisté dans les volets de cette politique sur l'importance de la formation, car elle constitue la clef du succès et elle garantit la pérennité de l'action de développement dans le domaine de la culture. Aussi, les mesures suivantes sont – elles envisagées :

1- Déterminer les besoins du secteur dans le domaine de la formation. Cet objectif sera réalisé, à court terme, par l'organisation de stages de perfectionnement et des cycles de formation moyennes et des séjours à l'étranger pour complément de spécialisation ;
2- Ouvrir des instituts et des centres spécialisés selon nos possibilités et suivant nos besoins.

c) Communication et Sensibilisation

La diffusion de cette politique appelle une large campagne de sensibilisation qui met à contribution et mobilise tous les acteurs et les différentes catégories sociales qui sont ciblées par cette action, dans tous secteurs et milieux. Il s'agit d'impliquer toutes ces composantes et de s'assurer de leur engagement et leur ferme soutien.

La culture qui est considérée par tous comme un droit et une propriété collective au même titre que l'enseignement, la santé et la sécurité est aussi l'élément régulier du développement et son levier de commande.

d) Suivi

Une cellule centrale sera chargée du suivi de la mise en ouvre de cette politique. Elle relèvera à chaque étape les lacunes et les points forts de l'action culturelle pour tirer les leçons qui dicteront les choix à venir.

V. CADRE DE MISE EN OEUVRE

a) Le dispositif de Pilotage

La mise en œuvre de la stratégie du développement culturel incombe au Ministère chargé de la Culture où elle trouve son ancrage institutionnel.

Cependant, le développement culturel implique au plan gouvernemental la coopération de différents départements ministériels. A ces structures étatiques s'ajoute naturellement la communauté culturelle nationale, ainsi que de nombreux organismes qui favorisent la participation de leurs membres aux activités culturelles et récréatives. De telles structures constituent de plus en plus le cadre privilégié d'harmonisation des politiques nationales.

C'est pourquoi, les mécanismes de coordination, de suivi et d'exécution de la stratégie de développement culturel devront s'inscrire dans une démarche globale et transversale. Sur cette base, il est proposé un cadre comprenant :

- Un organe consultatif : un Conseil National de la Culture, placé sous la présidence du Ministre chargé de la culture et qui regroupera les

2- Dresser une carte archéologique nationale ;
3- Enregistrer les sites archéologiques conformément à la législation régissant la protection du patrimoine ;
4- Mener une recherche soutenue dans les différents musées et collections archéologiques de par le monde pour réunir les antiquités et manuscrits mauritaniens (des copies à défaut des originaux) ;
5- Ouvrir, auprès du musée national, un registre pour consigner les acquisitions archéologiques et objets précieux.

b) Les Manuscrits
1- Collecter les manuscrits suivant les données du recensement national en cours ;
2- Editer les manuscrits de portée scientifique suivant un plan établi ;
3- Soutenir les bibliothèques privées de manuscrits par des procédés modernes ;
4- Créer des centres de collectes pour réunir les manuscrits dans les régions de forte concentration en documents et inciter leurs propriétaires à les confier aux centres spécialisés.
5- Former des spécialistes dans la répartition et la conservation des manuscrits ;
6- Installer un laboratoire pour la restauration et la conservation des manuscrits.

c) Les Musées
1- Dresser un programme complet pour le réapprovisionnement du Musée National et le doter de moyens modernes ;
2- Former des archéologues, des administrateurs de musées et des guides et programmer des stages de perfectionnement pour l'équipe en place ;
3- Réaliser des musées spécialisés dans chaque capitale régionale suivant ses particularités professionnelles, scientifiques et climatiques (pêche, agriculture, industrie, chasse, musique, manuscrits).

Axe n°4 : Au niveau de l'activité culturelle
1- Construire des maisons de culture dans toutes les capitales régionales et les 9 moughataa de Nouakchott pour organiser les loisirs et assurer l'animation culturelle. Ces maisons seront équipées des moyens nécessaires, (instruments de musique, accessoires du théâtre et de la lecture, du scoutisme, et des jeux intellectuels).
2- Organiser des semaines culturelles annuelles dans l'un des états frères et/ou amis pour faire connaître la renaissance culturelle du pays et la richesse de son patrimoine ;
3- Organiser un festival de la poésie pour stimuler la création poétique et la soumettre à l'appréciation de la critique ;
4- Encadrer les associations culturelles locales et leur apporter soutien technique ;
5- Publier annuellement un recueil de poètes ou un ouvrage tiré des célébrités du patrimoine culturel ou des créations récentes de qualité, avec le concours de bonnes volontés nationales (ligues des hommes de lettres, oulémas et artistes, etc.) ou étrangères (ministères de culture des pays amis, institutions internationales).

Axe n°5 : Mesures complémentaires et d'accompagnement
a) Coopération internationale
La coopération internationale sous toutes ses formes (avec les organisations internationales, régionales, continentales, la coopération bilatérale…) sera le nerf de cette

10- Construire des théâtres régionaux et former des troupes de wilayas suivant une programmation étudiée.
11- Formation d'une troupe théâtrale nationale et d'une autre dans les arts populaires pour représenter notre pays dans les manifestations internationales.

b) La Musique
1- Créer un conservatoire national de musique destiné à protéger notre patrimoine musical.
2- Créer une Académie Nationale de la recherche et des études musicales chargée de l'aménagement d'un musée des instruments musicaux traditionnels en voie de disparition.
3- Encourager les amicales, les troupes et les associations musicales locales à générer une production musicale qui sera commercialisée en collaboration avec le secteur privé, afin d'occuper l'espace vital de la culture mauritanienne dans la sous-région.
4- Organiser un festival des arts populaires destiné à accueillir la chanson rustique dans la sous-région pour accorder un plus grand intérêt à l'héritage artistique mauritanien lié à la musique : la poésie populaire, les chants, la danse, l'art du mime, les contes, les récits et les légendes.
5- Organiser un festival biennal de la chanson mauritanienne pour promouvoir la chanson mauritanienne moderne.
6- Organiser, à Nouakchott, un festival de musique nomade.

c) Les Arts Plastiques
1- Organiser une biennale des arts plastiques qui sera l'occasion de l'éclosion du génie créateur de nos artistes.
2- Encourager la formation d'associations et amicales de peintres et sculpteurs et soutenir la libre initiative dans ce domaine.
3- Encourager les artistes et veiller à leur participation aux expositions arabes, africaines et internationales.
4- Mettre en place un atelier de peinture dans l'une des maisons de la culture, réservé aux créateurs plasticiens.
5- Prévoir des incitations pour les décorateurs et calligraphes les plus inspirés et organiser des expositions nationales pour leurs produits.

d) Le Livre et l'édition
Contribuer au succès de la campagne du livre et de la lecture en cours, à travers :
1- L'institution d'une journée nationale de la lecture dénommée : le « temps de la lecture » où des séances de lecture seront organisées dans les bibliothèques et les lieux de travail ;
2- La réalisation d'une unité d'impression et d'édition pour le Ministère, destinée à l'impression des œuvres des jeunes talents, des titres et travaux des différents services du Ministère ;
3- La création d'un fonds de soutien aux chercheurs œuvrant dans les domaines de la culture ;
4- La dotation de la Bibliothèque Nationale en ouvrages et équipements modernes ;
5- L'organisation d'une exposition annuelle du livre, en collaboration avec les éditeurs nationaux et étrangers, pour mettre à la disposition du lecteur, au prix du marché, les plus récentes publications ;

Axe n°3 : Dans le domaine du patrimoine culturel

a) Les Antiquités
1- Reconstituer et réorganiser les structures chargées du secteur du patrimoine (manuscrits, vestiges, sites historiques, etc) ;

IV. AXES DE LA STRATEGIE

Les axes de cette stratégie visent à déclencher le processus de développement culturel, afin que celui-ci accompagne le rythme de l'évolution que connaît le pays dans les autres domaines. Il s'agit de mettre en place les infrastructures nécessaires pour la création et le renforcement des industries culturelles génératrices de revenus et d'emplois.

C'est là une condition première pour la formation d'un citoyen modèle, attaché à ses propres valeurs et à celles de son époque, conscient de ses droits et devoirs envers la patrie et fortement engagé dans l'effort de sa construction et de défense de ses acquis en matière de développement, de liberté et de démocratie. Une attention particulière sera accordée dans ce cadre à l'utilisation des nouvelles technologies de l'information et de la communication dans le développement culturel de notre pays.

Axe n°1 : Au niveau institutionnel

Pour adapter les textes de lois relatifs à la culture avec les impératifs de la politique de développement culturel présentés dans cette stratégie il convient de :

1. Réviser et renouveler le dispositif législatif et réglementaire relatif au patrimoine culturel tangible (réviser la loi n°160/72 du 31 juillet 1972 relative à la préservation et la valorisation du patrimoine national préhistorique, les vestiges et les villes anciennes) ;
2. Réviser les textes relatifs à la ratification des conventions internationales sur la protection du patrimoine culturel tangible ;
3. Créer des délégations régionales du Ministère, pour superviser l'activité culturelle et l'encadrement des jeunes à l'intérieur du pays ;
1. créer un bureau d'auteurs et faire adopter les textes y afférents.

Axe n°2 : Dans le domaine de la culture vivante

a) - Le Théâtre

1- Construction d'un théâtre national moderne, pluridisciplinaire à Nouakchott, avec un espace culturel intégré : (un cinéma, des salles d'enregistrement audiovisuel, des ateliers de fabrication d'instruments de musique, etc).
2- Former des stagiaires mauritaniens dans les domaines de la réalisation, du décor, de l'ingénierie du son, du scénario, de la distribution et l'administration théâtrale.
3- Assurer une assistance technique dans les domaines du théâtre afin de former sur place des techniciens nationaux en la matière.
4- Formation moyenne et supérieure des étudiants mauritaniens dans les différentes branches de la technique théâtrale pour qu'ils participent, le moment venu, au démarrage du théâtre national.
5- Contribuer à l'encadrement des associations et des troupes théâtrales locales.
6- Encourager les dramaturges et scénaristes nationaux en leur accordant des bourses, des stages et des prix.
7- Organiser un festival national du théâtre pour amateurs qui sera l'occasion de distribution de prix et médailles.
8- Organiser un théâtre ambulant dans les wilayas de l'intérieur pour diversifier les loisirs et promouvoir un climat culturel propice à la diffusion du savoir et à même de cultiver chez le citoyen les vertus civiques en choisissant des sujets adaptés aux différents milieux.
9- Encourager la pratique théâtrale dans les écoles et universités et organiser des compétitions annuelles pour identifier les meilleurs talents.

en les rendant plus compétitifs dans les domaines de l'hôtellerie et de la restauration ;
- l'artisanat : moderniser le secteur, en adoptant outils et meubles aux besoins de la sédentarisation au lieu de rester typiquement appropriés à la vie nomade, et faire du secteur un pôle d'attraction dans le domaine du tourisme culturel national.
-

II. DIAGNOSTIC DU DEPARTEMENT DE LA CULTURE

Malgré les efforts de modernisation et de reconstruction et le décollage que connaît le pays dans tous les domaines et plus particulièrement en matière d'acquisition du savoir (à travers la réforme de l'enseignement, la campagne du savoir pour tous, le lancement de l'initiative pour la promotion du livre, la valorisation du patrimoine culturel et l'institution des prix Chenguitt), le Ministère de la Culture comme département est resté à l'écart de cet élan.

En effet, à l'exception de la Maison de la Culture, fruit de la coopération sino-mauritanienne, le Ministère ne bénéficie d'aucune réalisation culturelle notoire.

Sur toute l'étendue du territoire national la présence du Ministère se résume comme suit :

La direction de la culture qui comprend deux services :

- Le service de la culture et des arts ;
- Le service de la propriété intellectuelle et de la coopération culturelle.

La direction des bibliothèques qui comprend deux services :

- Le service des bibliothèques ;
- Le service technique.

Les deux directions accusent un déficit de compétences et d'experts dans leurs domaines respectifs. Elles n'organisent généralement que des activités culturelles limitées dans l'action administrative et la gestion de la Bibliothèque Nationale qui elle, organise ponctuellement notre participation à certains forums à l'étranger (exposition du livre de Tunis, Dakar ou Casablanca).

Ces deux directions manquent de moyens pour assurer leur fonctionnement administratif et couvrir l'ensemble des besoins en matière de transport et d'équipement.

Le Musée qui a perdu un nombre considérable de pièces archéologiques mérite une rénovation dans tous les domaines.

Il est à noter, par ailleurs que le Ministère ne produit aucune publication culturelle depuis la disparition de la revue Ribat culturel en 1998.

III. OBJETIFS DE LA STRATEGIE

Une politique culturelle solide et réfléchie est donc nécessaire pour rendre les transformations socioculturelles et économiques plus humaines, et pour assurer la durabilité et l'efficacité des interventions en matière de développement. Elle doit s'assigner les objectifs suivants :

- assurer la libre participation de chaque citoyen dans la vie culturelle de sa société ;
- assurer la libre expression des pensées et des identités culturelles ;
- permettre l'exercice des droits individuels et collectifs ;
- encourager la créativité et la diversité ;
- sauvegarder et valoriser le patrimoine culturel dans sa diversité ;
- contribuer au développement humain durable ;
- promouvoir la complémentarité interculturelle.

En un mot, il s'agit de créer les meilleures conditions pour réaliser un développement harmonieux et durable du pays et contribuer à son rayonnement culturel.

dans chaque village, la création des prix Chinguitt etc.

C'est donc dans ce contexte, et conformément aux orientations du Président de la République et pour répondre à ces engagements électoraux qu'intervient cette politique de développement culturel qui vise à présenter une stratégie qui prône le modernisme et le développement, à travers une saine et libre compétition des idées. Elle ouvre devant les jeunes générations des perspectives nouvelles, propices à l'éclosion des talents tout en privilégiant notre propre vision des choses et les intérêts supérieurs de la Nation.

Dans un climat international de liberté et de démocratie, caractérisé par l'ouverture sur des milliers de chaînes de télévision, sur les autoroutes de l'information, les millions d'imprimés, les titres de presse diffusés quotidiennement ; de termes nouveaux, déversés par centaines à la seconde près, dans cette ambiance où le mauritanien comme tout autre citoyen du monde est exposé à l'influence d'un flot inendiguable d'idées, de théories, de styles tentants, de modes de consommation et d'appels tantôt salutaires et tantôt néfastes, *«Dans ce monde qui se globalise de plus en plus par la force de l'audio vision, de la télédiffusion et de la généralisation du Savoir, toutes les citoyennes, tous les citoyens deviennent des acteurs du devenir National ».*

Il existe un large consensus au sein de la communauté culturelle internationale sur la nécessité d'assurer l'implication et la participation du grand public et des groupes les moins favorisés, au processus de transformation socioculturelle et économique pour aboutir à un réel développement humain.

Le rôle de la culture dans le développement est communément reconnu, car elle est envisagée comme étant la représentation d'un état social complexe englobant tout à la fois le mode de pensée, le système de valeurs et usages, les normes de l'esthétique et les croyances d'une communauté donnée. La culture ne peut être réduite à la seule production littéraire ou autres valeurs spirituelles et scientifiques, elle englobe une gamme étendue d'activités représentant les diverses manifestations de la culture de la Nation.

Nous considérons que toutes ces manifestations et activités, éléments essentiels de la Culture Nationale, méritent toute l'attention de l'Etat et doivent figurer en bonne place dans les programmes de développement du pays. Les activités culturelles sont, en effet, à même d'offrir des opportunités de travail et peuvent constituer une source de revenu, à travers la création artistique et la libération du génie créateur du citoyen. Tout cela contribue à faire une industrie culturelle de développement dans différents domaines :

- les arts savants (poésie, récits, romans, techniques de l'information et de la communication…) ;
- les arts dramatiques : théâtre, opéra, ballet ;
- les arts cinématographiques : films documentaires, films de court métrage, etc.) ;
- les arts plastiques : peinture, sculpture, photographie, etc. ;
- les arts musicaux : troupes nationales, orchestres, groupes musicaux, choeurs ;
- les arts populaires : chant, danse, poésie populaire ;
- les jeux traditionnels : sig, khreibga, dhamet, krour, etc. ;
- les arts vestimentaires : maintenir les modes nationales tout en les réformant et les adaptant, encourager l'esprit d'innovation en organisant les défilés de haute couture et des expositions du prêt-à-porter ;
- les arts culinaires : faire l'inventaire des composantes des spécialités mauritaniennes, moderniser la cuisine en améliorant la valeur nutritive des repas et

Stratégie Nationale de Développement Culturel 2004-2010

I. INTRODUCTION

A) CONTEXTE :

La Mauritanie a toujours été, et restera, le lieu de convergence des divers courants civilisationnels. Elle représente le foyer de brassage de nombreuses cultures qui se sont formées au rythme des flux migratoires et qui ont fini par se fondre et s'intégrer pour produire une culture admirable et unique en son genre. Les nombreuses appellations dont elle fut désignée (Bilad Chenguitt, Terre des homes, Pays au million de poètes), attestent de sa richesse et de sa diversité et, malgré la pluralité et la richesse des composantes culturelles qui la fondent, elle est restée substantiellement une seule et même culture : la culture mauritanienne.

Il est établi historiquement que le socle sur lequel s'élève l'entité mauritanienne est avant tout sa culture : le mouvement des almoravides, de son peuple et de sa civilisation.

Le génie de ce peuple en a fait l'unique au monde à être à la fois nomade et érudit : car, la vie des éleveurs caractérisée par la mobilité et la transhumance est incompatible avec l'acquisition du savoir, qui fut de tout temps le produit de la vie en cité et de la stabilité. Notre peuple a fait exception à la règle en créant des conditions originales pour la diffusion du savoir : (l'université mobile, la bibliothèque portée, les cours itinérants, les facultés à dos de chameaux). Il a aussi assuré l'autosuffisance d'outils et ustensiles de ménage, d'objets d'art et même de fabrication d'armes.

« Cette civilisation nous a été chère, parce que nous avons été pétris et façonnés par elle, elle avait ses charmes, son code d'honneur, et ses impératifs catégoriques ».

Mais, il est aujourd'hui temps de promouvoir cette expérience singulière après que l'inexorable loi du temps l'eût enfin vouée au repli sur soi, annonciateur d'une extinction sûre si une réelle volonté de promotion et de conservation n'intervient en sa faveur.

En effet, pendant de longues années, la culture est restée victime d'une génération complexe en contradiction avec elle-même culturellement, linguistiquement et philosophiquement et qui pense trouver dans l'adoption de l'expérience et la pensée de l'autre, la meilleure solution pour les problèmes du pays.

B) – CULTURE DU DEVELOPPEMENT

L'appel historique de Néma, le 5 mars 1986, jeta les bases d'un projet de société fondée sur les principes de justice et d'égalité et déclencha la dynamique de l'éveil culturel et scientifique, dans le cadre d'une vision moderniste soucieuse de l'édification d'une personnalité mauritanienne attachée à son identité civilisationnelle, rejetant toute forme d'assimilation, une Mauritanie ouverte sur le monde, intégrée au mouvement d'ensemble de la mondialisation.

Le bilan depuis lors, fut grand : l'émancipation de la femme par le savoir, les programmes de lutte contre l'analphabétisme, l'obligation de l'enseignement de base, le savoir pour tous, la préservation et la valorisation du patrimoine culturel national, sans oublier l'amorce de l'essor culturel : un livre pour chaque citoyen, une bibliothèque

Editorial

Grâce aux orientations sages et éclairées du Président de la République, Monsieur Maaouya Ould Sid'Ahmed Taya, notre pays vit une renaissance culturelle sans précédent, qui lui a permis de renouer avec son passé rayonnant et son image de terre de tolérance et de symbole de savoir, où la plume et la tablette deviennent l'arme de ce peuple de grande dignité. Ce peuple qui a vu éclore en lui, par l'action remarquable de sa Direction Nationale, son refus de la situation totalement incompatible à la société du «million de poètes», à savoir la situation de l'analphabétisme et sa conséquence inévitable, le sous-développement. L'effort mené par cette Direction lui a permis de se rendre à l'évidence que la renaissance véritable et le rôle positif qu'envisage de jouer notre pays dans un monde marqué par l'accélération du rythme de développement, ne peuvent se réaliser que par l'homme et quel homme ?

L'homme dynamique qui croît en sa patrie, confiant en soi, et qui ne serait tel s'il n'est pas un homme instruit, actif, conscient de ce qui se passe autour de lui, attaché aux choix de sa patrie, et résistant aux secousses temporelles et aux incertitudes des circonstances changeantes.

Nous ne pouvons incarner ces hautes valeurs que lorsque chacun d'entre nous réussit à transcender les aspects négatifs de sa subjectivité, en se débarrassant de son égoïsme et en tendant la main à tous ceux, parmi ses concitoyens, qui en ont le besoin.

D'ailleurs, y a-t-il plus nécessiteux que celui dont l'humanisme n'est pas consommé?

L'analphabète est incapable de mettre en valeur ce qui distingue l'homme des autres créatures ; l'ignorance ne pouvant attirer ni le respect de celui qui en est la victime, ni le respect pour celui qui la côtoie.

C'est un grand pêché dont la responsabilité incombe au premier chef à celui auquel Allah a donné la lumière de la science et du savoir, et n'a pas voulu en faire profiter ceux qui en ont fortement besoin, alors qu'ils sont tous citoyens d'un pays dont l'apport culturel, malgré la rareté des moyens et l'hostilité du milieu, a été unanimement apprécié.

Aujourd'hui, que la Mauritanie jouit de multiples bienfaits et grâce à une Direction sage et clairvoyante qui a réuni toutes les conditions du progrès et de l'émancipation, il n'est plus acceptable que demeurent parmi nous des prisonniers de l'ignorance, au moment où le pays regorge de milliers d'intellectuels et d'instruits dont la société toute entière a supporté les charges afférentes à leur instruction et à leur formation. Ces intellectuels, qui sont appelés à jouer un rôle prépondérant dans une bataille dont ils sont les vrais soldats, n'ont d'autre choix que de relever le défi, en éradiquant ce fléau et en plaçant la Mauritanie en tête du peloton des nations évoluées.

Autrement, ce sera la mise en quarantaine, avant la disparition dans le monde des faibles qui vivotent de l'aumône accordée par pur humanisme.

Refusant la situation de spectateurs passifs alors que le pays se mobilise sur l'un des plus importants fronts de la bataille pour le développement, la Commission Nationale pour l'Education, la Science et la Culture, à travers la revue «Al Mawkib Al thaqafi», entend bien apporter une contribution substantielle à cet effort national louable.

Dieh Ould Cheikh Saad Bouh
Secrétaire Général de la Commission Nationale
pour l'Education, la Science et la Culture

SOMMAIRE

- **Stratégie Nationale de Développement Culturel 2004-2010**
- La 32ème session de la conférence générale de l'UNESCO
- Discours de Monsieur El Mounji Bousneina, Directeur Général de l'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences, à l'occasion de la remise des prix Chinguett 2003
- Journée Internationale de la Francophonie, édition 2004
- Les Littama : une intégration réussie !
- **L'*Emile* de Rousseau : une philosophie de l'éducation ou une «métapédagogie» ?**
- Les réformes et les nouveaux défis possibles au sein de l'organisation mondiale du commerce

Al Mawqib Al Thaqafi

Responsable de la publication,
Rédacteur en Chef
Dieh Ould Cheikh Saad Bouh

Directeur Technique
Mohamedou Ould Mohameden dit H'Dhana

Directeur Délégué
(édition française)
M'Bareck Ould Beyrouck
Assisté par: Mohamed Ould Makhallé

Comité de Rédaction
Dieh Ould Cheikh Saad Bouh
Mohamed Ould Mekhallé
Mohamedou Ould Mohameden dit H'Dhana
Mohamed El Moctar Ould Mohamed El Moustapha
Mohamed El Moctar Ould Sidina
Mohamed Horma Ould

Secrétaire de Rédaction
Ahmed Jiddou Ould Mohamed

Service suivi et abonnements :
Souleymane Ould Bouna Moctar
Mohamed Ould Amar Abal
Abderrahmane Ould Mohamed el Hafedh

Ont collaboré à ce numéro :
Dicko Abdoul
Mohamed Ould Mekhallé
El Arby Ould Khtour

Saisie et Maquette
CNESC

Impression : IMPRIMERIE AL MANAR

Revue culturelle, éditée par la Commission Nationale Mauritanienne pour l'Education, la Science et la Culture
N°34-35 - Mai 2004 - Prix: 200 UM

Al Mawkib Al thaqafi

Les guerres prenant naissance dans l'esprit des hommes, c'est dans l'esprit des hommes que doivent s'élever les défenses de la paix

Stratégie Nationale Mauritanienne de Développement Culturel 2004-2010

Les Littama : une intégration réussie !

Discours de Monsieur El Mounji Bousneina, Directeur Général de l'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences, à l'occasion de la remise des prix Chinguett 2003

L'Emile de Rousseau : une philosophie de l'éducation ou une «métapédagogie» ?

Revue culturelle, éditée par la Commission Nationale Mauritanienne pour l'Education, la Science et la Culture
N°34-35 - Mai 2004 - Prix: 200 UM

Al Mawkib Al thaqafi

Les guerres prenant naissance dans l'esprit des hommes, c'est dans l'esprit des hommes que doivent s'élever les défenses de la paix

Stratégie Nationale Mauritanienne de Développement Culturel 2004-2010

Les Littama : une intégration réussie !

Discours de Monsieur El Mounji Bousneina, Directeur Général de l'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences, à l'occasion de la remise des prix Chinguett 2003

L'*Emile* de Rousseau : une philosophie de l'éducation ou une «métapédagogie» ?

Directeur de Publication Dieh Ould Cheikh Saad Bouh